وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعــة ديالــى
كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية

شواهد الشعر الجاهلي في تفسير الطبري (ت ٣١٠هـ)

(دراسة في القيم الفنية والتوظيف التفسيري)

رسالة تقدّم بها الطالب
رعد ماموك حسين عبد

إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية في جامعة ديالى
وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها

باشراف
الأستاذ المساعد
سعد خضير عباس

ربيع الثاني١٤٣٤هـ آذار ٢٠١٣م

فهرست المحتويات

أولًا:- ابن جرير الطبري

(٢٢٤-٣١٠هـ / ٨٣٩-٩٢٣م)

ولادته :

لم يعرف مفسرٌ للقرآن الكريم ، كما عرف الإمام الجليل والمفسر الكبير صاحب التصانيف الباهرة، الإمام العَلَمُ المجتهد عالم العصر (الطبري) إنّه: ((أبو جعفر محمد ابن جرير بن يزيد بن خالد الطبري))[١]؛ وفي رواية أخرى قيل (يزيد بن كثير بن غالب)[٢].

أما ولادته فقد اُختُلِف فيها، وذكر ابن خلكان (ت٦٨١هـ) أنها كانت ((سنة أربع وعشرين ومائتين، بآمل طبرستان))[٣] ، وقيل ((أول سنة خمس وعشرين ومائتين))[٤]، أما مدينة طبرستان التي ولد فيها فقد جاءت تسميتها نسبة إلى الطبر وهو الذي يشقق به الأحطاب وما شاكله بلغة الفرس ، وفي العربية والاختباء ، وأستان الموضع أو الناحية وكأنّه يقول ناحية الطبر وهي بلدان واسعة يشملها هذا الاسم وآمل قصبتها[٥].

---

(١) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (٦٠٨-٦٨١هـ)، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار صادر، بيروت:١٩١/٤؛ وينظر لسان الميزان، للإمام الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض:١٠٨/٥، شارك في تحقيقه د. ابو الفتوح ابو سنّة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م:١٠٨/٥.

(٢) وفيات الأعيان: ١٩١/٤.

(٣) المصدر نفسه: ١٩٢/٤.

(٤) تاريخ بغداد أو مدينة السلام، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ)، دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان: ١٦٤/٢.

(٥) ينظر: معجم البلدان، لشهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي ،م٤، دار بيروت للطباعة ، دار صادر للطباعة ، بيروت ، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م: ١٣.

نشأته :

لقد نشأ الإمام الطبري على تعلم العلوم حتى وصفه القفطي (ت ٦٢٤هـ) ((العالم الكامل الفقيه، والمقرئ النحوي، اللغوي الحافظ ، الإخباري جامع العلوم ، لم يُرَ في فنونه مِثْلُه))[١]، ونشأ نشأة ذات طابع ديني متميز ، فقال عن نفسه: ((حفظت القرآن ولي سبع سنين ، وصليت بالناس، وأنا ابن ثماني سنين، وكتبت الحديث وأنا ابن تسع))[٢]، كان كثير السفر والترحال، وكان يتنقل بين مدن طبرستان، وغيرها من بلاد فارس، وكان يبدأ بالسفر إلى الرّي ، وما جاورها ليأخذ الحديث عن محمد بن حميد الرازي والمثنى بن إبراهيم الأبلى[٣] ، وقال الذهبي (ت٧٤٨ هـ): ((طلب العلم بعد الأربعين ومائتين وأكثر الترحال ولقي نبلاء الرجال، وكان من أفراد الدهر علماً وذكاء))[٤]، أما المسعودي (ت٣٤٦هـ) فقال فيه مثنياً عليه: ((فقيه عصره، وناسك دهره، إليه انتهت علوم فقهاء الأمصار، وحملة السنن والآثار))[٥].

رحل الطبري إلى البصرة ثم الكوفة ثم بغداد وانتقل إلى مصر سنة (٢٥٣هـ) ولقي أجلَّ علمائها ثم عاد إلى بغداد واستقر فيها، وشرع بالتدريس والتأليف إلى أنْ فارق الحياة فيها[٦].

---

(١) انباه الرواة على أنباء النحاة ، جمال الدين الحسن علي بن يوسف القفطي (ت٦٢٤هـ) ، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ، طبع شركة أبناء شريف الأنصاري للطباعة والنشر ، صيدا ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م : ٧٩/٣ .

(٢) تأريخ الطبري تاريخ الأمم والملوك، لأبي جعفر بن محمد الطبري، راجعه وقدم له نواف الجراح ، دار صادر، بيروت ، ١/د .

(٣) ينظر : الطبري، بقلم أحمد محمد الحوفي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر:٣٤ .

(٤) سير أعلام النبلاء ، تصنيف الامام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت٧٤٨هـ)، أشرف على تحقيقه وخرج أحاديثه محمود شاكر، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م:١٦٦/١٠.

(٥) مروج الذهب ومعادن الجوهر،لأبي الحسن بن علي بن الحسين بن علي (ت٣٤٦هـ) ، يوسف أسعد داغر ، دار الأندلس للطباعة والنشر ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٧٨م : ١٣/١ .

(٦) ينظر : تأريخ الطبري : ١/د ، وينظر : الطبري ، بقلم الحوفي : ٤١ .

علمه وفضله :

يُعَدُ الإمام الطبري إمام عصره بلا منازع ، وقال عبد العزيز الطبري ((كان رحمه الله كالقارئ الذي لا يعرف إلا القرآن وكالمحدث الذي لا يعرف إلا الحديث وكالفقيه الذي لا يعرف إلا الفقه وكالنحويّ الذي لا يعرف إلا النحو وكالحاسب الذي لا يعرف إلاّ الحساب وكان عالماً بالعبادات جامعاً للعلوم و إذا جمعت بين كتبه وكتب غيره وجدت لكتبه فضلاً على غيرها))(١).

روى الطبري الكثير عن الجم الغفير ورحلَ إلى كثيرٍ من البلدان في طلبِ الحديثِ وله التاريخ الحافلُ والتفسيرُ الكاملُ، استوطن مدينة بغداد ((وكان أحد أئمةِ العلماءِ، يحكم بقولِهِ ويُرجعُ إليه لمعرفته وفضله ، وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركهُ فيه أحد من أهل عصره وكان حافظاً لكتاب الله عارفاً بالقراءات، بصيراً بالمعاني فقيهاً في الأحكام ، عالماً بالسنن وطرقها، وصحيحها، وسقيمها، وناسخها ومنسوخها عارفاً بأقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم، عارفاً بأيام الناس وله الكتاب المشهور في تاريخ الأمم والملوك، وكتاب في التفسير لم يصنفْ أحد مثله))(٢).

وتميز الطبريّ بأنّه ((أكثر الترحال ولقي نبلاء الرجال ، وكان من أفرادِ الدهرِ علماً وذكاءً وكثرة تصانيف قل أنْ ترى العيون مثلهُ))(٣)، أما ثقافته فكان دائم الظمأ لطلب العلم، وكان لا يرضى أن لا يعرف علمًا يستطيع معرفته والإحاطة به، وهو لا يرضى إذا سأله أحد في أمر له صلة بعلمه وثقافته وهو يجهله ولا يعرفه(٤).

---

(١) تأريخ الطبري : ١/هـ .
(٢) تاريخ بغداد: ١٦١/٢.
(٣) سير أعلام النبلاء : ١٦٦/١٠ .
(٤) ينظر : الطبري : ٧١ .

وروى صحاب (لسان الميزان) عن مسلمة بن قاسم أنه قال: ((كانَ حصوراً لا يقرب النّســــــاءَ، ورحل من بلدهِ في طلب العلمِ، وهو ابن اثنتي عشرة سنةً، سنة ست وثلاثينَ فلم يـــزل طالباً للعلم مولعاً به إلى أنْ مات))[١] .

وكان شغوفاً في طلب العلم، صرف سني حياته الأولى كلها في جمع العلوم، وشغل معظم وقته في التدريس والكتابة، فقد نقل الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ) عن علي بن عبد الله اللغوي المعروف بالسمساني، إنّه قال: ((مكث الطبري أربعين سنة يكتب في كل يوم منها أربعين ورقة))[٢].

وبرع الطبري في علوم ومعارف عدة، منها ما يتعلق بالدين من قراءات للقرآن وتفسيره، والحديث النبوي الشريف، والفقه والأصول، ومعرفته باللغة والنحو وغيرهما، من العلوم الأدبية كالصرف والعروض، والبلاغة ، و إذا انتقلنا إلى علمه بالتاريخ فحسبنا الكتاب الذي ألفه[٣]، وفي الثقة والاطمئنان في نقله للأحاديث والأخبار والسير، فقد وصفه ابن خلكان (ت٦٨١هـ) ((كان ثقة في نقله ، وتاريخه أصح التواريخ وأثبتها))[٤].

مؤلفاته :

لم تنحصر علوم الطبري ومعارفه في مضمار وعلم خاص، بل اتسعت مواهبه في علوم مختلفة، فقد كان ((إماماً في فنون كثيرة منها التفسير، والحديث، والفقه، والتاريخ، وغير ذلك، وله مصنفات مليحة في فنون عديدة تدل على سعة علمه وغزارة فضله))[٥]، وهذه المعرفة بالفنون كانت سببًا ومدعاةً لتأليفه العديد من المؤلفات، منها:

(١) لسان الميزان : ١٠٩/٥ .
(٢) تأريخ بغداد : ١٦١/٢ .
(٣) ينظر: الطبري: ٧١-٧٢، ٧٥، ٧٧، ٧٨.
(٤) وفيات الأعيان : ١٩١/١٤ .
(٥) لمصدر نفسه : ١٩١/٤ .

١. كتاب (تاريخ الرجال) من الصحابة والتابعين وتناول فيه الشيوخ الذين لقيهم[١].

٢. كتاب (((لطيف القول في أحكام شرائع الإسلام) وهو مذهبه الذي اختاره، واحتج له))[٢].

٣. قال ابن كثير ((وقد رأيت له كتاباً جمع فيه أحاديث غدير خم في مجلدين ضخمين))[٣].

٤. ذكر القفطي له ((كتابً شرح الآثار لم يتمه ، وهو كتاب أعيا العلماء إتمامه))[٤].

٥. كتاب (((ذيل المذيل)، ذكر فيه تاريخ من قتل أو مات من أصحاب رسول الله ﴿ ﷺ ﴾ في حياته أو بعده وقد رتبه بحسب القرب فالأقرب منه ﴿ ﷺ ﴾ ثُمَّ ذكر من مات من التابعين والسلف بعدهم ثم الخالفين إلى أن بلغ شيوخه الذين سمع منهم ، وكان يذكر بعضاً من أخبارهم أو يذب عن ذي الفضل منهم))[٥].

٦. كتاب (((التبصير) وهو رسالة إلى أهل طبرستان يشرحُ فيها ما تقلده من أصول الدين))[٦].

٧. جمع الأحاديث التي رويت عن الصحابة صحيحها وسقيمها في كتاب أسماه المسند[٧].

---

(١) ينظر : سير أعلام النبلاء : ١٧٠/١٠ .

(٢) المصدر نفسه : ١٧٠/١٠ .

(٣) البداية والنهاية (٢٠١-٣٠٠هـ)، للإمام الحافظ المؤرخ أبي الفداء اسماعيل بن كثير (٧٠١-٧٧٤هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه ياسين محمد الشواس، راجعه الشيخ عبد القادر الأرناؤوط، د. بشار عواد معروف، دار ابن كثير، دمشق - بيروت : ٥٩/١١ .

(٤) أنباه الرواة على أنباه النحاة : ٩٠/٣ .

(٥) تأريخ بغداد: المقدمة/ ز .

(٦) سير أعلام النبلاء : ١٧٠/١٠ .

(٧) ينظر: المصدر نفسه : ١٧٠/١٠ .

٨. كتاب (التاريخ) ((وهو أجل كتاب في بابه))[١] ويسمى (تاريخ الرسل والملوك) ويعدّ ((أوفى عمل فني بين مصنفات العرب))[٢] .

٩. كتاب (ترتيب العلماء) ((وهو من الكتب النفيسة، ابتدأه بآداب النفوس وأقوال الصوفية))[٣] .

١٠. واشتهر من بين أهم مؤلفاته ((تفسير القرآن الذي لم يُرَ أكبر منه ولا أكثر فوائد)) والمسمى (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) الذي أنا بعون الله في صدد دراسة الشعر الجاهلي فيه، والذي ((أملاه في بغداد سنة ثلاث وثمانين إلى سنة تسعين وقد ترجم إلى لغاتٍ عدة من بينها الفارسية والتركية وهو من أجل التفاسير التي يطلق عليها (التفسير بالمأثور) مما جعله يحظى بالقبول لدى العلماء))[٤] .

وفاته :

ورد أنّه: ((كانت وفاتهُ وقتَ المغربِ من عشيةِ يومِ الأحدِ ليومينِ بقيا من شوال من سنةِ عشر وثلاثمائة وقدْ جاوزَ الثمانينَ سنة بخمسِ سنين أو ست سنينَ ، وفي شعرِ رأسهِ ولحيتهِ سواد كثيرٌ))[٥] .

وفي روايةٍ أخرى أنّهُ ((ماتَ – رحمه الله – ببغدادَ يوم السبتِ بالعشيّ ودفن يوم الأحدِ بالغداةِ في دارهِ لأربع بقيتَ من شوال سنة عشر وثلاثمائة))[٦] ، وقبل أن تدنو منيته ((حضرَ جماعةٌ منهم : أبو بكر بن كامل ، فقيلَ لهُ قبلَ خروجِ روحهِ : يا أبا

(١) أنباه الرواة على أنباه النحاة : ٨٩/٣ .
(٢) الطبري النحوي من خلال تفسيره، الدكتور زكي فهمي أحمد شوقي الألوسي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، الأعظمية، ط١: ٢٣.
(٣) سير أعلام النبلاء: ١٧٠/١٠ .
(٤) تأريخ الطبري : ١/ز .
(٥) البداية والنهاية : ٥٩/١١ .
(٦) أنباه الرواة : ٩٠/٣ ، ووفيات الأعيان : ١٢/٤ .

جعفر أنتَ الحُجة فيما بيننا وبين الله فيما ندين بهِ ، فهل من شيء توصينا بهِ من أمرِ ديننا وبيِّنةٍ لنا نرجو بها السلامة في مفَادنا ؟ فقالَ : الذي أدين الله بهِ وأوصيكم هوَ ما ثبت في كتبي فاعملوا بهِ وعليهِ وكلاماً هذا معناه وأكثرَ من التشهدِ وذكر اللهِ عزَّ وجلَّ ومسحَ يدهُ على وجههِ وغمض بصره بيدهِ وبسطها وقد فارقت روحه الدنيا))[١] ، وذكرَ ابنُ كثير أنّه ((لما توفيَ اجتمعَ ومكثَ الناسُ يترددونَ إلى قبرهِ شهوراً يصلون عليهِ رحمه الله))[٢].

(١) سير أعلام النبلاء : ١٧٢/١٠ .
(٢) البداية والنهاية : ٥٩/١١ ، وينظر : لسان الميزان : ١/١٥ .

ثانيا:ـ التفسير

التفسير وآراء العلماء فيهِ :

كتبَ ابنُ جريرٍ الطبري تفسيرهُ المسمَّى بـ (جامع البيان عَنْ تأويل آي القرآن) في ثلاثينَ جزءاً ((يعدّ تفسير ابن جرير من أقومِ التفاسيرِ وأشهرِها كما يعدّ المرجعُ عندَ المفسرينَ الذين عنوا بالتفسيرِ النقلي وإن كانَ في الوقتِ نفسهِ يعدّ مرجعاً غير قليلِ الأهميةِ منْ مراجعِ التفسيرِ العقلي ، نظراً لما فيهِ من الاستنباطِ وتوجيهِ الأقوال وترجيحِ بعضها على بعضٍ ترجيحاً يعتمدُ على النظرِ العقلي والبحثِ الحرِ الدقيق))[١]، واشتهرَ تفسيرُه في الآفاق لأنهُ فسرَ النصَ بالنصِ والأثرِ بالأثرِ حتى أحبهُ العلماءُ وعشقهُ طلبةُ العلمِ[٢] ، وذكرَ الخطيبُ البغدادي (ت ٤٦٣هـ) ((بلغنيْ عنْ أبي حامدٍ أحمد بنِ أبي طاهرٍ الفقيه الأسفراييني أنّه قالَ : لوْ سافرَ رجلٌ إلى الصينِ حتى يحصل لهُ كتابِ تفسير محمد بن جرير لمْ يكنْ ذلكَ كثيراً))[٣]، ونقلَ العسقلاني (ت٨٥٢هـ) ((قال ابن خالويه الحافظ قال لي ابن خزيمة : بلغني أنَّك كتبت تفسير ابن جرير قلت: بل كتبته عنه إملاء، قال: كله ؟ قلتُ: نعمْ من سنة ثلاث وثمانين إلى سنة تسعين. قال فاستعاره مني ابن خزيمة، فردهُ بعد سنين، ثم قال: نظرت فيه من أوله إلى آخره فما أعلم على أديم الأرض أعلم من ابن جرير))[٤]، أما أبو محمد الفرغاني (ت ٧٤٨هـ) فقال: ((تم من كتب محمد بن جرير كتاب: (التفسير) الذي لو أدعى عالم أن يصنف منه عشرة كتب كل كتاب منها يحتوي على علم مفرد مستقصى لفعل))[٥]، ونقل صاحب كتاب كشف الظنون ((أن ابن جرير قال لأصحابه أتنشطون لتفسير القرآن قالوا

---

(١) التفسير والمفسرون:: ١٤٩/١ .
(٢) ينظر : تأريخ الطبري: ٥/١ .
(٣) تأريخ بغداد: ١٦١/٢ ، وينظر : البداية والنهاية : ٥٧/١١ ، وينظر : سير أعلام النبلاء : ١٦٩/١٠ .
(٤) لسان الميزان : ١٠٩/٥ .
(٥) سير أعلام النبلاء : ١٦٩/١٠ .

كم يكون قدره فقال ثلاثون ألف ورقة فقالوا هذا مما يفنى الأعمار قبل تمامه فاختصره في نحو ثلاثة الاف ورقة))[١].

أوليته بين التفاسير :

تميزَ (جامع البيان) بخصائصَ ومميزاتٍ جعلتْ منْه في منزلةٍ لم يُسبقُ إليها، ونقلَ الخطيبُ البغدادي عنْ أبي بكرٍ قولهُ عن تفسيرِ الطبري ((كتابٌ في التفسيرِ لمْ يصنف أحدٌ مثلهُ))[٢]، ولهذا التفسير ((الأوليةُ بين كتبِ التفسير أولية زمنية، وأولية من ناحية الفنِ والصناعةِ أما أوليتهُ الزمنية فلأنَّه أقدمُ كتابٍ في التفسيرِ وصلَ إلينا ، وما سبقهُ منْ المحاولاتِ التفسيريةِ ذهبت بمرورِ الزمنِ ، ولمْ يصلْ إلينا شيءٌ منها)) [٣]، و إذا نظرنا إلى ((أوليتهُ من ناحيةِ الفنِ والصناعةِ ، فذلكَ أمرٌ يرجعُ إلى ما يمتازُ بهِ الكتاب منَ الطريقةِ البديعة التي سلكها فيهِ مؤلفه حتى أخرجهُ للناسِ كتاباً لهُ قيمتهُ ومكانتهُ))[٤].

مصادر التفسير :

- إنَّ ابن جرير ((رجع إلى القراءاتِ وتخيَّرَ منها ، ورجَّحَ ما تخيَّرَه ، واستعانَ بكتب الفقهِ فعرض كثيراً من آراء الفقهاءِ في مناسباتها))[٥] .

- خوضه في مسائل الكلامِ ((تعرضَ صاحبهُ لبعض النواحي الكلامية عند كثير من آيات القرآن))[٦] وعرض آراء المتكلمينَ.

---

(١) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، مصطفى بن عبد الله الشهير بـ (حاجي خليفة) ، مطبعة البهية ، ١٩٤١م – ١٣٦٠هـ : ٤٣٧ .

(٢) تأريخ بغداد : ١٦١/٢ .

(٣) المصدر نفسه : الجزء والصفحة نفسها..

(٤) التفسير والمفسرون : ١٤٠/١ .

(٥) الطبري : ١١٩ .

(٦) التفسير والمفسرون : ١٤٦/١ .

- لم يغفل الطبري عن التاريخ فاستعان بكتبِ التاريخ ونقلَ ما يتعلق بالعجم من أخبار عن ابي إسحاق، كما نقل أيضًا عن وهبِ بن منبه[١].

- نقلَ الطبري من التفاسيرِ ((ما فيهِ من مشهورِ الحديثِ عن المفسرينَ وغيرهمُ وفيهِ من المسندِ حاجتهُ إليهِ، ولم يتعرض لتفسيرٍ غير موثوق بهِ فإنّهُ لم يدخل في كتابهِ شيئاً من كتابِ محمد بن السائب الكلبي ولا مقاتل بن سليمان ولا محمد بن عمر الواقدي لأنَّهم عندهُ أضناء))[٢].

- اعتماده على المأثورِ عن النبي (ﷺ)، وكذلك عرضه آراء الصحابة والتابعين[٣]، وذكره من سبقهُ في التفسير إذ ((ذكر فيه منْ كتبِ التفاسيرِ المصنفةِ عن ابنِ عباسٍ خمسةَ طرق وعن سعيد بن جبير طريقتينِ، وعن مجاهد بن جبر ثلاثةَ طرق ، وعن الحسن البصري ثلاثة طرق، وعن عكرمةِ ثلاثةَ طرق ، وعن الضحاك بن مزاحم طريقتين، وعن عبد الله بن مسعود طريقاً وتفسير عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وتفسير بن جريح، وتفسير مقاتل بن حبان))[٤].

- استشهادهُ بالشعر، إذ رجع الطبري إلى الشعرِ بشكلٍ واسعٍ[٥]، وكذلك عرضه لآراء النحاةِ وعلماء اللغة، وقد ((رجع إلى أراء نحاة البصرةِ والكوفةِ وإلى آراءِ علماءِ اللغةِ، مستعيناً بكتبِ علي بن حمزة الكسائي ويحيى بن زيد الفراء، وأبي الحسن الأخفش وأبي قطرب وغيرهم))[٦].

---

(١) ينظر: الطبري : ١١٩ .
(٢) الطبري النحوي : ٣٠ .
(٣) ينظر: الطبري : ١١٨ .
(٤) الطبري النحوي : ٣٠ ، وينظر : الطبري : ١١٨ .
(٥) ينظر: التفسير والمفسرون : ١٤٥/١ .
(٦) الطبري : ١١٩ ، ينظر : التفسير والمفسرون : ١٤٥/١ .

دواعي استشهاده بالشعر:

لقدْ أثّرتْ عوامل متعددة على الأدبِ الجاهلي بصورةٍ عامةٍ ، والشعر الجاهلي بصورةٍ خاصةٍ ، وكانتْ ذات تأثير سلبي يصلُ إلى درجةِ الجنايةِ عليهِ، حرمتْ بعضَ الدارسينَ منَ الوقوفِ عليهِ وما زالَ تأثيرُ بعضِ هذه العوامل قائماً إلى زمننا هذا، وكان من أبرزها تسمية ذلك العصر بالجاهلي، أثر في وهم الكثير من الناس والدارسين في أنه عصر عمهٍ وجهل، والذي انعكس على أدبه، وبعد ظهور الإسلام نظر الشراح المسلمون إلى الشعر في ذلك العصر أنه لا يرقى للإنتاج الذي جاء في العصور اللاحقة وتحرجوا من ذكره لأسباب تتعلق بوصفه يتعارض مع مبادئ الدين الجديد، فضلا عن ضعف الفهم العقلي لذلك الشعر[(١)]، بينما كانت للطبري رؤيته ويبدو أنه كان مدركًا أنّ ((الشعر في الجاهلية عند العرب ديوان علمهم ومنتهى حكمهم . به يأخذون وإليه يصيرون))[(٢)]، وكما وصفه الخليفة عمر بن الخطاب ﴿رضي الله عنه﴾ حين قال ((كانَ الشعرُ عِلمَ قَومٍ لَمْ يَكُن لَهُم عِلمٌ أصَحّ مِنهُ))[(٣)]، وإن لفظة (علم) تدل على إن الشعر كان يتبع بحثاً ودراسة ونقداً منظماً في حقيقته وقضاياه[(٤)]. ولذا وفق الطبري في الافادة من هذا الموروث وبالأخص الشعر الجاهلي وكان هذا عاملاً من عوامل عدة أسهمت في نضج المنهج السليم واتمامه عند الطبري في تفسيره، وكان من بين العوامل الأخرى أسلوب المفسر في توظيفه للشعر والاستعانة به في التفسير، فالشعر كما عند أبي هلال العسكري (ت٣٩٥هـ) ((ليس شيء من أصناف المنظومات يبلغ في قوة اللفظ منزلة

---

(١) ينظر: مكتبة الأدب الجاهلي بيلوغرافيا، رسائل جامعية، كتب بحوث مقالات، الدكتور عفيف عبد الرحمن، جامعة اليرموك، دار صادر، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٨م:١٥، ١٦.

(٢) طبقات فحول الشعراء ، تأليف محمد بن سلام الجمحي (١٣٩-٢٣١هـ) ، قرأه وشرحه أبو فهد محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، المؤسسة السعودية بمصر:٦٨ ، شارع العباسية ، القاهرة ، الناشر دار المدني بجدة، م١ : ٢٤ .

(٣) المصدر نفسه : المجلد والصفحة نفسها.

(٤) ينظر: وظيفة الشعر في التراث البلاغي النقدي عند العرب ، تأليف الدكتورة وسن عبد المنعم ياسين الزبيدي، مطبعة المجمع العلمي، بغداد ، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م : ٢١ .

الشعر))[١]، ولم يغفل الطبري في جعل الشعر شاهداً في تفسيره لتوضيح الفهم للقارئ وتيسيره أو هذا من خصائص الشعر وميزاته و((أن الشواهد تنزع من الشعر ولولاه لم يكن على ما يلتبس من ألفاظ القرآن وأخبار الرسول ﴿ﷺ﴾ شاهد))[٢]، والشعر عند عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ) ((مجنى ثمر العقول والألباب ومجتمع فرق الآداب والذي قيد على الناس المعاني الشريفة وأفادهم الفوائد الجليلة وترسل بين الماضي والغابر ، ينقل مكارم الأخلاق إلى الولد عن الوالد ، يؤدي ودائع الشرف عن الغائب إلى الشاهد حتى ترى به آثار الماضينَ مخلدة في الباقينَ وعقول الأولينَ))[٣]، وسار الطبريُّ على نهجِ السلفِ الصالح في الاستعانةِ بالشعر على التفسيرِ، فقد ((كان ابن عباس يستعين على التفسير بالشعر، فقد كانَ يسأل عن الشيء من القرآنِ فيقولُ فيه كذا، أما سمعتم الشاعرُ يقولُ كذا، وكان يقول إذا أعياكم تفسير آية من كتابِ اللهِ فاطلبوهُ في الشعرِ، فإنّه ديوان العربِ))[٤].

ودَّون الطبريُّ في تفسيرهِ الشواهد الشعرية لعرضِ مسائلِ الخلاف وآراء الفرق المختلفة في التفسيرِ ومن خلال ما قمت به من جمعِ تلكَ الأشعارِ واحصائها، وتحقيق نسبتها إلى أصحابها تبين لي أنَّهُ استشهد بشعر الشعراء الذين أجمع جمهورُ العلماء على جوازِ الاحتجاجِ بشعرهمْ مثلَ شعراء العصر الجاهلي والشعراءِ المخضرمينَ وشعراء صدر الإسلام والعصر الأموي ولم يستشهدْ بأشعارِ المولدين وكانَ ((يرجعُ إلى شواهد الشعرِ القديم بشكل واسع ، متبعاً في هذا ما أثارهُ ابنُ عباسٍ في ذلكَ))[٥].

---

(١) كتاب الصناعتين: لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، ط٢، دار الفكر العربي: ١٤٣ .

(٢) المصدر نفسه: ١٤٤.

(٣) دلائل الإعجاز: لعبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (ت ٤٧١هـ) ، قرأهُ وعلق عليه محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ، السعودية ، مصر، ط٣، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م : ١٥ .

(٤) الطبري : ١٣٧ .

(٥) التفسير والمفسرون: ١/١٤٥ .

ثالثًا: الشعر الجاهلي وسماته

مدخل:

لقد نمت الأغصان والفروع، وكان لهذه الأغصان النضرة والفروع المثمرة جذورٌ عميقةٌ هذه الجذور ـ جذور أمة العرب ـ تعرضت لمحاولات قلع، فظلت تدق في الأرض وبقيت عميقة ضاربة في عمق الزمن، وذلك هو الأدب العربي في العصر الجاهلي، إذ ((إنّ الأدبَ العربيَ صورةٌ ناضجةٌ كاملةُ النضجِ قبلَ أنْ تتّصلَ الثقافةُ العربيةُ بغيرها من الثقافاتِ، ومن ثمّ اعتبر الأدب الجاهلي أعلى قمم الشعر على الإطلاق، وأذِن الشعراء لهذا الشعر أن يصبّ في أعماقه كي يحتفظ بذلك النقاء المنشود، ويستحيل إلى جسم واحد يفسر بعضه بعضًا، ويؤيد بعضُه بعضًا، ومن ثمّ لم يسأم أحد على الاطلاق من دعوى أن هذا النقاء الذي هو الصورة الناضجة المبكرة للأدب العربي))(١).

وحظي الشعر الجاهلي بدراسات عدة، مستلهمة منه الأدب والتاريخ وأصالة العرب، وفي دراسته ((لا يزال النقاد يتفقون على أن الشعر الجاهلي هو الشاهد الأمين على عبقرية العرب الشعرية، ولا يزالون يتفقون أيضًا على أن هذا الشعر صار قبلة الشعراء العرب في عصورهم المتقدمة والمتأخرة على حدّ سواء، فراحوا يستوحونه بوصفه المثل الرفيع الأعلى في صناعة الشعر))(٢).

وقبل أن نشرع في سفينة العصر الجاهلي، لا بد من البحث عن الجذور الأولى لذلك العصر وبداياته، وفي تحديد بداية هذا العصر ((قد يتبادر إلى الأذهان أنّ العصر الجاهلي يشمل كل ما سبق الإسلام من حقب وأزمنة، فهو يدل على الأطوار التاريخية

(١) قراءة ثانية لشعرنا القديم، د. مصطفى ناصف، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، لبنان:١٢.
(٢) الرحلة في القصيدة الجاهلية، وهب رومية، اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين، مطبعة المتوسط، ش.م.م. ط١، ١٩٧٥م:٩.

للجزيرة العربية في عصورها القديمة قبل الميلاد وبعده))[(١)]، ولكن عند دراسة العصر الجاهلي بتمعن ودقة، والبحث عن مدلول هذه اللفظة، تتبلور لنا نتيجة أن العصر الجاهلي لا يتسع الزمن كل هذا الاتساع، ولا حظ أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت٢٥٥هـ) هذا بوضوح فقال: ((أما الشعر العربي فحديث الميلاد صغير السنّ، أول من نهج سبيله، وسهل الطريق إليه امرؤ القيس بن حجر ومهلهل بن ربيعة ... فإذا استظهرنا الشعر وجدنا له - إلى أن جاء الله بالإسلام ـ خمسين ومائة عام، و إذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمائتي عام))[(٢)].

ومن خلال البحث الدقيق عن الجذور الأولى للعصر الجاهلي، تبرز لنا حقيقة مفادها أن المؤرخين أجمعوا ((على تحديد عصر العرب الجاهلي زمنيا بنحو قرن ونصف قبل ظهور الإسلام، أما قبل ذلك فقد اعتبروه عهد الجاهلية الأولى))[(٣)].

وازدهرت اللغة العربية ونضج الشعر، واستوى على سوقه، وسمي هذا العصر بالجاهلي، وفي البحث في معنى الجاهلية تبين ((أن كلمة الجاهلية التي أطلقت على هذا العصر ليست من الجهل الذي هو ضد العلم ونقيضه، وإنما هي مشتقة من الجهل بمعنى السفه والغضب والنزق، فهي تقابل كلمة الإسلام التي تدل على الخضوع والطاعة لله (ﷻ) وما يطوى فيها من سلوك خلقي كريم))[(٤)].

ويميل الدكتور علي الوردي إلى هذا الرأي واصفًا الذين قالوا بأن الجهل ضد العلم بالمغفلين، فيقول: ((يعتقد المغفلون من المسلمين أن الجاهلية مشتقة من الجهل، الذي هو ضد العلم، وهم يطلقون اسم الجاهلية على الزمان الذي سبق عهد النبوة، باعتبار أن

---

(١) تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي)، تأليف د. شوقي ضيف، توزيع منشورات ذوي القربى، قم، ايران:٣٨.

(٢) الحيوان، أبي عثمان عمرو بن بحر الملقب بالجاحظ،، شرح وتحقيق الدكتور يحيى الشامي، مج١-٣، منشورات دار الهلال، بيروت، لبنان، ٢٠٠٣م: ٥١.

(٣) أحلى أشعار الغزل العربية، عرض موجز لتاريخ شعر الغزل عند العرب، نبيل عبد الرحمن حياوي، ط٢، ١٩٨٧م:١١.

(٤) تاريخ الادب العربي (العصر الجاهلي)، شوقي ضيف:٣٩.

أهل ذلك الزمان كانوا جهلاء لا يعرفون من العلوم إلا قليلا، والواقع أن محمدًا كان يقصد بالجاهلية معنى آخر، تعني في نظره البغي والاستكبار، والافتخار بالنسب. وكان الصحابة في زمان النبي يفهمونها بهذا المعنى، بخلاف ما فهمه المغفلون من المسلمين بعد ذلك))[(١)].

وقد وردت الكلمة في القرآن دالة على معنى الطيش والغضب، قال تعالى: ((خُذْ العَفْوَ وَأْمُرْ بِالعُرفِ وَأَعْرِضْ عَنْ الجَاهِلِين))[(٢)]، وقال تعالى: ((وَقَالُوا أَتَتَخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الجَاهِلِين))[(٣)]، وكذلك جاءت بهذا المعنى في الحديث الشريف في قول النبي (ﷺ) لأبي ذر وقد عيّرَ رجلا بأمه ((إنّكَ أمروٌ فِيْكَ جَاهِلِيّة))[(٤)].

أما في الشعر فنجد أن عمرًا بن كلثوم التغلبي أورد المعنى في معلقته فيقول:

ألا لَا يَجْهَلَنْ أحـدٌ علَيْنَا فَنَجْهَلَ فَوقَ جَهْلِ الجَاهِليْنا[(٥)]

أما مادة (جهل) فقد وردت في الذكر الحكيم اربعًا وعشرين مرة، أربعة موارد منها بلفظة (جهالة)، وهي تشير إلى الجهل، والذي قرن بالتسامح في قوله تعالى: ((إنما التَوْبَةُ على الله للذينَ يَعْمَلونَ السُّوءَ بِجَهَالةٍ))[(٦)]، ووردت لفظة (الجاهل) مرة واحدة، وهي في مقابل

(١) أسطورة الأدب الرفيع، د. علي الوردي، دار كوفان للنشر والتوزيع، دار كنوز الأدبية، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٩٤م:١٤٠.
(٢) الأعراف:١٩٩.
(٣) البقرة:٦٧.
(٤) صحيح البخاري: محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن بردزبه البخاري(ت ٢٥٦هـ)، تحقيق طه عبد الرؤوف اسعد، مكتبة الايمان بالمنصورة، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م:١٩.
(٥) ديوان عمرو بن كلثوم: شرحه وضبط نصوصه وقدم له د. عمر فاروق الطباع، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان:٨٧. والبيت من الوافر.
(٦) النساء: من الآية١٧.

العالم، أما التعابير الأخرى فتشير إلى الجهل في مقابل التوحيد، ومنه قوله تعالى: ((قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ))(١)، فوصف الشرك بالجهل، ووردت تعابير وهي تشير إلى الجهل في ما يقابل حكمًا من الأحكام الإسلامية، قال تعالى: ((أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ))(٢)، والمراد من الآية الكريمة بأن الجهل يُرادُ به الباطل وسلوك الإثم، ومما تبين من الآيات أن المراد بالجاهلية ليست بالمعنى الذي هو ضد العلم، وتحمّل على المعنى الثاني وهو سلوك الباطل وبناء الحياة عليه لسببين، أولهما أنّهُ أمرٌ لا يمكن التسامح أو التساهل فيه، والسبب الثاني في كثرة الآيات الواردة التي تشير إلى هذا المفهوم في القرآن الكريم(٣).

وأرى صواب هذا الرأي لما جاءنا من علوم ومعارف كانت عند العرب، فقد عرفوا الطب وكان قد وصلهم من الأمم الأخرى كالفرس واليونان والرومان، وكان لديهم أطباء مثل الحارث بن كلدة، الذي تلقى علوم الطب في بلاد فارس، وعرفوا الأنساب والأخبار، ويعد دغفل السدوسي من أشهر النسابين في ذلك العصر، الذين عرفوا الفراسة، وكانوا يستدلون بألوان الإنسان وكلامه على خلقه، وعرفوا القيافة وهي الاهتداء بآثار الأقدام إلى الهارب، وعرفوا الكهانة وهي معرفة الأخبار عن الماضي والمستقبل،

(١) الأعراف: من الآية ١٣٨.
(٢) النمل:٥٥.
(٣) ينظر: مجلة الينابيع، موضوع بقلم الشيخ محمد العزاوي، كلية الدراسات الانسانية، جامعة الكوفة، العراق، نشر مدرسة الحكمة، النجف الأشرف، العراق، العدد١٢، جمادى الأولى،، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م: ١٢٧-١٢٨.

والعرافة وهي معرفة الأخبار الماضية(١).

ومما يؤيد هذا ((أن الله لم يبعث محمدًا لكي يعلم الناس العلوم والفنون، بل بعثه نبيا مصلحًا، وشتان بين تعليم العلوم، والدعوة إلى الإصلاح الاجتماعي وتحسين الأخلاق))(٢).

وبعد هذه السطور التي شرعت فيها بالتعرف على العصر الجاهلي وجذوره، والبحث في مدلول اللفظة، لا بد من الإشارة إلى أن ما وصل إلينا من شعر في هذا العصر يمثل وثيقة مهمة، فهو سجل لأخلاق العرب، وعاداتهم، ودياناتهم وعقليتهم.

سمات الشعر الجاهلي:

مثّل الشعر الجاهلي الصورة الصادقة لحياة العرب آنذاك، وكانت بيئة الجزيرة العربية خزينا لا ينضب يمد الشعراء بصور شتى من تلك الحياة، وقد ((ولد الانسان أمام هذه الطبيعة الساحرة، تخضرُّ بين يديه، في ردائها المزركش القشيب، فاستلهم بطبعه منها ما استودعته من محاسن هذه الحياة، وقد شاقه ذلك إلى التغني ببدائع ما رسمته يمين القدر على صحائف الوجود من لطيف الأثر وجميل الصور، كانت هذه الفطرة الشاعرة تختمر في صدره وتتماثل إلى الكمال في نفسه، حتى غلبته على احتمال، وتبدت في تلك المثال العذب من جميل الأدب على لسانه))(٣)، لذا فالطبيعة بما تحمله من صور مصدر إلهام للشاعر في العصر الجاهلي، الذي كان ساعيًا أن يتجمع ويستوعب صورا كثيرة يضمها ويصفّها في نسق واحد، وكانت الجزيرة كلها بالنسبة لشاعر الجاهلي تستوعب وتنبض، بل إنه يسعى كالذي يشعل النار في كل مكان وفي ليلة ظلماء، ليكون المكان جذوة من اللهب، ولذلك تركت الصحراء بصماتها على الأدب

(١) ينظر: الحياة الأدبية في العصر الجاهلي، محمد عبد المنعم خفاجي، دار الطباعة المحمدية، درب الأتراك بالأزهر، القاهرة، ١٩٥٨م:٦١، ٩٦، ٩٧.
(٢) اسطورة الأدب الرفيع: ١٤٠.
(٣) ادب العرب في عصر الجاهلية، د. حسن الحاج حسن، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط٣، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م:٤٠.

بشكل عام، والشعر بشكل خاص في العصر الجاهلي، وكان هذا العامل الأول والأبرز في التأثير بالشعر الجاهلي، ويعود العامل الثاني إلى ((البيئة الاجتماعية، فالقبيلة التي شكلت الوحدة السياسية آنذاك، وكانت بمثابة الدولة في أيامنا هذه، وقانون العصبية وما تبعه من ثأر وجور، وذوبان بشخصية الفرد في الجماعة، وطغيان روح الجماعة على النزعة الفردية، كل هذه أثّرت في أدب الجاهلية، وصبغته بصبغة متميزة))(١).

وتعد البيئة الثقافية عاملا ثالثا مؤثرًا وفعالًا في نتائج تلك الحقبة، التي وجد فيها مؤشرات متعددة توحي بغناها الثقافي والفني المتنوع، والذي غزت به الشعر الجاهلي وأغنت مضمونه، ((والعناصر الفنية الأصلية في القصيدة الجاهلية، هي التي تجعلها قصيدة حية، كلما عرض لها الدارسون، أو وعاها متذوقو الشعر وقارئوه، والتدليل على خلود الشعر الجاهلي وحيويته وتجربته يدعونا إلى أن نتجه إلى الشعر نفسه، وأن ندعه يتحدث عن نفسه))(٢)، وكان للتجارة تأثير في الشعر، إذ أن ((اشتغال قطاع لا بأس به منهم بالتجارة، داخل الجزيرة وخارجها، وقد تحدث القرآن الكريم عن ذلك، وبين أهميتها بالنسبة إليهم في مواطن كثيرة، ولولا أهميتها لما كررت))(٣)، قال تعالى: ((رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَوٰةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ))(٤)، وقال تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ))(٥)، كذلك أثرت الحروب التي يطلق عليها (الأيام) في الشعر الجاهلي، وتركت بصماتها في ذلك الشعر(٦).

(١) مكتبة الأدب الجاهلي: ١٣.
(٢) الشعر الجاهلي، دراسة في تأويلاته النفسية والفنية، د. سعد حسون العنبكي، منشورات دار دجلة ناشرون وموزعون، المملكة الأردنية الهاشمية، عمان، ط١، ٢٠٠٧م: ٣٧١.
(٣) مكتبة الأدب الجاهلي: ١٤.
(٤) النور: ٣٧.
(٥) الصف: ١٠
(٦) ينظر: مكتبة الأدب الجاهلي: ١٤.

وفي تتبع البحث للشعر الجاهلي ودراستي في دواوين شعرائه، تبينت جملة من السمات المعنوية واللفظية تميز بها الشعر الجاهلي من سواه، وأهم ما وجدته في الشعر الجاهلي هو تأثير حياة البادية فيه، فقد ((كانت البادية هي بيئة، مع نبوغ عدد من أهل المدن بالقصيد، غير أن فحول الشعر هم من أهل الوبر الذين كانوا يسكنون الخيام في بواديهم وصحاريهم، وعلى هذا الأساس، نرى خصائص الشعر تدور حول البادية وما فيها من طلل وناقة وفرس وصيد ووصف لرحلاتهم وما يركبونه))[١].

وتبين ((أن الأثر البدوي قد ترك وسمه على الشعر الجاهلي، فطبعه بطابع خاص، وميزه بصفات خاصة، حددت أفق الشعراء في اطار البيئة المحدودة فضعف خيالهم، وتشابهت صورهم، وظهر التكرار في الصور والمعاني عند الشاعر الواحد، كما عند الشعراء عامة))[٢].

وسأحاول استعراض أبرز السمات التي تميز بها الشعر الجاهلي، ومنها:

أولًا ـ السمات المعنوية:

١. الصدق: يعدّ الشعر الجاهلي وثيقة جاءت إلينا من ذلك العصر، مثّل فيها الشاعر ((حياته وبيئته بكل ما فيها، وبجميع ألوانها، وما يختلج في نفسه دون تكلّف، فهو يتحدث بما يشعر به هو، فقد وصف المعارك، واعترف بالهزيمة أحيانًا أو بفراره، ويعترف بخصومه ويصف شجاعتهم، ولهم في ذلك قصائد تلقب بالمنصفات))[٣].

٢. البساطة في الشعر: اتسمت الحياة الجاهلية ببساطتها، لذلك جاءت المعاني التي عبرت ((عنها بسيطة، لا تركيب فيها ولا تعقيد، فهي مستمدة من البيئة

---

(١) شعراء العرب، العصر الجاهلي، يوسف عطا الطريفي، الأهلية للنشر والتوزيع، المملكة الأردنية، عمان، ط١، ٢٠٠٦م:١٦.
(٢) أدب العرب في عصر الجاهلية:٤٥.
(٣) العصر الجاهلي:١٦.

ومظاهرها، فلا نرى مظهرًا واضحًا للمعنى المركب، أو المعاني العقلية المعقدة، وإنما هي معانٍ حسية واقعية))(١).

ومن هذه البساطة والصراحة قول طرفة بن العبد(٢) في ذكر اسم محبوبته خولة علانية(٣)، فيقول:

لِخَـوْلَـةَ أطْـلَالٌ بِبَرْقَـةِ ثَـهْمَدِ تَلُوحُ كَبَاقِيْ الوَشْمِ فِي ظَاهِرِ الْيَدِ(٤)

٣. الشمولية في التعداد: عمد الشعراء الجاهليون أن يجمعوا في البيت الواحد معانٍ عدةٍ، ومن ذلك قولُ امرئ القيس(٥):

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِ كرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ بِسِقْطِ الّلوَى بَيْنَ الدّخُولِ فَحَوْمَلِ(٦)

فإنه قد ((وقف واستوقف وبكى واستبكى وذكر الحبيب والمنزل في بيت واحد))(٧).

٤. خيال الشاعر: ((البيئة الجاهلية محدودة المنظر، متشابهة المشاهد، وقد عبّر عنها الشعراء بخيال محدود بحدودها، يحلق في آفاق البادية بروائع التشبيهات، وطرائف الاستعارات، ومأثور الحكمة، فلا يسرف، ولا يوغل، لأنّه يستمد تشبيهاته واستعارته وكناياته من مناظر البادية وعاداتها))(٨).

٥. الاستطراد: تميز الشاعر الجاهلي بطول النفس الذي ((أدى إلى اطالة قصيدته، فينتقل من موضوعٍ إلى موضوع آخر، بمعنى أنه يستطرد ولا يلبث أن يعود إلى

---

(١) أدب العرب في عصر الجاهلية:٤٩.
(٢) طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك ،(طبقات فحول الشعراء:١٣٧/١).
(٣) ينظر: شعراء العرب (العصر الجاهلي):١٧.
(٤) ديوان طرفة بن العبد: شرحه وقدم له مهدي محمد ناصر الدين ، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، ط٣، بيروت، لبنان، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م:١٩. والبيت من الطويل.
(٥) امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن حجر آكل المرار،(طبقات فحول الشعراء:٥١/١). والبيت من الطويل.
(٦) ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعارف بمصر، ط٣، ١٩٦٩م:٨. والبيت من الطويل.
(٧) شعراء العرب (العصر الجاهلي): ١٧.
(٨) ادب العرب في عصر الجاهلية: ٥١ .

غرضه، أو قد يتحول وينهي قصيدته بما يحب))[١].

٦. النزعة الوجدانية: وقد بدت عند الشاعر الجاهلي وهو ((يصف نفسه وشعوره، حتى عندما يمدح أو يرثي أو يقول الحكمة، لأنّ بساطته وطبعه مطبوع على الصراحة، فلا يتلعثم، أو لا يتطرّف، ومن أجل ذلك فقد فضل النقاد شعر البداوة على الشعر الحضري، لما عند البدوي من عفوية في النظم، ويسر في الحياة، وبعد عن التعقيد))[٢].

ثانيًا- السمات اللفظية:

١. الجودة في السبك والمتانة في التركيب: ((تتسم الأساليب الجاهلية بجودة السبك ومتانة التركيب وفخامة النسج وشدة الأسر، تظهر فيه طبيعة جوهم، وسذاجة حياتهم، فلا نجد الزخرف المتكلف ولا الأداء المتصنع، إنما يبدو الجمال الطبيعي والسبك القوي والأداء الفطري، لذلك شاع الإيجاز في أساليب الشعراء والخطباء، لأن طبيعتهم تأنف الاستقصاء، وتكره التحليل والحشو))[٣].

٢. الغرابة في الألفاظ والجزالة فيها: اتسمت ألفاظ الشعر الجاهلي ((بسمة الغرابة والجزالة، ويرشح منها وعورة الصحراء وعنجهية البداوة، وخشونة العيش، وذلك لتأثر الشعراء بمظاهر البيئة الجاهلية، حيث تركت أثرها في قوة طباعهم، ونظام اجتماعهم، الى جانب هذه الصور الجافية تطالعنا صورة من البادية شفافة، رقيقة، تسيل رقة وعذوبة وسهولة ووضوحًا، ويختلف هذا التأثر من بيئة إلى أخرى، بين البادية والحاضرة، وبين أمزجة الشعراء وطباعهم))[٤].

٣. التنقيح والتهذيب: عني الشاعر الجاهلي بشعره وقصائده، وعمد إلى تدقيق الموضوعات التي تناولها، والى التفصيل في أوصاف الموضوعات، فيولد في

---

(١) شعراء العرب (العصر الجاهلي): ١٧.
(٢) م.ن: ١٦.
(٣) أدب العرب في عصر الجاهلية: ٤٧.
(٤) م.ن :٤٦.

معانيها، وينشأ من المعنى الواحد صورًا مختلفة ليصور شعره لوحدة تامة خالصة، ونجد ((أن الشاعر الجاهلي يجري في شعره على طبيعته الفطرية، وعلى سجيته فهو لم يتكلف نظمه، وإنما يلقيه كما يخطر له ويدور في خياله، وكان الشاعر ينقح شعره ويهذبه، ويصغي جهده لإثبات براعته، فكان منهم من يخرج قصيدته في حول كامل، حتى تخرج القصيدة تامة مستوية، وهذا ربما يوضح أن الشاعر لم يكن يضع قصيدته دفعة واحدة، وربما غيّر بعضَ أبياتها، أو حذف أو زاد حتى تكتمل))(١).

(١) شعراء العرب (العصر الجاهلي): ١٦.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمدُ لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد والهِ الطاهرين واصحابه الغر المنتجبين وبعد:

فمنذ ما يقارب الخمسة عشر عاماً أي في بداية مشوار حياتي الدراسية إذ كنت معلماً للقرآن الكريم نمت في نفسي رغبة ان اكون على تماس مباشر مع القرآن الكريم وإن لا يفارقني في مراحل دراستي كافة.

ففي السنة الاولى من دراستي لنيل شهادة الماجستير كان من بين الكتب التي درستها اعجاز القرآن للقاضي أبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني (ت ٤٠٣هـ)، الذي قام مؤلفه بإجراء موازنة بين القرآن الكريم وشعر بعض الشعراء وتفنيد العيوب واظهارها في اشعارهم، ومن البديهي المعروف عند ادنى عقول البشر ان القرآن الكريم لا يمكن ان يوازن بكلام البشر، ولا اريد هنا أن ارمي الاشجار المثمرة كالباقلاني، بل إنني ادنى من ان اقيم اسلوب عالم جليل مثلهُ، لكن الذي دار بخاطري في ما لو كان العكس، أي الإفادة من الشعر في تفسير القرآن الكريم وبالخصوص الشعر الجاهلي لأن القرآن الكريم نزل بلغة العرب، وخير دليل على فهم لغة العرب هو الشعر فكان هذان المبرران بمنزلة السببين لدراستي الشعر الجاهلي التي جاءت تحت عنوان ((شواهد الشعر الجاهلي في تفسير الطبري(٣١٠هـ)- دراسة في قيمه الفنية وتوظيفه التفسيري)) في تفسير ((جامع البيان عن تأويل آي القرآن))(1)، المعروف بتفسير الطبري لمؤلفه

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري): تأليف الامام ابي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، طبعة مقابلة على الاجزاء المطبوعة، بتحقيق الاستاذ محمود شاكر، ومصححة ومرقمة الاحاديث والاثار وملحقة بفهرس للاحاديث واخر للأشعار والآيات كلها برسم المصحف العثماني، اعتنى بتصحيحه وفهرسته مكتب التحقيق والاعداد العلمي في دار الاعلان، عمان، الاردن، ، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

الامام ابي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، واعتمدت طبعته الصادرة من دار ابن حزم في بيروت لبنان، ودار الاعلام في عمان الاردن لعام (١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م)، واخترت هذه الطبعة لما تميزت من مقابلتها على الطبعة المحققة للأستاذ محمود شاكر وما بدا من عناية بتصحيح فيها في مكتب التحقيق والاعداد العلمي في دار الاعلام في الاردن فضلاً عن اتقان طباعتها والعناية بالأسانيد والمتون فيها- وقد مهدتُ لدراستي بالتعريف بالمفسر الجليل الطبري، وبيان علمه وفضله ومؤلفاته، ومن ثم وفاته وبيان دواعي استشهاده بالشعر، وبيان سمات الشعر الجاهلي لما له من صلة مباشرة في دراستي، واقتضت الدراسة أن تقوم الدراسة على ثلاثة فصول، تضمن الاول منها عرض شواهد الشعر الجاهلي، وتبويبها في الاغراض الشائعة في الشعر العربي مبتدأ بأكثرها توظيفا، ثم الاقل فالأقل وهكذا. ودار الفصل الثاني في بيان ملمح الصلة والعلاقة (التعالق) بين القران الكريم والمفردات الواردة في الشعر الجاهلي التي استعان بها الطبري في تفسيره، اما الفصل الثالث فكان مخصصاً ببيان القيمة الفنية التي حفلت بها الشواهد الشعرية، ودور هذه القيم في التفسير للآيات القرآنية، وفي اثناء الدراسة اطلعت على عدد من الكتب، منها كتاب الطبري للدكتور أحمد الحوفي، وكتاب الطبري النحوي للدكتور زكي فهمي احمد الالوسي، وكتاب منهج الامام ابن جرير الطبري في الترجيح تأليف الدكتور حسين علي الحربي، زيادة على رسالة بعنوان ***((منهج الامام ابن جرير الطبري في الترجيح بين اقوال المفسرين))*** للطالب تمام موسى الشاعر من جامعة النجاح الوطنية في نابلس في بلدنا العربي العزيز فلسطين وبإشراف الدكتور محسن سميح الخالدي، وعلى الرغم من أهميتها، إلا أنها لا تلتقي مع إجراءاتي في الرصد المنهجي، فقد تناول الدكتور أحمد الحوفي بتوسع شخصية الطبري، ودرس الدكتور فهمي الآلوسي الجوانب النحوية في التفسير، بينما تناول الدكتور حسين علي الحربي في كتابه، والطالب تمام كامل موسى الآراء التي عرضها الطبري من بين

اقوال المفسرين، ولذلك قررت ان اتجشم دراسة الشعر الجاهلي في التفسير وبيان الجوانب الأدبية والفنية في ذلك الشعر، والعلاقة بينه وبين آيات القرآن الكريم ودراستها بطريقة منسجمة مع ما رآهُ الطبري وابتغاه في العلاقة بينهما، واستعنت بكل ما وجدتُ له ارتباطًا بالرسالة من مراجع ومصادر دينية وأدبية وتوخيت الدقة والحذر وسرت في هاجس من الشك في توثيق أية معلومة الا بعد الاطمئنان الكامل من دقتها ومدى صحتها وكانت تردد في ذهني الآية الكريمة ((مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ))[ق:١٨].

واخترت لنفسي نهجاً هو الابتعاد كل البعد عن أي اثر للعاطفة او الهوى او الميول الشخصية، ووضعتُ امام عيني حقيقة أن الشعر الجاهلي منبع أصيل لتفسير القرآن الكريم، وان الكثير من المفردات في الشعر الجاهلي تتعالق معه)، التي قدمتها للقارئ بشكل يسهل فهمه داعياً الله (ﷻ) ان يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه وان يضعه في ميزان حسناتي ويطهر نفسي من العجب والرياء، ونرجو ان يبيح لنا القارئ الكريم هفواتنا وقصورنا وعجزنا عن الوصول إلى ادنى مراتب القبول والكمال في اعمالنا كافة الا بتوفيق من الله (ﷻ) ولطفه بنا.

وان هذه التجربة خطوة أولى، لا يمكنها أن تكون منزهة من النقص والخطأ والزلل، أسأل الله التوفيق والسداد.

✍ **الباحث**

التمهيد

أولاً:ـ ابن جرير الطبري

- ولادته
- نشأته
- علمه وفضله
- مؤلفاته
- وفاته

ثانياً:ـ التفسير

- التفسير وآراء العلماء فيه
- أوليته بين التفاسير
- مصادر التفسير
- دواعي استشهاده بالشعر

ثالثًا:ـ الشعر الجاهلي وسماته

الفصل الأول

شمولية الرصد (الأغراض بأنواعها)

مدخل

١. غرض الوصف
٢. غرض المدح
٣. غرض الغزل
٤. غرض الحكمة
٥. غرض الفخر
٦. غرض الهجاء
٧. غرض الرثاء

الفصل الثاني

ملمح التعالق بين القرآن الكريم والشاهد الشعري

مدخل

١. ملمح التعالق في غرض الوصف
٢. ملمح التعالق في غرض المدح
٣. ملمح التعالق في غرض الغزل
٤. ملمح التعالق في غرض الحكمة
٥. ملمح التعالق في غرض الفخر
٦. ملمح التعالق في غرض الهجاء
٧. ملمح التعالق في غرض الرثاء

الفصل الثالث

القيم الفنية للشعر الجاهلي في تفسير الطبري

مدخل

١. اللغة والأسلوب

٢. الصورة الشعرية

٣. البنية الايقاعية

الخاتمة

المصادر والمراجع

مستخلص

الرسالة باللغة الإنكليزية

مدخل:

ليس من اليسير حصر الشعر العربي في أغراض معينـة، فلقد ((نظر الأقدمون في الشعر العربي للتعرف على فنونـه وموضوعاته، وتصنيفها ووضع كل منها تحت العنوان الذي يناسبه، فاختلفوا اختلافا كبيرا لاختلاف المنهج))[١]، ولا يمكن أن توضع القصيدة العربية في العصر الجاهلي في غرض واحد أو فن تجاهلًا إن للقصيدة مرمى وهدفا ابتغاه الشاعر غير ما يراه الباحث في تبويبه لقصيدة ذلك العصر، بل وحتى لبيت من أبياتها في غرض معين، وعند دراستي الشعر الجاهلي الذي استند إليه الطبري في تفسيره، وفي قراءتي دواوين الشعراء الجاهليين، وتحليل الأبيات وشرحها في أكثر من ديوان ومصدر، فضـلًا عن المجاميع الشعرية التي قرأتها وجدتُ أن أغلب الأبيات تحمل في طياتها أكثر من تفسير وتأويل، وبالتالي تختلف الرؤيا في وضع القصيدة في غرض خاص، وإن ذلك التقسيم يجعل من ((القصيدة الجاهلية مجرد مجموعة من الأغراض المتنافرة التي لا يربط بينها سوى وحدة الوزن والقافية والقائل الشاعر))[٢].

ولذا يرى بعضهم أن للقصيدة الجاهلية ((مستوى ثانيا يختبئ وراء المعنى الظاهر المتعدد، وفي المستوى الثاني أو التحتي يتوحد الموضوع، وتتحقق الوحدة الفنية أو الجمالية للقصيدة الجاهلية))[٣].

أَما البواكير الأولى في ((أقدم من حأول تقسيم الشعر العربي جاهليا وغير جاهلي إلى موضوعات ألّف فيها ديوانا هو ابو تمام المتوفى حوالي (٢٣٢هـ) فقد نظمه في عشرة موضوعات، هي الحماسة، والمراثي، والأدب، والنسيب، والهجاء، والأضياف ومعهم المديح والصفات والسير، والنعاس والملح، ومذمة النساء، وهي موضوعات

---

(١) الأدب العربي بين البادية والحضر: د. ابراهيم عوضين، وكيل كلية اللغة العربية بالمنصورة، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م: ١٣١.

(٢) دراسات في الأدب الجاهلي: د. عبد العزيز نبوي، الناشر لخدمات الطباعة ، مطبعة حسان، شارع الجيش، القاهرة، ط٢، ١٩٨٨م: ١٣.

(٣) دراسات في الأدب الجاهلي: ١٣٠.

يتداخل بعضها في بعض، فالحديث عن الأضياف إما أن يدخل في المديح أو في الحماسة والفخر، والسير والنعاس يدخلان في الصفات، كما تدخل مذمة النساء في الهجاء))[١].

ثم جاء من بعده قدامة بن جعفر (٣٣٧هـ) في كتابه (نقد الشعر) ليقسم الشعر على ستة أغراض أسماها النعوت وهي نعت المدح، والمراثي، والتشبيه، والوصف، والنسيب[٢].

وجاء ابن رشيق القيرواني (٤٥٦هـ) ليقسم موضوعات الشعر في كتابه العمدة على تسعة أبواب وهي النسيب، والمديح، والافتخار، والرثاء، والاقتضاء والاستنجاز، والعتاب، والوعيد والانذار، والهجاء وباب الاعتذار[٣]، وفي هذا التقسيم نجد أنه يمكن ضم بعض الموضوعات إلى الموضوعات الآخرى التي تشكل المركزية الاساسية ولها قصب السبق، من بين الموضوعات أو الأغراض الآخرى في الشعر العربي وكان ((من السهل أن يرد موضوع الاقتضاء والاستنجاز إلى المديح، والوعيد، والانذار إلى الهجاء وأن يضم العتاب إلى الاعتذار، وأيضا فإنه نسي موضوع الوصف))[٤]، والدارس لموضوعات الشعر الجاهلي يجد أن الموضوعات كثيرة، إلا ان نجد أن هناك أغراضا شاعت وطغت على الأغراض الأخرى كما يقول أبو هلال العسكري (ت٣٩٥هـ) عند دراسته أغراض الشعر ((ولما كانت أغراض الشعر كثيرة ومعانيها

---

(١) تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي): ١٩٥.

(٢) ينظر: نقد الشعر: لأبي الفرج قدامة بن جعفر، تحقيق كمال مصطفى، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م: ٦٤ ، ٩٢ ، ١٠٠ ، ١٠٨ ، ١١٨ ، ١٢٣.

(٣) ينظر: العمدة في محاسن الشعر وآدابه: للامام أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني (ت ٤٥٦هـ)، تحقيق محمد عبد القادر احمد عطا، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م: ٢/ ٦٥، ٧٧، ٩٢، ١٠٦، ١٠٩، ١١٥، ١١٨، ١٢٣.

(٤) تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي): ١٩٥.

متشعبة جمة لا يبلغها الاحصاء كانت من الوجه أن نذكر ما هو أكثر استعمالا وأطول مدارسة له وهو المدح والهجاء والوصف والنسيب والمراثي والفخر)) [1].

وفي استقرائي لأبيات من الشعر الجاهلي في تفسير الطبري وجدت ان هذه الأغراض كانت هي البؤرة والمحور الذي اعتمده الطبري في استشهاده بالشعر، وتوظيفه الشاهد الشعري، ومما ينبغي ذكره أن هناك أغراضا آخر استقرأتها ووجدتُ لها حضورًا في التفسير مثل غرض الحكمة لما له ـ بطبيعة الحال ـ من التصاق بمفاهيم آيات الذكر الحكيم وسوف أولج هذا الفصل في دراسة شمولية في رصد هذه الأغراض ودراستها متسلسلة على وفق كثرة الشواهد التي وردت في التفسير التي بوبتها واحصيتها في الموضوعات والأغراض المتسمة والخاصة بها.

(١) كتاب الصناعتين: ١٣٧.

١. غرض الوصف:

ويُراد به ((وصفَ الشيءَ له وعليه وَصْفًا وصِفةً حَلّاه))[١]، ويُعدّ من أهم الموضوعات وأكثرها اتّساعًا في الشعر الجاهلي، وهو ((من الفنون البارزة التي برع فيها الشعراء الجاهليون، فقد نظروا في الطبيعة الصحراوية ودققوا النظر، فوصفوا كلّ ما وقعت عليه أعينهم))[٢]، ويندرج الكثير من الشعر الجاهلي تحت هذا الغرض[٣] وأن ((الشعر إلا أقلّه راجعٌ إلى باب الوصف))[٤]، فقد تمازجت الطبيعة الصحراوية مع الإنسان ، ونظرا إلى ما زخرت بهذه الطبيعة من نبات وجبال ورمال وشعاب ووديان ، وما صاحبته من مظاهر طبيعية من رياح وبرق ورعد وأمطار، وما كان اعتمادهم عليه في تحصيل قوتهم، ورفيق رحلاتهم، وحروبهم وهو الحيوان ، فوصف الشعراء كله ذلك، وأهم أوصافهم :

أ. وصف الطبيعة :

كانت الطبيعة وما فيها من سماء، ورياض، وصحراء أحاطت بالشعراء، وشحذت في قلوبهم فك طلاسمها، فراح فكرهم يصورها في صور بلاغية معبرة عن جمالها البهيج[٥] وراحوا يخاطبونها ويشكون همومهم من خلالها بأساليب شتى، والطبري أورد قول الخنساء[٦] وقد صورت مظهرًا من مظاهر الطبيعة وهو الليل الذي كان عندها طويلا متمنية زواله وحلول الفجر قائلة :

---

(١) لسان العرب: للامام العلامة ابن منظور، طبعة مراجعة ومصححة بمعرفة نخبة من السادة والاساتذة المتخصصين، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، م٩: ٣١٩ ، مادة (وصف).

(٢) الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه:٢٤٩.

(٣) ينظر: دراسات في أدب ونصوص العصر الجاهلي:٢١١ د. عبد القادر أحمد، مكتبة النهضة المصرية، لأصحابها حسن وأولاده، ٩ شارع عدي باشا بالقاهرة، ط١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م:٢١١.

(٤) العمدة:٢٣٠/٢.

(٥) ينظر المبالغة والغلو عند شعراء المعلقات العشر - دراسة بلاغية : حمدية عباس جاسم ، رسالة ماجستير أجازتها كلية التربية جامعة بغداد ، بإشراف أ. د . احمد اسماعيل النعيمي ، ذي القعدة، ١٤٢٦هـ - كانون اول ٢٠٠٥م: ٧٣.

(٦) تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد بن رياح بن يقظة بن عصية (طبقات فحول الشعراء:٢٠٣/١).

أَرْعَى النُّجُومَ وَمَا كُلِّفْتُ رِعْيَتَهَا وَتَارَةً أَتَغَشَّى فضْلَ أَطْمَارِي [١]

ولم يكن ليل الخنساء وحده طويلا، بل جاء الطبري بقول النابغة الذبياني[٢]، بهذا المضمون في طول ليله فقال :

كِلِيْنِي لِهَمٍّ يَا أُمَيْمَةَ نَاصِبِ وَلَيْلٍ أُقَاسِيْهِ، بَطِيءُ الكَواكِبِ[٣]

وهنا يضفي على كواكب ذلك الليل صفة خاصة وهي أنها لا تغور .

أما لبيد بن ربيعة[٤] فراح يصور سحابة أصابت العديد من القبائل العربية، فسقت بني مجد وهم قوم يُنسبون إلى أمهم، وهم قوم أولاد مجد بنت تميم بن غالب، أما أبوهم فهو ربيعة بن عامر بن صعصعة، وسقت أرض نمير وهو اسم الأب لقبيلة من قبائل قيس بن صعصعة بن بكر بن هوازن، وسقت أرض هلال وهو الأب لحي من أحياء قبيلة هوازن[٥]، فقال واصفًا تلك السحابة:

سَقَى قَومِي بَنِي مَجْدٍ وأسْقى نَميْرًا وَالقَبائِلَ منْ هِلالِ[٦]

وكان للرياح نصيب في وصف الشعراء الجاهليين فالنابغة الذبياني وصف لنا ريحًا هبّت من أرض غطفان[٧] فقال فيها:

وَهَبّتْ الريحُ من تِلقاءِ ذي أُرلِ تزجي مَعَ الليلِ من صَرادِها صَرِما[٨]

(١) ديوان الخنساء ، تحقيق د . درويش الجويدي المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت الطبعة الاولى ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م : ٨٥، تفسير الطبري: م ٧، ج١١ : ٢٣٠ والبيت من البسيط .

(٢) زياد بن معاوية بن ضباب بن جابر بن يربوع بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان (طبقات فحول الشعراء: ٥١/١).

(٣) ديوان النابغة الذبياني ، د . عمر فاروق الطباع ، دار القلم - بيروت - لبنان : ١٧ ، تفسير الطبري : م١٢ ، ج٢٣: ٢٠٢ والبيت من الطويل.

(٤) لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر، ينظر:(طبقات فحول الشعراء:١٢٣/١).

(٥) ينظر: شرح ديوان لبيد: حققه وقدم له د. احسان عباس، طبع بمطبعة حكومة الكويت، ١٩٦٢م: ٩٣.

(٦) ينظر: شرح ديوان لبيد:٩٣؛ تفسير الطبري: م٨، ج١٤: ١٤، والبيت من الوافر.

(٧) ينظر: ديوان النابغة: ١٠٩.

(٨) ديوانه: ١٠٩؛ وتفسير الطبري: م٨، ج١٣ :٦٤. والبيت من البسيط.

ب. وصف الحيوان :

كانت الحيوانات قريبة من نفس الإنسان وعواطفه في العصر الجاهلي ، وكان لها أشد الأثر في يوميات حياتهم ، فاعتنوا بها عناية كبيرة ووصفوا أجسام الحيوانات وقوتها وعاداتها وطباعها وابرز الحيوانات التي أحبوها وارتبطوا بها ارتباطا وثيقا :

ـ **الخيل** : أحب الإنسان العربي الخيل، بل وجد في نفسه محبتها ، قال (تعالى):

((زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ المسومة والأنعام وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ))[(١)]، ولقد أعطى الإسلام هذا الحيوان مكـــــانة ميزته من بقية الحيوانات الأخرى فقال النبي محمد (ﷺ): ((**الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة، الاجر والمغنم**))[(٢)].

ولذلك عُنيَ العربي بالخيل فهي صديقته في الحرب والسلم ، ففي الحرب وسيلته في الصول على الأعداء، وكانت صديقة الشاعر في السلم، ومن أهم وسائل حياته في الصيد والتسلية، ((ولم يعن الجاهليون بحيوان عنايتهم بالخيل ، فهي حبيبة إلى نفوسهم عزيزة عليهم ، يكرمونها ويؤثرونها بالطعام والشراب ، وهي زينة الفارس يمتطيها في نزهه وصيده ، وتكون حصنه عند الغارة، وسلاحه في الكر ونجاته عند الفرار، ولذلك خصوها بعناية فائقة))[(٣)].

ولم يقف الأمر عند هذا حسب، بل اختاروا لها أجمل الألوان ليصفوها به وانـــها عزيزه مصونة مثل الثياب الجميلة التي تصان وتحفظ بقطعة قماش تســـــمى (البقجة) لتباع بأغلى الأثمان وهي ذات لون أرجواني يشبه اللون الأحمر وهي فـــي

---

(١) آل عمران:١٤.

(٢) صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٦١هـ) مطبوعات مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح صبيح واولاده بميدان الازهر بمصر، ج٦ (باب الخيل في نواصيها الخير إلى يوم القيامة):٣٢.

(٣) الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه : ٢٥٣.

وشي وهيئة تجذب النفوس، هي ايضا ذات لون ما بين الأسود والأحمر يسمى الكميت، وهذا المعنى نجده في البيت الذي استشهد به الطبري من قول علقمة بن عبدة(١):

كُمَيتٌ كَلَونِ الارْجُوانِ نَشَرتهُ ... لِبَيْعِ الرَئيِ فِي الصُّوانِ المُكَعَّبِ(٢)

وكانت العرب تَسِمُ الخيلَ أي تعلِّمها بعلامة، و هذا المعنى أشار إليه لبيد بن ربيعة وهو يفتخر بخيله التي أتت على العدو في معركة حدثت بأرض القرنتين بين غطفان وبني عامر(٣)، إذ يقولُ :

وَغَداةَ قاعِ القَرْنتينِ أتيَنهُم ... زُجلًا يَلوحُ خِلَالَها التَّسويِمُ(٤)

وبرزت في العصر الجاهلي جماعة من الشعراء يطلق عليها (الفرسان) جادوا في ركوبهم الخيل، وكانت لهم ((بطولة نادرة في حربهم عليها لخصومهم، وأقرانهم، وهم كثيرون، فقد كان لكل قبيلة فارسها أو فرسانها الذين يتدربون على ركوب الخيل طويلا وكيف يقفزون عليها ويشهرون سيوفهم، ويلوحون برماحهم، وكيف يسددون ضرباتهم لأعدائهم، وتلقانا دائما أسماؤهم وخاصة في حروبهم الطويلة مثل حرب البسوس وفارسها المهلهل التغلبي))(٥)، ومن ابرز شعراء هذه الطائفة ((ومن فرسانها المشهورين عامر بن الطفيل(٦) فارس بني عامر بن صعصعة أقوى عشائر هـــــوازن وأشدها بأسا))(٧).

---

(١) علقمة بن عبده بن ناشرة بن قيس بن عبيد بن ربيعة ،(طبقات فحول الشعراء:١/١٣٧).

(٢) ديوان علقمة بن عبدة شرحه وعلق عليه وقدم له سعيد نسيب مكارم ، دار صادر بيروت ، لبنان، ط١، ١٩٦٦: ١٤.، وقد وردت في الديوان لفظة (الرداء) بدل (الرئي)؛ تفسير الطبري: م٩، ج١٦ :١٥٢ . والبيت من الطويل.

(٣) ينظر: شرح ديوان لبيد: ١٣٣ .

(٤) المصدر نفسه:١٣٣، ووردت كلمة (رهوًا) بدل (زجلا) ، تفسير الطبري: م٣، ج٤:٢٦٤:٣. والبيت من الكامل.

(٥) تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي): ٣٦٦.

(٦) هو عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب العامري وهو ابن عم لبيد الشاعر وكان فارس قيس ويبدو ان الامام العباس (عليه السلام) توارث شجاعة ابيه وامه، فمن جهة الاب ابوه علي بن ابي طالب (عليه السلام)، ومن جهة الأم أمه المعروفة بأم البنين، وهي فاطمة بنت حزام بن عامر بن كلاب وقبيلتها الكلابية، اشجع القبائل عند العرب وهي تنتمي في نسبها إلى عامر بن الطفيل الذي عمه عامر بن مالك الذي يطلق عليه ملاعب الاسنة.(الشعر والشعراء :١ / ٣٢٢-٣٢٣). وام البنين رسالة إلى المرأة المسلمة: عبد العظيم المهتدي البحراني، مؤسسة عاشوراء للطباعة والنشر، من اصدارات جمعية اهل البيت (عليهم السلام)، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م: ١٩، ٢٣.

(٧) تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي): ٣٦٦.

ومن الحيوانات الأخرى التي وصفوها:

الناقة :

إنها رفيقة الدرب الطويل في الصحراء، ومصدر رزق العربي وقوته، وصور طرفة بن العبد[١] الناقة في معلقته، وبين سرعتها في السير مع ضمورها، وأشار إلى قوة عظامها ووصف فقارها وجمجمتها وعنقها، وصاغ ذلك كله في ثمانية وعشرين بيتاً من أبيات معلقته ومثلما أخذ وصف الناقة مأخذه في معلقة طرفه بن العبد نجد ان معلقة عمرو بن كلثوم التغلبي[٢]، لم تخلُ من هذا الوصف للناقة مستعملا صوراً شتى ينشرها عليها منها أنها ناقة عيطل، بمعنى أنها طويلة العنق، وذات بياض خالص، يسمى هِجان، وانها ادمة بياض اللون لم تحمل ولداً في رحمها، وأنها بكراً أي حملت بطناً واحداً وان ذراعيها ممتلئتين لحماً[٣] ونجد هذا الوصف في البيت الذي ساقه الطبري في تفسيره من معلقة عمرو بن كلثوم الذي قال فيه :

ذِرَاعِي عَيْطَلٌ ادمَاءُ بَكرٍ هِجَانِ اللّونِ لَم تَقرَأ جَنِينًا[٤]

اما المثقب العبدي[٥] فهو يشعر ويتحسس بآلام ناقته عندما يحملُ عليها رحله وعدة سفره فتتأوه لذلك كما في البيت الذي جاء به الطبري من أبيات المثقب الذي قال فيه:

إذا مَا قُمْتُ أُرْحِلَهَا بِلَيْلٍ تَأَوَّهَ آهَةَ الرَّجُلِ الحَزِيْنِ[٦]

(١) طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك بن ضيعة بن قيس بن ثعلبة (طبقات فحول الشعراء : ١٣٧/١).
(٢) عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب بن سعد بن زهير بن جشم (طبقات فحول الشعراء :١٥١/١).
(٣) ينظر شرح المعلقات السبع : للامام أبي عبد الله الحسين بن احمد بن الحسين الزوزني، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م: ١٠٣-١٠٤.
(٤) ديوان عمرو بن كلثوم ، شرحه وضبط نصوصه وقدم له ، د . عمر فاروق الطباع ، دار العلم بيروت - لبنان: لبنان: ٦٠ ، تفسير الطبري م١، ج١ :٥٢ والبيت من الوافر.
(٥) عائد بن محسن بن ثعلبة بن وائله بن عدي (طبقات فحول الشعراء ٢٧١/١).
(٦) شعر المثقب العبدي: تحقيق الشيخ محمد حسن ال ياسين دار المعارف للتأليف والشعر مطبعة المعارف - بغداد : ١٣٧٥هـ ١٩٥٦م : ٣٩ ، تفسير الطبري : م٧، ج١١ : ٦٩ والبيت من الوافر.

واختار امرؤ القيس البكر: وهو الصغير من الإبل[١] ليصف به حال الإنسان وما سيؤول إليه عند الكبر، فقال:

أرَى المرْءَ ذَا الأذوادِ يُصبِحُ مُحْرِضًا   كَإحرَاضِ بَكرٍ في الدّيارِ مريضِ[٢]

الثور :

اضفى الشعراء على الثور لباس الشجاعة، والقوة، وتصوير صراعه وانتصاراته على الحيوانات الآخرى، والطبري ذكر أبا ذؤيب الهذلي[٣] بقوله وهو يصف لنا صراع الثور واستعداده للكلاب التي حاولت قتله:

فَانْصُرْنَ مِنْ فَزَعٍ وَسِدَّ فُرُوْجَهُ   غَيْرَ خوارٍ وَافيانَ وَاجَذع[٤]

أي ان سد فرجه تعبيرًا عن قوته وان هذه الكلاب منها وافيان أي سالمان الاذن، ومنها الاجدع وهو الكلب الذي قُطعت أذنه وقد انتصر عليها الثور في المعركة.

ج. وصف الخمرة :

وقف الشعراء امام الخمرة وقفة شاعرية متأنية، فنكاد لا نجد شاعرًا يخلو شعره من ذكرها، وكانت لهم ((وقفة هادئة متأملة فيها فن وابداع ، وقد تناولوا الخمر و وصفوا مجالسها وأثرها في شاربيها ، وذكروا لونها، وصفاءها، وطعمها وما تفعله في النفوس

---

(١) ينظر: ديوانه :٧٧.
(٢) المصدر نفسه: الصفحة نفسها؛ تفسير الطبري: م٨، ج٥٥:١٣، والبيت من الطويل.
(٣) خويلد بن خالد بن مُحَّرث بن زبيد بن مخزوم بن حاهلة بن كاهل بن الحارث (طبقات فحول الشعراء : ١٣١/١).
(٤) المفضليات : المفضل بن محمد بن يعلي الضبي ، تحقيق وشرح احمد محمد شاكر ، عبد السلام هارون ، الطبعة السادسة دار المعارف كورنيش النيل القاهرة ، ج . م . ع : ٤٢٦ ، ووردت لفظة (فاهتاج) بدل (فانصرن) تفسير الطبري م٣ ، ج٣ :٧٢ ، والبيت من الكامل.

وكان من حُبـِّهم للخمر أن شبهوا ريق محبوباتهم بالخمر طيباً ونكهة))[١].

وليس هذا فحسب بل بلغ تعلقهم بها انهم كانوا يضعوها في آنية خاصة تسمى (الدُّن) ويدعو لها أن لا تفسد وتبقى صالحة للشرب وقد ذكر الطبري بيت الأعشى[٢] الذي يفضي عن هذا المعنى الذي قال فيه:

وَقَابلَها الرِّيحَ في دَنِّـــهَا وَصلَّى عَلى دِنِّهَا وَارْتَسَم[٣]

والارتسام بمعنى التكبير والتعويذ[٤].

ويبدو أن شرب الخمر كان من الصفات النبيلة في نظرهم، إذ كانت علامة السخاء عندهم وشاحذة للهمة في انفسهم، تدفعهم إلى الكرم، بل حتى البخيل يهين من أجلها ماله إذا أديرت عليه، الطبري أورد قول عمرو بن كلثوم الذي بين فيه آثار الخمر في النفوس:

تَرَى اللّحزَ الشَّحِيحَ إذا أُمِرَّتْ عَلَيـــهِ لِمَالِهِ فِيْهَا مُهِـيْنَا[٥]

وفي ذات السياق في الحديث عن الخمر تجدر الإشارة إلى أن الأعشى عد أكثر الشعراء إشادة بالخمر واصفاً مجالس الخمارين وما تتركه الخمرة من أثر في النفوس وكان ((شاعر الخمر بلا منازع فلم يترك معنى من معانيها أو صفة من صفاتها إلا ذكرها وأفتن وقد اجاد في تصوير أثرها في الشاربين والرؤوس والمفاصل والعظام))[٦].

---

(١) الشعر الجاهلي ، خصائصه وفنونه : ٢٧٨.
(٢) ميمون بن قيس بن جندل بن شراحبيل بن عوف بن سعد (طبقات فحول الشعراء: ٥٢/١).
(٣) ديوان الاعشى ، شرحه وضبط نصوصه وقدم له الدكتور عمر فاروق الطباع ، دار القلم ، بيروت ـ بيروت ـ لبنان :٢٢١ ، تفسير الطبري : م١، ج١ : ١٣٦ والبيت من المتقارب.
(٤) ينظر ديوانه : ٢٢١.
(٥) ديوانه:٥٥؛ تفسير الطبري: م١٤، ج٢٨ : ٥٥ والبيت من الوافر .
(٦) ادب العرب في العصر الجاهلي : ١٥٨.

ونجده عارفاً بأي وقت تشرب وأن شربها في الصباح يبعث الانقباض في النفس، أما في الليل فتترك أثرًا طيبًا في النفس وتبعث اللذة فيها، والطبري جاء بقول الأعشى :

لَنا من ضُحاها خُبْثُ نَفْسٍ وكآبة وَذِكْرَى هُمُومٍ مَا تَغِبّ إذاتُهَا

وَعِنْدَ العَشِيّ طِيبُ نَفْسٍ وَلَذَّةٌ وَمَالٌ كَثِيرٌ غُدْوَةً نَشَوَاتُهَا(١)

وذكر الطبري ما قاله الأعشى أيضًا من وصف الخمرة، إذ أنها الصليفية، وهي المعتقة الطيبة في الطعم والمذاق وان لها زبد وهو خيار الشي:

صَرِيفَيَّةٌ طَيِّبًا طَعْمُهَا لَهَا زَبَد بَيْن كُوب وَدَنّ(٢)

لذا برز الأعشى في هذا الوصف ((فقد ملكت الخمر عليه اقطار نفسه لدرجة جعلته يكف عن لقاء الرسول (ﷺ) لأنه يحرم الخمر واجادته لوصف الخمر جعلت القدماء يقولون عنه (انه اشعر الشعراء إذا طرب) أي إذا شرب الخمر))(٣) .

ومن خلال دراستي لغرض الوصف وجدت أنه كان أكثرُ الأغراض في تفسير الطبري ودار في محاور عدة منها :ـ

١. وصف الطبيعة وما فيها، من وصف الصحراء، ووصف المياه، والأشجار، وما تمر عليها من مظاهر، كالليل، والنهار، والسحاب، والأمطار.

٢. وصف الحيوانات وحياتها اليومية وما ألم بها من أحداث في الحياة .

---

(١) ديوانه :٤٢ ، وردت لفظة (العشي) بدل (العشاء) ، تفسير الطبري : م٢، ج٢: ٤٧٧ والبيتان من الطويل.

(٢) ديوانه : ٢٣٩ ، وردت لفظة (صليفية) بدل (صريفية)، تفسير الطبري: م١٣، ج ٢٧ : ٢١٥ والبيت من المتقارب.

(٣) دراسات في ادب ونصوص العصر الجاهلي: ٢٢١ ـ ٢٢٢.

٣. شغلت ساحة الحرب وصف الكثير من الشعراء الذين تفننوا بشجاعتهم بـــــــها وانتصارهم على العدو .

٤. الخمرة ومجالسها كانت من الموضوعات التي شغلت ذهن الشعراء فوصفوها وابدعوا في وصف مجالسها وآنيتها .

٥. رحيل الأحبة، وذكر الديار وما اختلجت به النفس من مكنونات الحب والهوى وما خلفه ذلك من أثر في نفوس الشعراء فوصفوا وصفا دقيقا ما دار في اذهانهم، وما جاشت به مشاعرهم من فيض وألم، وحنين، ولواعج حب وذكرى، فجادت قرائحهم بأعذب شعر في ذلك الموضوع وأحسن فاحتل مساحة واسعة من مقدمات قصائدهم الطوال .

٢. غرض المدح :

هو ((نَقِيضُ الهِجَاءِ وَهُوَ حُسْنُ الثّناءِ))[١]، ويراد به ((إضفاء الصفات الحميدة إطلاقاً على شخص أو جماعة ، وقد طرقه الشاعر الجاهلي عند تعرضه للأيام لإضفاء صفات البطولة على قومه أو على فرد منهم)) [٢]، وحفل الشعر الجاهلي بقصائد المدح في مختلف عصور الأدب، ولو استطلعنا وتتبعنا بدقة قصور الخلفاء، والملوك، والأمراء لقلما تجد قصراً أو بلاطًا يخلو من شاعر غرضه الاساس مدح الممدوح وتخليد فتوحاته وانجازاته ، وكانت المعاني الأخلاق، والفضائل، كالكرم، والشجاعة، والعفة أغلب ما يدور في شعر هذا العصر الذي يمكن تقسيمه على الوان ثلاثة :

١. **شعر غايته الشكر والعرفان**: في هذا اللون يهدف الشاعر في مدحه ذكر فضل الممدوح وإحساسه، وشكره دون بغية الشاعر في نيل الجوائز والعطايا من الممدوح.

٢. **وسيلة للتكسب** : اتخذ الشعراء هذا اللون من الغرض وسيلة لنيل الأموال والهدايا وكان الشعراء بهذا اللون يقدمون ((على السادة المبرزين وملوك المناذرة والغساسنة يمدحونهم وينالون جوائزهم وعطاياهم الجزيلة وأخذوا في أثناء ذلك يعنون بهذه القصائد عناية بالغة حتى تحقق لهم ما يريدون من التأثير في ممدوحيهم واشتهر بذلك زهير[٣]، والنابغة وحسان بن ثابت، أما زهير فاختص بأشراف قومه، وأما حسان فأختص بالغساسنة ولعلقمة بن العبد فيهم

---

(١) لسان العرب: م٨: ٢٢٧، مادة (مدح).

(٢) أيام العرب واثرها في الشعر الجاهلي: منذر الجبوري ، دار الشؤون الثقافية العامة الاعظمية بغداد ـالعراق ط٢ ١٩٨٦م : ٢٠.

(٣) زهير بن أبي سلمى واسم ابي سلمى ربيعة بن رياح بن قرط بن الحارث بن مازن (طبقات فحول الشعراء: ٥١/١).

مفضلية بديعة نظمها في الحارث الأصغر يتشفع لأخيه وقد وقع في يديه أسيرًا، وأما النابغة فقد خص النعمان بن المنذر بمدائحه))(١)، ومن أمثلة هذا اللون من الشعر ما ذكره الطبري من قول الأعشى الذي اخضع قبيلة الرباب لملكه وبعد أن رفضوا الطاعة له فقال:

هُو دَان الرَّبَابِ إذْ كَرهُوا الـ   دِّينِ دِرَاكاً بِغَزوةٍ وَصِيالِ(٢)

٣. **لون ثالث** : يمكن أن نسميه مديح حقيقيا نجد فيه الشاعر لا يبحث فيه عن مال أو جائزة وإنما يقول هذا اللون تعبيراً عن الحب والولاء لمن يمدحه(٣)، وأورد الطبري في هذا اللون من المدح قول زهير بن أبي سلمى في أبياته التي عبر فيها عن مدحه لسيدين الحارث بن عوف وهرم بن سنان ذاكراً بهذه القصيدة دورهما في إطفاء نار الحرب وإفشاء السلم بين عبس وذبيان وبذلهما المال والمعروف من القول لكي ينهوا هذه الحرب فقال:

وَقَدْ قُلتُما إنْ نُدرِكِ السِّلمَ وَاسِعاً   بِمَالٍ وَمعْروفٍ مِنَ القَوْلِ نَسْلمِ(٤)

٤. **أما الاعتذار** : فهو لون نشأ من المديح وتتداخل في هذا اللون عاطفة الخوف سطوة الممدوح أو حكمه مع الشكر والرجاء لنيل رضا الملوك والأمراء الممدوحين ولطلب العفو منهم، نجد في هذا اللون ما جاء به الطبري من بيت للنابغة الذبياني في مدح الغساسنة ليفك أمر قومه(٥)، ممّا أدى إلى غضب النعمان

(١) تاريخ الادب العربي (العصر الجاهلي): ٢١١.
(٢) ديوانه: ١٩٨ ، تفسير الطبري : م٣، ج٣ : ٢٧٤ والبيت من الخفيف.
(٣) ينظر: دراسات في الأدب الجاهلي: ١٨٣.
(٤) شرح ديوان زهير بن ابي سلمى ، شرح وتحقيق الدكتور احمد طلعت استاذ الدراسات العربية بجامعة كولون ـ المانيا ـ منشورات دار القاموس الحديث ـ دار الفكر العربي بيروت، ط١، ١٩٦٨م : ٢٤ ، تفسير الطبري : م٢، ج٢: ٤٣٠ والبيت من الطويل
(٥) ينظر: دراسات في الادب الجاهلي ١٨٣ ـ ٢٨٤ ، وينظر: تاريخ الادب العربي (العصر الجاهلي):٢١١ .

ابن المنذر على الشاعر فبدأ الشاعر يقدم اعتذارته للملك وهو ينشر عليه مفهوم (السورة) التي هي بمعنى الرفقة والشرف والمكانة وأنه بمنزلة مستقرة وثابتة، بينما الملوك دونه مضطربين وغير مستقرين إذ قال:

أَلَمْ تَرَ أنّ اللهَ اعْطَاكَ سَوْرَةً تَرَى كُلَّ مَلكٍ دُونَها يَتذبْذَبُ[1]

وأضفى الشعراء على ممدوحيهم في هذا الغرض جميع المعاني والخصال الحبيبة، ومن ابرز الخصال الشجاعة التي كانت يتبارون من أجل أن يصفوا بها بل أحبوا الموت من أجلها وكان غمار الحروب لكي يصفوا ويمتدحون بها ، وفي هذا المضمون ذكر الطبري قول الأعشى في مدح هوذه بن علي الحنفي في خوضه الغزوات في كل عام ، وهو ذو عزيمة لينال المال والمجد وليقرب نساءه بعد أن انقطع عنهن لانشغاله في الغزوات، فقال:

وفي كلّ عَامٍ أنت جَاشِمُ غزوةٍ تشـدّ لأقصَاها عَزيمَ عَزائِكا
مورّثةً مالا وفي الذكر رفعةً لَما ضَاعَ فِيهَا مِنْ قُروءِ نِسَائكا [2]

وممّا ساقه الطبري قول الأعشى وهو يرسم صورة يمدح بها إياس بن قبيصة فهو يكثر العبوس ويكشف عن أنيابه[3]، وهذه الصورة كشف عن طياتها الأعشى في ذلك الوقت، وبقيت ملازمة لمظهر الشجاعة حتى عصرنا الحاضر فقال:

وَلَهُ المُقدَّمُ لا مِثْلَ لهُ سَاعَةَ الشَّدقِ عَن النَّابِ كَلِح[4]

---

(١) ديوانه: ٢٥ ، تفسير الطبري م١، ج١ : ٥٨ والبيت من الطويل.
(٢) ديوانه :١٦١ ، ووردت لفظة (الحمد) بدل (الذكر) تفسير الطبري : م٢، ج٢: ٥٩٠ والبيتان من الطويل.
(٣) ينظر : ديوان الاعشى :٥٠.
(٤) المصدر نفسه : ٥٢ ، تفسير الطبري : م١٠، ج١٨ :٧١ . والبيت من الرمل.

وكان للكرم واطعام الضيف أهمية كبرى في حياة العربي في العصر الجاهلي و وجدوا فيه سر خلودهم وبقاء ذكرهم على الألسن ، وممّا ذكره الطبري من بيت الخنساء التي يبدوا أنها كانت مدركة بمكانة هذه الصفة فقالت تمدح أخاها صخراً :

القَومُ أعلَمُ أنَّ جِفْـنَتَهُ تَغْدُو غَداةَ الرِّيحِ أو تَسَرِي(١)

بمعنى انه مطعام وان جفنته أي قصعته باذل فيها طعامه ليلاً ونهاراً.

وكان للأخلاق والشمائل الطيبة التي كانوا متحلين بها بنو بدر(٢) مدعاة في مدح حاتم الطائي(٣)، واصفًا إيّأهم بأنهم أولي مجلس في البيت الذي ذكره لنا الطبري:

فَدُعِيتُ فِي أولى النّدِيِ وَلَمْ يُنظَـر إلَيّ بِعَيْـنٍ خَـزْرِ(٤)

وفي السياق ذاته في مدح الأخلاق اتخذ زهير بن أبي سلمى صفة الكرم سببًا لمدح سنان بن الحارث ، فقال:

رَأيْتُ ذَوِي الحَاجَاتِ حَوْلَ بُيُتِهم قَطِيـنًا لَـهُم حتى إذا أنْبَتَ البـقْلُ(٥)

أما الأعشى فوجد في عدل عامر بن الطُفيل صفة تستحق المدح فقال فيه:

لَا يَأخذ الرِّشوَةَ في حُكْمِهِ وَلَا يُبالِي غَبْـنَ الخـاسرِ(٦)

---

(١) ديوانها: ٨١؛ ووردت لفظة (الحي يعلم) بدل (القوم اعلم) تفسير الطبري : ٥، ج٨: ١٦. والبيت من الكامل.

(٢) ينظر: ديوان حاتم الطائي: شرحه وقدم له أحمد رشاد ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م: ٢٦.

(٣) حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج (الشعر والشعراء: لابن قتيبة ، تحقيق وشرح احمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م: ٢٣٥/١).

(٤) ديوانه:٢٦؛ تفسير الطبري: م٩، ج١٦: ١٥١. والبيت من الكامل.

(٥) شرح ديوان زهير:٤٣؛ ووردت عبارة (بها حتى اذا انبث) بدل (لهم حتى اذا انبت)، تفسير الطبري: م١٠، ج١٨: ٢١. والبيت من الطويل.

(٦) ديوانه: ١١٤؛ تفسير الطبري: م٥، ج٧: ٢٠١.و البيت من السريع.

ومن الصفات التي كثر فيها المدح وكانت حاضرة عند بعض العرب هي الحلم وهي ((صفة تميز الرجال الذين تصغر في عيونهم الحوادث مهما جل شأنها وعظم خطرها وهو دليل على بلوغ الحلم في مدارج الإنسانية مرتبة عالية ، وعلى الرغم من اهتمام العرب بالقوة وشدة الباس واحتكامهم إلى السيف في أكثر الأحوال فأنهم كانوا يتصفون بالحلم ورجاحة العقل والابتعاد عن الحمق والطيش وسرعة الانفعال ولا ندعي القول أنّ جميع العرب يتصفون بالحلم ورجاحة العقل، إذ إن الذين اشتهروا به كانوا قلة وهذا شأن الحلماء عند جميع الأمم))(١)، وجاء الطبري بقول أوس بن حجر(٢) الذي انطلق من هذا المعنى مادحا نفسه وما تجود به من العفو والصفح والتسامح وغفران أخطاء الآخرين التي يعفو عنها بحلمه فقال :

ألا اعْتِبُ اِبْنَ العَمِّ اِنْ كَانَ جَاهِلًا وَاغْفِرُ عَنْهُ الجَهلَ اِنْ كَانَ اَجْهَلَا(٣)

وما تميز به الشعراء في هذا الغرض الاهتمام بالمقدمة التقليدية بل عدوها قضية جوهرية في بناء القصيدة ولقد التزم بها أغلب الشعراء وعدوها جزءًا من القصيدة وكانوا يجدون أن ((هذه المقدمة تمثل الجسر التقليدي الذي تمر من خلاله القصيدة وهي عادة تأخذ طريق الوقوف على الطلل أو الديار، ثم تسلية الهم بناقة قوية ويدخل احياناً لوحة الصيد ثم الانتقال إلى الممدوح وقد تفتقر هذه اللوحة على ذكر الحبيبة دون الديار والانتقال إلى الممدوح وتختزل عند بعض الشعراء إلى الاكتفاء بالغزل ثم الانتقال إلى

(١) الحلم في الشعر الجاهلي، د. عبدالرزاق خليفة محمود الدليمي ، جامعة بغداد ، كلية الآداب ، مجلة المورد الصادرة عن دار الشؤون الثقافية ، الاعظمية ،بغداد، العراق ٢٠٠٤م ـ ١٤٢٥هـ ، مجلد ٣١ ، العدد٣:٤٣.

(٢) اوس بن حجر بن عتاب بن عبدالله بن غدي بن نمير بن أسيد بن عمرو بن تميم (طبقات فحول الشعراء:٩٧/١).

(٣) ديوان أوس بن حجر ، تحقيق وشرح د . محمد يوسف نجم، الجامعة الامريكية ، بيروت ، دار صادر للطباعة والنشر ، دار بيروت للطباعة والنشر ، ١٣٨٠ هـ ـ ١٩٦٠م :٨٢ ، تفسير الطبري م١، ج١ :٣٩٨ والبيت من الطويل.

الممدوح ، وتمتاز قصائد الأعشى عن بقية قصائد الشعراء بطول المقدمة التي يقدم لها بموضوع المديح ، وقد تصل في بعض القصائد إلى سبعة وثلاثين بيتاً))(١).

وندرك ذلك بيقين ووضوح عند الأعشى في قصيدته في مدح هوذة بن علي الحنفي فقد ابتدأ القصيدة بذكر حبيبته وما تركته في النفس فقال :

بَانَتْ وَقَدْ أسْأرَتْ فِي النّفسِ حَاجَتَها بَعدَ ائْتِلافٍ وخَيرُ الوُدِّ مَا نَفَعا(٢)

واستمر يحوك مقدمته الطللية إلى أن عرّج على ذكر الممدوح وذكر صفاته ومنها يسمع المشورة من سادات الرجال ولا ينفرد برأيه ، وهذا دل عليه البيت الذي استشهد به الطبري ، والذي انشده الأعشى قائلاً :

يَرْعَى إلى قَوْلِ سَادَاتِ الرِّجالِ إذا أبْدَوا لَهُ الحَزْمَ أو مَا شَاءَ ابْتَدَعَا(٣)

وفي هذا الغرض لم يحصر الشعراء مدائحهم في ممدوحيهم فحسب بل اتسع افق ذلك ليشمل المدح اقوامهم وما امتلكوه من صفات ومثل نبيلة ، والطبري ذكر قول النابغة الذبياني وهو يمدح عمرو بن الحارث الأصغر الذي نجد فيه أن الشاعر انتقل إلى مدح قومه وملوكهم وهو يصفهم ((انهم قوم عقلاء ذوو تجربة يعرفون مروق الدهر وتقلب الأيام فإذا أصابهم خيرٌ لم يبطروا؛ لأنهم يعرفون انه لا يدوم، وإذا أصابهم شر لم يداخلهم قنوط ليقينهم بأن الشر لا يدوم))(٤) ، وقد اختار لهم هذه الصفات فقال:

وَلَا يَحسَبُونَ الْخَيرَ لَا شَرَّ بَعْدَهُ وَلَا يَحْسَبُونَ الشَّرَّ ضَربَةَ لَازِبِ(٥)

ولذلك احتضنت القبائل والأقوام الشعراء، ومـــن أهم هذه الاقــوام المناذرة الذين

---

(١) تاريخ الأدب العربي قبل الإسلام : د. نوري حمودي القيسي ، د. عادل جاسم البياتي ، د. مصطفى عبداللطيف ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي جامعة بغداد ، كلية الآداب ، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٣٩٩هـ ـ١٩٧٩م:١٩٣.

(٢) ديوانه : ١٢٩؛ تفسير الطبري: م١: ج١: ٥٨. والبيت من البسيط.

(٣) ديوانه : ١٣٤ ، تفسير الطبري : م١، ج١ : ٦١٩ والبيت من البسيط.

(٤) ديوانه:٢١.

(٥) المصدر نفسه : ٢١ ، تفسير الطبري : م١٢، ج٢٣: ٥٥ والبيت من الطويل.

((كانوا يتخذون الشعر وسيلة للدعاية لهم في القبائل فكثر الشعراء حولهم وعلى الأخص في عهد عمرو بن هند فقد قصده كثيرون من أمثال المتلمس وطرفة))[(١)].

وبتتبُع البحث تبين أن المدح شكل الغرض الأكثر شيوعاً بعد الوصف في الأبيات التي رصدها الطبري في استعانته بالشعر وأن الشعراء في هذا الغرض قد زينوا ممدوحيهم بالصفات الكريمة والشمائل الطيبة وما عرف عند العرب مما وجدوه مكملاً لشخصية الإنسان العربي كالنسب الشريف والحسب الرفيع وما تحلى به العربي من الكرم وزعامة القبيلة والشجاعة في القتال وحسن التدبير وهلم جرا من الصفات والفضائل الطيبة .

ولم ينفرد المدح بشخص واحد بل تعدى المدح ليشمل قبائل واقوام برمتها وصب أعلى وأسمى مراتب ومعاني المدح على تلك القبائل لما لها من شأن ورفعة تميزها من قبائل آخر استحقت الذم من الشعراء بما جمعت من الرذائل والعيوب .

---

(١) ادب العرب في العصر الجاهلي:١٣٨.

٣. غرض الغزل:

من الفنون القديمة في الشعر العربي لأنه يرتبط منذ القدم بعلاقة الرجل بالمرأة وهو حديث بين الفتيان والفتيات، بينما يراه ابن سيده بأنه اللهو الذي يكون مع النساء(١)، وهو دافع لعاطفة ملأت النفوس كلها وهي الحب، فانسلخ من هذه العاطفة الغرض الشعري المشهور(٢)، ويراد به أيضًا ((الحديث عن جمال المرأة والتغني بمحاسنها ومفاتنها، ويغلب على شعر الغزل طابع الرقة والعذوبة))(٣).

وقد يدخل مع الغزل مصطلحان هما النسيب والتشبيب وقد تعددت أقوال اللغويين في هذه التسميات الثلاث وبآراء مختلفة منها :

١. إن الغزل هو الإحساس والشعور بحب المرأة وقيل إنّ المعنى جاء من مغازلة النساء أي محادثتهن، ورأي آخر هو أن الغزل من الأمور الجارية بين العاشق والمعشوق من الكلام وافعال من دون ان يبرز إلى الإشهار والإعلام به في الشعر.
٢. الغزل والنسيب هو مدح ما ظهر من أعضاء المحبوب وذكر ما كان بين المحبين من أيام الوصل والهجران(٤).
٣. أما ابن رشيق القيرواني فقد عد ((النسيب والتغزل والتشبيب كلها بمعنى واحد وأما الغزل فهو إلف النساء والميل إليهن والتخلق بما يوافقهن))(٥).

ويعد موضوع الغزل من أكثر الموضوعات قرباً إلى النفس البشرية وتستمال النفوس والعواطف إليه ولذلك وظف الشعراء الجاهليون هذا الغرض في مطالع قصائدهم ولما تميل إليه طباع الناس ويرى النقاد ((أن الاهتمام بالنص الشعري من

---

(١) ينظر: لسان العرب: م٦: ٦٢٠، مادة (غزل).
(٢) ينظر: دراسات في ادب ونصوص العصر الجاهلي : ٢٩٩.
(٣) معجم المصطلحات الادبية : نواف النصار، دار المعتز للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، ط١، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١: ٢٣٣.
(٤) ينظر: دراسات في الادب الجاهلي : ١٣٤ - ١٣٥.
(٥) العمدة في محاسن الشعر وآدابه : ٦٥.

افتتاح بالنساء أو الاطلال ، أو رحلة الشاعر هو اهتمام بتلك الاقسام لذاتها لكونها تحدث الأثر المناسب في المتلقي وذلك اتباعاً لما الفته طباع الناس في الابتداء بالغزل وما يتصل به من ذكر الصدود والهجران والواشين والرقباء و وصف المفاوز وغيرها، أو لأنها المواقف التي تستعطف أسماع الحضور، وتشدهم إلى الإصغاء، لذا كانت المقدمة الطللية حسنة ومؤثرة في العصر الجاهلي، لأنها كانت معبرة بصدق عن مشاعر العربي))(١).

وبطبيعة الحال عشق الرجال النساء بغريزتهم وفطرتهم التي اوجدها الله تعالى في النفس، ولذا عمد الشاعر الجاهلي إلى ذكر ((شدة الوجد وألم الفراق وفرط الصبابة والشوق ليميل نحوه ويصرف إليه الوجوه ويستدعي به إصغاء الأسماع إليه، لأن التشبيب قريب من النفوس لائط بالقلوب لما قد جعل الله في تركيب العباد من محبة الغزل، والف النساء فليس احد يخلو من أن يكون متعلقاً منه بسبب وضارباً فيه بسهم حلال أو حرام))(٢).

ويري آخرون في افتتاح القصائد بالغزل أنها تشحذ قريحة الشاعر و تستنزل معاني القصيدة في البدء بالغزل ((إذ يهيئ نفسه ويعيش في جو عاطفي خالص ، حتى يصبح الغزل مفاتيح القول وملهم الشعراء ، سألوا الشاعر ذا الرمة كيف تفعل إذا انقفل دونك الشعر ؟ فقال: كيف ينقفل، وعندي مفاتيحه، قيل له : وعنهُ سألتك ما هو؟ قال : الخلوة بذكر الأحباب))(٣).

ورغم ما وصل الينا من شعر الغزل واهتمام الشعراء به واتخذوه المطلع ومفاتيح لقصائدهم، ولكننا عندما نتناوله بتأن ودقة نجد أن بذوره الأولى مجهولة عندنا ((ومن

---

(١) الشعر الجاهلي دراسة في تأويلاته النفسية والفنية : ٨٣.
(٢) الشعر والشعراء : ٧٦/١.
(٣) ادب العرب في عصر الجاهلية : ١٥١ ـ١٥٢.

الواضح أن ما بين ايدينا من الشعر الجاهلي إن هو إلا شعر الكائن في صور نضوجه الكامل، وإن المحاولات الأولى قد ضاعت ولم يبق لها أثر كما بينا فيما تقدم ، وعليه فإن ما وصل من أشعارهم وجدناها على ماهي عليه من التزام بقوانين تحتم على الشاعر الجاهلي التقيد بها وليس لنا بد من رد هذه القوالب والتقاليد إلى جهود المجهولين، والى الاجيال الغامضة الاوائل))[١].

ولصعوبة الحياة في الجزيرة العربية في تلك الحقبة وما اتسمت به حياة العربي بكثرة الترحال وبعدم استقرارهم في ديار وما تطلبته حياة البداوة في البحث عن الكلأ والماء، وما كان في هذا الترحال ومما أسفر من أجواء الذكريات والحنين وفراق الأحبة وبكاء الحبيبة القديمة بعد فراقها، والتي كانت عالقة في نفوسهم وراسخة في قلوبهم، ولذا ((أول صورة تلقانا في قصائدهم هي بكاء الديار القديمة التي رحلوا عنها وتركوا فيها ذكريات شبابهم الأولى وهو بكاء يفيض بالحنين الرائع))[٢].

ولهذا بدأت معظم قصائد الشعراء بالمقدمة الطللية في الحديث عن ديار الأحبة الراحلين عنها التي تغيرت فيها المعالم ودرست الآثار فيها بعد رحيلهم عنها وسرح الشاعر بفكره في آثار الحياة القديمة حينما كانت عامرة بأهلها مسترجعا الذكريات مع أيام الحبيبة التي طوتها الرمال ومتذكراً أيام شبابه في هذه المنازل حينما كانت تدب فيها الحياة واصفاً جمالها ومصوراً الحب والعواطف والآمه، وتلعب بخياله قافلة الضغائن وهي تسير إلى المنازل الجديدة[٣]، وتعد المقدمة الطللية عند امرئ القيس في معلقته أشهر المقدمات:

وقُوفًا بِهَا صَحبِي عَلَيّ مَطِـيّهُم　　　يَقولُونَ لَا تَهْلَكَ اسًى وَتَجَـــمَّلِ[٤]

(١) أحلى اشعار الغزل العربية :١٢.
(٢) تاريخ الادب العربي (العصر الجاهلي) :٢١٢.
(٣) ينظر: دراسات في ادب ونصوص العصر الجاهلي : ٢٣٤ ـ ٢٣٥ .
(٤) ديوانه:٩؛ تفسير الطبري: م٤، ج٦: ٢٤١. والبيت من الطويل.

وَإنَّ شِفَائِيَ عَبْرَةٌ مُـــهْرَاقَـــةٌ   فَـهَلْ عِندَ رَسْـمٍ دَارِسٍ مِنْ مُعْوَلِ

كَدأبكِ مِنْ أُمِّ الحُويْرِثِ قَبْلَـــهَا   وَجَــــــارَتِهَا أُمّ الرَّبابِ بِمأسلِ[١]

وافتتح قسم آخر من الشعراء قصائدهم بالمقدمة الغزلية لأن ((القلب مصدر العاطفة ولغة العاطفة الغزل ، وصوروا فيه أشواقهم وإحساساتهم نحو المرأة وما يلقون من وصال أو هجر من وعد واخلاف يشوبه الذل والغنج، واستطاع الشعراء أن يرضوا نزعاتهم الفنية بتحبير القصائد الغزلية الرائعة التي افتتحوها بالغزل لشدة شغفهم به))[٢].

وتعد لاميّة الأعشى التي اختارها بعض الرواة أنموذجاً رائعاً للمقدمة الغزلية في القصيدة الجاهلية ومن بين القصائد العشر المعروفة بالمعلقات التي صور الشاعر فيها عشيقته وأوصافها[٣] بأنواع من الوصف ومنها جمال مشيتها فقال:

كَأنّ مِشيَتَهَا مِن بَيْــــتِ جَارَتَها   مَــــــور السَّحابَةِ لا رَيْثٌ وَلا عَــجَلُ[٤]

وإن من السمات التي تميز بها الغزل في العصر الجاهلي الوصف المادي الذي يدور حول المحاسن الظاهرة من المرأة التي تحرك عواطف الجنس عند الشاعر الجاهلي وما فيها ،من مكامن الجمال ، فهذا المثقب العبدي يتغزل بعنق حبيبته الذي خفي عن الناس فقال:

أَرَيْنَ مَحاسِناً وَكَنَنَّ آخرى   مِنَ الاجيَادِ وَالبَشَرِ المَصُونِ[٥]

والطبري استشهد في معنى التريب في بيت المثقب العبدي والذي لم يقف فيه غزل

---

(١) ديوانه:٩، وقد وردت لفظة (عبرة ان سفحتها) بدل لفظة (عبرة مهراقة) ولفظة (كدينك) بدل (كدأبك)، تفسير الطبري: م٣، ج٣ : ٢٤٧، والبيتان من الطويل.

(٢) أدب العرب في عصر الجاهلية:١٥١ وينظر الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه: ١٦٥.

(٣) ينظر: دراسات في ادب ونصوص العصر الجاهلي: ٢٣٦.

(٤) ديوانه: ١٧٤ ، واورد لفظة (مر) بدل (مور)؛ تفسير الطبري : م١٣، ج٢٧ : ٢٧ والبيت من البسيط.

(٥) شعره: ٣٣. والبيت من الوافر.

الشاعر عند عنق المرأة فحسب بل راح يتغزل بعظام صدرها التي تعرف بالتريب وكذلك بجسدها الناعم الذي يعرف بالغصون[١] فقال:

وَمِنْ ذَهَبٍ يُسَنُّ عَلى تَرِيْبٍ كَلَونِ العَاجِ لَيسَ بِذِي غصونِ[٢]

وفي السياق ذاته يذكر الطبري قول امرئ القيس وهو يتغزل ببياض الثغر، والأضراس، والرقة، والنعومة عند محبوبته التي أخذت بفكره وفؤاده حتى أنسته قميصه فقال:

وَمِثْلُكِ بَيْضَاء العَوارِضِ طَفلَةَ لَعُوبٍ تُنْسِينِي إذا قُمتُ سربالي[٣]

بينما اخْتَار الأعشى نحر معشوقته وما يمتلك من تأثير في النفوس إلى مرحلة أنه يحيي الميت ويعود إلى الحياة ولا يذهب به إلى القبر، إذا اتكأ على ذلك النحر، فقال في البيت الذي ذكره الطبري في تفسيره:

لَو أسْنَدتْ مَيْتًا إلى نحْرِها عَاشَ ولَمْ يُنْقَل إلى قَابِرِ[٤]

وفي المقابل العناية بالنواحي الجسمية نجد شعراء عنوا بالجوانب النفسية والخلقية وذكروا المرأة وما فيها من حياء وعفة[٥]، ومن الأبيات التي استشهد بها الطبري من مقطوعات الشعر الجاهلي نجد أن مِن الشعراء الجاهليين مَنْ جمع بين الغزل العذري والغزل الحسي في شعره، فراح يتغزل بمحاسن الاخلاق عند المرأة وبعدها عن الفحش ثم ينتقل في ذات البيت إلى الجوانب الجسمية عند المرأة ، ولبيد بن ربيعة صاغ بيتًا ضمن هذا المضمون في شعره فهو يصور المرأة في هودجها متزينة بصفة العروب بمعنى أنها حسنة التبعل، وبعيدة عن الفحش ثم انتقل في عجز البيت إلى الجانب

---

(١) ينظر: شعره: ٣٣، وينظر المفضليات : ٢٨٩ .
(٢) شعره: ٣٢، ورد في الديوان لفظة (يلوح) بدل (يسن) تفسير الطبري : م ١٥، ج٣٠: ١٨٢ والبيت من الوافر.
(٣) ديوانه: ٣٠ ، تفسير الطبري : م٨، ج١٣ : ٣١٨ ، وذكر الطبري عجز البيت فقط والبيت من الطويل.
(٤) ديوانه:١١٣؛ تفسير الطبري: م١٥، ج٣٠: ٧١. والبيت من السريع.
(٥) ينظر: الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه : ١٧٢ - ١٧٣ ، وينظر ادب العرب في عصر الجاهلية : ١٥٣ .

الجسدي وهويصفها بانها ضخمة العجيزة التي تسمى بريا الروادف التي اتعبت البصر من جمالها فقال:-

وَفِي الحُدُوجِ عَرُوبٌ غَيرُ فَاحِشَةٍ رَيَّا الرَوَادِفِ يَغْشَى دُونَهَا البَصَرُ(١)

ومن الشعراء من لم يصرف همه إلى محاسن المرأة ولا إلى الجوانب الخلقية إنما راح يصور ما يعانيه من ألم بسبب فراق الحبيبة وشوقه إليها، وقد ذكر الطبري الأعشى الذي يعد خير مثال تصويري لهذا الضرب من الغزل وهو يصور نفسه بالومق أي المحب العاشق وأنه لا يشفى حتى يكون بالقرب من محبوبته وينال ما يريد منها فقال:

لَا شَيءَ يَنفَعُنِي مِنْ دُونِ رُؤيَتِهَا هَلْ يَشْتَفِي وَامِقٌ مَا لَمْ يُصِبْ رَهَقَا(٢)

وكذلك ساق الطبري قول النابغة الذبياني الذي يصرح بما خلفته معشوقته سعاد في قلبه بعد رحيلها عنه اذ قال:

نَأتْ بِسُعاد عَنْكَ نَوًى شَطُونُ فَبَانَتْ وَالفُؤادُ بِهَا رَهِينُ(٣)

وفي ذات السياق ساق الطبري شاهدين من الشواهد الشعرية وكلاهما للأعشى يصوران حال نأي المحبوب وبعده عنه فقال:

بَانَتْ وَقَدْ أسْأرَتْ فِي النّفسِ حَاجَتَها بَعدَ ائْتِلافٍ وخَيرُ الوُدِّ مَا نَفَعا(٤)

وقوله:

---

(١) شرح ديوان لبيد : ٦١ ، تفسير الطبري : م ١٣، ج٢٧ :٢٢٩ والبيت من البسيط .
(٢) ديوانه : ١٥١ ، تفسير الطبري : م١٤، ج٢٩ : ١٣٣ والبيت من البسيط
(٣) ديوانه: ١٣٠ ، تفسير الطبري : م ١، ج١ : ٦٢ والبيت من الوافر .
(٤) ديوانه : ١٢٩؛ تفسير الطبري: م١: ج١: ٥٨. والبيت من البسيط.

بَانَتْ وَقَدْ أوْرَثَتْ فِي الفُؤا   دِ صَدْعًا عَلى نأيِها مُسْتَطِيرًا[(١)]

وتغنى بقصائدهم الغزلية ((فريق من الشعراء عن قصص حبهم وما يسقاه المحب من كؤوس الصد والهجر عند كثير منهم وخاصة فرسانهم من مثل عنترة[(٢)]،إنهم يقدمون في مغامراتهم، ومعاركهم العنيفة في الحرب لينالوا حب الحبيبة المصونة ، كل ذلك نحسه في شعر صادق أصيل تصونه المثل العليا وتحوطه القيم الجاهلية من النبل والمروءة والشرف))[(٣)] .

فكانت هناك مقطوعات تتحدث عن الفروسية في القتال، والحب، والتغزّل بالحبيبة، وهذا اللون انفرد به عنترة، إذ جمع بين الغزل والفروسية في معلقته[(٤)] فبدأها بمخاطبة الديار وهو يقول:

هَلْ غَادَرَ الشُّعَراءُ مِنْ مُتَرَدَّمِ   أمْ هَــــلْ عَرَفْتَ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُّمِ[(٥)]

واستمر في حديثه عن ديار الأحبة وقد أبان له انتهاء مدة الكلأ والعشب عن قرب رحيلهم فقال:

مَا رَاعَنِي اِلّا حُمُولَةُ أهْلِهَا   وَسْطَ الدِّيَارِ تَسُفُ حَبَّ الخِمْخِمِ[(٦)]

ثم تراه قد انتقل ليجمع بين الغزل والحرب فقال:

---

(١) ديوانه: ١٠٧؛ تفسير الطبري: م١٤، ج٢٩: ٢٥٤، والبيت من المتقارب.
(٢) عنترة بن شداد بن قراد بن مخزوم بن مالك بن غالب بن قطيعة بن عبس (طبقات فحول الشعراء : ١٥٢/١).
(٣) أدب العرب في عصر الجاهلية : ١٥٤.
(٤) ينظر: دراسات في ادب ونصوص العصر الجاهلي: ٢٣٦.
(٥) ديوانه: مجلس معارف ولاية بيروت ، بنفقة خليل الخوري ، مطبعة الادب ، بيروت ، ط٤، ١٨٩٣م: ٨٠ ؛ تفسير الطبري : م٩، ج١٦ : ٣٨ ، والبيت من الكامل.
(٦) ديوانه : ٨٠ ، تفسير الطبري: م ، ٧ ج١٢ : ٩٧ ، البيت من الكامل.

هَلَّا سَألتِ الخَيلَ يَا ابنَةَ مَالِكٍ   اِنْ كُنْتِ جَاهِــلةً بِمَا لَمْ تَعلَمي[(١)]

وبعدما أجريته من دراسة واستقصاء للأشعار في هذا الغرض في تفسير الطبري تبين أن الشعر في هذا الغرض جاء بصور شتى منها الحفاظ وصون الحب بين الرجل والمرأة من الاشهار والفضيحة أمام الناس، وتصوير ما كان من شغف وحب بين العاشق والمعشوق ، وما دار من أحاديث الهوى بينهما، و وصف المحبوبة والتغزل بجسدها ومحاسنها ، و صور هجر المحبوبة وقطع صلتها بالمحبوب وما خلفه ذلك الهجر من أثر في نفسه.

---

(١) ديوانه: ٨٢ ، تفسير الطبري : م١، ج١ : ١٥٨ ، البيت من الكامل.

٤. غرض الحكمة:

الحكمة: صفةٌ امتلكها بعض الناس لِما مرّوا به من تجارب في الحياة ((ويقال للرجل إذا كان حكيمًا قد أحكمته التجارب، والحكيم المتقن للأمور))(١)، وهي ((معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم ويقال لمن أحسن الصناعات حكيم ، وشعر الحكمة يعني ذلك الشعر الذي قاله الشعراء معبرين عن تجاربهم التي مروا بها))(٢).

وتعد الثمرة التي ينالها الإنسان بعد خوضه غمار الحياة بتجاربه واطلاعه على تجارب الآخرين وبإغماده على خبرة الناس الآخرين ومصير حياتهم، والحكمة أيضًا ((هي احساس دقيق بكل من تتفتق به الحياة من ولادة أفكار تزهر وتعقد وتثمر على هذه الأرض التي ولد منها الإنسان وهي تأخذ زخماً في النمو والعطاء من إبداع الناس وحسن فهمه لأسرار الوجود))(٣)، فقد ضمّن الشعراء الجاهليون في أشعارهم الكثير من المضامين والأفكار والرؤى التي زخرت بالحكم والمواعظ جاءت بعد فهمهم الثاقب والدقيق لجوهر الحياة، وما يمكن أن يكون في صالح الإنسان ليبقى ذكره ويخلد، وصاغوا من حكمته أنموذجاً رائعاً من القيم الأخلاق من نهر العذب الأبناء من أجيالهم وتستلهم من عذبته الأمم الأخرى.

ولو تمعنا في أشعار الحكمة لوجدنا أنها لا تخص زمنًا أو مجتمعًا معينًا ولو ((تأملنا حكمة جاهلية نجدها تصلح لكل العصور، كذلك إذا تأملنا حكمة أجنبية نجدها تنطبق على كل المجتمعات، ذلك لان الهدف منها انساني يضرب الأمثال وينبه الإنسان وينير له طريقه ويدل على ما فيه صلاح نفسه))(٤).

---

(١) لسان العرب: م٢ :٥٤١، مادة (حكم).
(٢) الأدب الجاهلي : د. سامي يوسف أبو زيد، د. منذر ذيب كفافي، دار الميسرة للنشر والتوزيع ، عمان، ط١، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م: ١٠٨.
(٣) أدب العرب في عصر الجاهلية:١٦٠.
(٤) الحكمة في الشعر العربي : سراج الدين محمد دار الراتب الجامعية ، بيروت، لبنان: ٥.

وكـان لتجـارب الحيـاة أثرهـا الفعـال فـي إغنـاء الشـعراء الجـاهليين بمفـاهيم ورؤى وأفكـار صـاغوها شـعراً نستلهم منـه العبـرة والموعظـة، وممـن أغنـت بـه الحيـاة امـرؤ القيس، لأن بعض الأمور وبعض الناس توجب أن تعاملها بالمثل، فهو ينص فـي تعاملـه مـع الأعداء أنهم ان أظهروا الحقد فهو لا يخفيه وإن أشعلوا الحـرب فهو لا يقعد، بل سيقاتل فقال:

فَأَنْ تَكْتُموا الدَّاءَ لَا تُخْفِهِ   وَإِنْ تَبْعَثُوا الحَرْبِ لَا نَقْعُدِ(١)

والإخفـاء فـي البيـت بمعنـى الإظهـار، ودريـد بـن الصـمة(٢) يجـد أنّ الكـرم لا يضـر بالإنسان وأنّ ليس هناك كريم مات من الجوع، أو أن بخيلاً ابقاه بخله وخلده فقال:

ذَرِيْنِي أُطَوِّفُ فِي البِلَادِ لِأَنَّنِي   أَرَى مَا تَرَينَ أو بَخِيلاً مُخَلَّدا(٣)

بينما صاغ الشماخ بن ضرار(٤) درسًا من دروس الحكمة في الحياة وهو أن يقوم الإنسان على حفظ أمواله وصونها أفضل من أن يبذر ماله وثروته ثم يسأل الناس فقال:

لَمالُ المَرْءِ يُصْلِحَهُ فَيَغْنى   مُفاقَرةً أعَفَّ من القَنُوعِ(٥)

والمفاقرة جمع فقر، والقنوع هو السؤال والتذلل للناس(٦).

ومن موارد الحكمة أن يضع الإنسان كلامه عند من يجد أنه يترك الأثر والوقع فيه، وهذا المعنى أشار إليه لبيد في قوله:

---

(١) ديوانه: : ١٨٦ ، ووردت عبارة (فأن تدفنوا) بدل (فإن تكتموا)، تفسير الطبري م٨، ج١٣: ١٥٥ ، والبيت من المتقارب.

(٢) دريد بن الصمة بن جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان (الشعر والشعراء ٧٣٧/٢).

(٣) ديوانه: تحقيق د. عمر عبد الرسول ، دار المعارف ، كورنيش النيل ، القاهرة : ج. م . ع :١٨٨ ، وفي الديوان لفظة (أريني جواداً مات هزلاً) بدل (ذريني أطوف في البلاد)، تفسير الطبري :م٥، ج٧ :٣٨٩ ، والبيت من الطويل.

(٤) الشماخ بن ضرار بن سنان بن أمامه، أحدُ بني سعدٍ بن ذبيان، (طبقات فحول الشعراء:١٢٣/١).

(٥) ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني، حققه وشرحه صلاح الدين الهادي، طبع دار المعارف، القاهرة، ج.م.ع:٢٢١؛ تفسير الطبري: م١٠، ج١٧: ٢١٤. والبيت من الكامل.

(٦) ينظر: ديوان الشماخ بن ضرار: ٢٢١-٢٢٢، ولسان العرب: م٧: ٤٢٥، مادة (قنع).

سَفَهًا عَذَلتِ وَلُمْتِ غَيْرَ مُلِمٍ وَهَداكَ قَبْـلَ اليَـوْمِ غَيْرَ حَكِيمِ(١)

والمعنى أن الجهل منك أن تلومَ الإنسان الذي لا يستحق اللوم وفعلكُ ليس من فعل الحكيم(٢).

ولم ينسَ الشعراء الجاهليون الحكمة في استحالة البقاء والخلود للإنسان، وكان رحيل واندثار الأمم السالفة من أنضج الحكم التي استنبطها ووعاها الشعراء وصاغوها أشعارًا تنبض بالحكمة، والطبري في تفسيره إبان العديد من المقطوعات الشعرية الجاهلية التي تخاطبنا وترشدنا إلى موطن وينأبيع الحكمة، ومن ذلك قول الأعشى وهو يشير إلى التأسي والخوف من زوال النعم كما حل بقوم مأرب في اليمن بعد أن أرسل الله عليهم سيل العرم فقال:

فَفِي ذَاكَ لِلْمؤتسِي أُسْوَةٌ وَمَأرِبٌ عَفّى عَلَيْهَا العَرِمْ

رُخَـامٌ بَنَتهُ لَهُمْ حِمْـيرٌ إذا جَـاءَهُ مَاؤهُـم لَمْ يَرِمْ(٣)

وعلى غرار قول الأعشى ذكر الطبري قول لبيد بن ربيعة وهو يشير إلى القبائل التي مضت ومنها قبيلتي عاد وحمير فقال:

نَحُلُّ بِلاداً كُلَّهَا حلّ قَبْلَـنَا وَنرجُوا الفَلاحَ بَعْدَ عَادٍ وَحِمْيَرٍ(٤)

وفي بيت ساقه الطبري في ذات المعنى أشار لبيد إلى بيان مقدرة الله (سبحانه وتعالى) واهلاكه العباد فقال:

وَاَهْلَكنَ يَوْمًا رَبَّ كِندَةَ وابْنهُ وَرَبَّ مَعْدِ بنَ خبتٍ وَعَرْعَرِ(٥)

ورب كندة هو والد امرئ القيس ورب معد حذيفة بن زيد(٦).

---

(١) شرح ديوان لبيد: ١٠٧، ووردت لفظة (وقلت) بدل (ولمت)، وعبارة (بكاك قدما غير حكيم) بدل (وهداك قبل اليوم غير حكيم)؛ تفسير الطبري: م١٢، ج٢٣: ١٢٢. والبيت من الكامل.

(٢) ينظر: شرح ديوان لبيد: ١٠٧.

(٣) ديوانه:٢٢٦، وردت لفظة (قفى) بدل (عفى)؛ تفسير الطبري: م١٢، ج٢٢ :٩٧ ، والبيتان من المتقارب.

(٤) شرح ديوان لبيد:١٧٧؛ تفسير الطبري: م١٢، ج٢٣: ١٤١ .والبيت من الطويل.

(٥) شرح ديوان لبيد : ٥٥، تفسير الطبري م١، ج١ : ٧٩. والبيت من الطويل.

(٦) ينظر: شرح ديوان لبيد : ٥٥.

جانب آخر تناوله الشعراء في ميدان الحكمة وهو حال الإنسان وما سيؤول إليه من الكبر والضعف والطبري أورد بيت امرئ القيس وهو يشبه الإنسان بالبكر وهو الصغير من الابل وقد اصابه المرض(١) فقال:

أرَى الْمَرءَ ذَا الأذْوَادِ يُصْبِحُ مُحْرضاً   كإحرَاضِ بِكْرٍ فِي الدِّيارِ مَرِيضِ(٢)

وتشبيه الإنسان بالعصفور تعبير عن ضعفه و وهنه هذا المضمون جاء في بيت ذكره الطبري وهو من أبيات لبيد بن ربيعة الذي قال فيه:

فإنْ تَسْألينَا فِيْمَ نَحْنُ فَأنَنَا   عَصَافِيْرُ مِنْ هَذا الأَنامِ المُسَحَّر(٣)

ويبدو أنّ طول العمر واجتياح الأمراض جعلا الشاعر لبيد بن ربيعة يسأم ويمل منهما، إذ فقال:

وَلَقَدْ سَئِمْتُ مِنْ الحَياةِ وَطُولِهَا   وَسُؤالِ هَذا النَّاسِ كَيفَ لَبيدِ؟(٤)

وبعد كبر عمر الإنسان وضعفه يأتي المصير الحتمي إليه وهو الموت هذه الحقيقة الثابتة التي لا تتغير ولا تتبدل وتلك سنة الله في الوجود وقضية الموت جاءت عند الشعراء الجاهليين في أبيات من الحكمة وفي الغالب تكون ممزوجة بالرثاء والطبري ساق قول طرفة بن العبد وهو يشير إلى موت الإنسان وأن أمواله ستكون بيد غيره:

أرَى المَوتَ يَعْتَامُ النُّفوسَ وَيصْطَفِي   عَقيْـــلَةَ مَـــالِ البَـــاخِلِ المُتَشددِ(٥)

وفي الموضوع ذاته ذكر الطبري قول عبيد بن الابرص(٦)، وهو يبين أن كل غائب يمكن عودته إلا من غيبة الموت:

---

(١) ينظر: ديوان امرئ القيس : ٧٧..
(٢) المصدر نفسه : ٧٧ ، تفسير الطبري : م٨، ج١٣ : ٥٥ والبيت من الطويل.
(٣) شرح ديوان لبيد : ٥٦، تفسير الطبري: م٩، ج١٥ : ١٢٠ والبيت من الطويل.
(٤) شرح ديوان لبيد : ٣٥ ، تفسير الطبري: م٣، ج٣ : ١٦٩ والبيت من الكامل.
(٥) ديوانه: : ٢٦ ، وردت لفظة (يعتام الكرام) بدل (يعام النفوس) ولفظه (الفاحش) بدل (الباخل) ، تفسير الطبري: م ١٥، ج٣٠ : ٣٥٣ ، والبيت من الطويل.
(٦) عبيد بن الأبرص بن عوف بن جشم بن عامر بن مالك بن زهير (الشعر والشعراء:٢٥٩/١).

وَكُلُّ ذِيْ غَيبَةٍ يَؤُوبُ وغَائِبُ المَوتِ لايَؤوبُ[١]

بينما يبين طرفة أن الموت يحلّ بكل انسان وهو كحبل يطوّل إلى الدابة لكي ترعي فيه وأن طرفهُ بيد صاحبه[٢] فقال:

لَعَمرُكَ إنّ الموتَ مَا أنسَأَ الفتَى لَكَالطُولِ المُرْخَى وَثَنَايـاهُ بِاليَدِ[٣]

أما عَدِيّ بنَ زيد[٤] فيرى أن الموتَ لا يعلمهُ إلا الله وقد يأتيه اليوم أو في صباح الغد فقال:

أَعَـاذلُ مَا يُـدريكِ أنّ مَنيَّـتي إلى سَاعَةٍ فِي اليَومِ أو في ضُحَى الغَدِ[٥]

وبعد قراءتنا ما تركه شعراء الحكمة من إرث حضاري خالد مع مرور الزمن نجد ((الحكمة إنها تلخص تجربة الشاعر ونظرته إلى الحياة وقد جاءت بعامتها بأسلوب واضح سهل بعيد عن الغريب والتكلف وقد تغلب على الحكمة مسحة من الحزن والعاطفة التي يشيع فيها الالم والحسرة والتشاؤم))[٦].

وتبين من خلال ما تقدم ذكره أن الحكمة تظهر من خلال مواقف تمر في حياة الإنسان في أثناء ارتباطه بغيره كالصفح، والعفو، والوعظ، فتترسخ في ذهن الشاعر أفكاراً، ولما كان الشاعر مرهفًا على وفق الأمور صاغ تلك الأفكار بألفاظ تدل على

---

(١) ديوانه: شرحه وضبط نصوصه وقدم له د. عمر فاروق الطباع، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان:١٣؛ تفسير الطبري: م٩، ج١٥: ٩٢. والبيت من مخلّع البسيط .

(٢) ينظر: ديوان طرفة بن العبد: ٢٦.

(٣) المصدر نفسه: الصفحة نفسها، ووردت لفظة (ما أخطأ) بدل (ما أنسأ)؛ تفسير الطبري: م١، ج١ : ٦٢٧. والبيت من الطويل .

(٤) عدي بن زيد بن حمار بن زيد بن أيوب أحد بني أمرئ القيس بن زيد مناه بن تميم (طبقات فحول الشعراء:١٣٧/١).

(٥) ديوان عدي بن زيد، حققه وجمعه محمد جبار المعبيد، شركة دار الجمهورية للنشر والطبع، بغداد، ١٣٨٥هـ ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م: ١٠٣، ووردت لفظة (ألا تظنا) بدل (ان منيتي) ؛ تفسير الطبري: م ٥، ج ٧ : ٣٨٩ . والبيت من الطويل.

(٦) الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه : ٣٠٠.

معان تؤثر في السامع وتنسجم مع الحياة اليسيرة التي كان يعيشها المجتمع الجاهلي ، وعليه جاءت تلك الألفاظ سهلة واضحة في اغلب أشعار الحكمة.

وبعد الإلمام بما جاء من شعر الحكمة في التفسير أدركت أن الشعر في هذا الغرض انبث في ضروب من المضامين والعبر السامية وكان من أبرزها :

١. الدعوة إلى عبادة الرب وطاعته، والتأسي بأخذ العبرة والعضة بما حل بالأمم والأقوام السالفة .
٢. ضرب من حسن تصرف الإنسان وأدبه ولياقته بالقول والفعل .
٣. بيان مدى ضعف الإنسان وما يؤول إليه عند كبر عمره وعصف الأمراض والعلل به .
٤. لم يغفل الشعراء عن ذكر اكبر العظات والعبر للإنسان وهو الموت وبينوا أنه يأتي بالوقت الذي قدره الله (سبحانه وتعالى) وأنه يدرك الإنسان بأي حال أو مكان يرتضيه الله (سبحانه وتعالى) .

٥. غرض الفخر:

لقد أثرت الحياة البدوية على الشاعر في العصر الجاهلي وكان لقسوة الحياة في ذلك العصر انعكاس على نفس الشاعر التي امتلأت شجاعة وصلابة حتى انفجرت غرضاً شعرياً هو الفخر الذي هو فن ((ادعاء العظم والكبر والشرف))(١) ، ولو تمعنا في شخصية الإنسان العربي نجد أنّهُ ((ذو انفة بطبيعته لذلك كثر شعر الفخر على لسانه، وقد كانت الصحراء العربية خير بيئة لظهور فن الفخر لما تشهده من صراع مستمر بين الإنسان والطبيعة ، وبين الإنسان وغيره من الناس))(٢).

وأن الحياة الصحراوية في الجزيرة العربية كانت ((حافلة دائماً بالمخاطر والحروب وبكل مظاهر القوة والعنف والبطولة يتجلى فيها التنازع من أجل البقاء في كل صورة كما وان المجتمع الصحراوي يقوم على العصبيات القبلية مما يجعل الكثير من القبائل تقيم تحالفات وتشارك في الحروب وبالتالي تنطلق السنة الشعراء لتمجيد البطولة ولتعزيز المواقف القبلية))(٣).

وفي دراستي الأبيات في هذا الغرض التي أوردها الطبري في تفسيره وجدت أنْ قد ((اقتربت معاني الفخر والحماسة، فكادا أن يكونا بمثابة الفن الواحد يتعذر فصلهما لما بينهما من اتصال وامتزاج وثيق ، فقد وجدا توأمين متلازمين فلا فخر بدون حماسة وكذلك الحماسة هي فخر بعينه ، وهما من أهم موضوعات الشعر العربي الرئيسة التي شغلت جزءًا كبيرًا من شعر الشعراء على مر العصور))(٤).

وبهذا يتبين أن الفخر يعني ((أن يمدح الشاعر قبيلته ونفسه فيذكر مأثرها ومكانتها الرفيعة بين القبائل، كما يفتخر بعراقة أصلها وطيب نحارتها وماضيها التليد وما خلفه

(١) لسان العرب: م٧: ٣٩، مادة (فخم) .
(٢) الفخر في الشعر العربي ، اعداد سراج الدين محمد ، دار الراتب الجامعية ، بيروت ـ لبنان : ٦.
(٣) المصدر نفسه : ٦ .
(٤) الشعر في تاريخ الطبري، دراسة موضوعية فنية ، موفق أسعد العنبكي، رسالة دكتوراه اجازتها كلية الآداب، الجامعة المستنصرية بإشراف د. سنية احمد الجبوري ، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٧ م :٨٢.

أجدادها لها من محامد ومفآخر))[١].

والبعض لم يجعل معاني هذا الغرض قريبة من الحماسة فقط بل عُدّ الفخر ((ضربٌ من الحماسة وهو التغني بالفضائل والمثل العليا والتباهي بالسجايا النفسية والصفات القومية والزهو بالفعال الطيبة وألذ احاديث المرء عنده هو حديثه عن نفسه وخصاله وفعاله عن الشجاعة والكرم والمروؤة وحماية الجار وطيب المنبت وعراقة الأصل وكثرة المال والولد إلى غير ذلك مما يزهو الإنسان ويختار به على غيره))[٢].

ومن الطبيعي أن لكل مجتمع قيمًا يعتز بها وكلما تغير المجتمع تبعاً لظروف وأطوار الحضارة تعرضت هذه القيم للتغير أو الانزياح إلى قيمة آخري تعد الأولى في سلم الأهمية، وتعد الشجاعة من أهم القيم التي كان الجاهليون يعتزون بها بسبب طبيعة المجمتع الصحراوي الذي كانت تحمله القوة وبتطوير المجتمع العربي ضعفت الشجاعة بوصفها قيمة، حتى لا نجد شاعرًا عربيًا يتفاخر بالقوة البدنية في مواجهة الأعداء وبعد أن كان التفاخر بالشجاعة والفروسية صوراً متفاوتة من شاعر إلى آخر، ولقد شغلت ساحة الحرب أذهان الشعراء الجاهليين في مواقفهم بها، وبطبيعة الحال فأن الشجاع لا يخشى ساحة الحرب ويريد أن يظهر شجاعته وصلابته بها، أما الجبان فيتطلع إلى الفرصة المناسبة للفرار، والطبري ساق قول عنترة بن شداد في هذا المضمون إذ يبين الشاعر بأن الموت يأتيه بوقته ولا ينجيه الفرار فصبر لذلك ، بينما يفكر الجبان بالهرب فقال:

فَصَبرتُ نَفساً عِنْدَ ذَلكَ حُرَة　　　تَرْسُو إذا نَفْسُ الجَبَانِ تَطَّلعُ[٣]

---

(١) دراسات في ادب ونصوص العصر الجاهلي : ١٨٧. .

(٢) الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه : ١٨٤ ـ ١٨٥.

(٣) ديوانه: ٤٩ ، وقد وردت لفظة (عارفة لذلك) بدل (نفسًا عند ذلك)؛ تفسير الطبري : م٧، ج١٢ : ٥٧ والبيت من الكامل .

وليس هذا فحسب، بل إنّ عنترة يذكر صورة أخرى لفخره بشجاعته في القتال تتمثل في وصفه يكرُّ على عدوّهِ ولا ينهزمُ وإن نزل العدو بأي موقعة نزل معه فقال:

إنْ يَلحقُوا أَكْرُرْ وإنْ يَستلحمُوا　　　أَشْدُدْ وإنْ ينْزِلُوا ضَنْكًا أنزلِ(١)

وفي صورة أخرى يفخرُ عنترة بأنه قتل زوج امرأة جميلة استغنت عن التجميل بجمالها، وقد جعل زوجها مقتولا، مشبهًا إيّاهُ بالبعير الذي شُقّت شفته العليا(٢) فقال:

وَحَلِيلُ غَانِيَةٍ تَرَكْتُ مُجَنْدَلاً　　　تَمْكُو فَرِيصَتَهُ كَشِدقِ الاَعْلَمِ(٣)

أما الفخر عند أبي ذؤيب الهذلي فقد أخذ بعداً آخر فهو يفتخر بنفسه وتحمله للشدائد وكأنه حجر صلب يمر عليه الناس كل يوم فقال:

حَتَّى كَأني لِلْحَوادِثِ مَرْوَة　　　بِصَفَا المَشْرِقِ كُلَّ يَوْمٍ تَقْرعُ(٤)

ولو غادرنا الفخر الفردي إلى الفخر الجماعي لوجدنا أن هذا النوع من الفخر كان له حضوره الكبير في الشعر الجاهلي، ولقد أخذ هذا اللون من الفخر ذروته في أروع صورة ((فيها غلو ومجاوزة حدود المعقول فقد أخذت العصبية عمرو بن كلثوم التغلبي فجعل الناس خولاً لقبيلته وعبيدًا لقومه، وبلغ به الغرور كل مبلغ))(٥)، وبان هذا بوضوح في معلقته التي بلغ عدد أبياتها مائة واربعة، وأورد الطبري قوله وهو يخاطب أبا هند(٦)، مفتخراً ومتحمسًا أنه سوف يعلمهُ بعلوه وشرف قومه فقال:

---

(١) ديوانه: ٦٨؛ تفسير الطبري: م٩، ج١٦ : ٢٨١. وقد أورد الطبري جملة ((وإن نزلوا بضنك أنزل)) فقط والبيت من الكامل.
(٢) ينظر: اروع ما قيل في الفخر ، د. يحيى الشامي ، دار الفكر العربي ، بيروت ـ لبنان :٢٨.
(٣) ديوانه: : ٨٢ ، تفسير الطبري : م٦، ج٩ :٢٩٩ والبيت من الكامل.
(٤) المفضليات : ٤٢٢ ، تفسير الطبري م٢، ج٢ : ٥٩ ، البيت من الكامل.
(٥) الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه : ١٨٨.
(٦) عمرو بن المنذر الاكبر بن امرئ القيس بن عمرو بن عدي وهو اول ملوك الحيرة (ينظر شرح القصائد العشر، لأبي زكريا يحيى بن علي بن محمد بن الحسن بن محمد بن موسى الشيباني المعروف بالخطيب التبريزي (٤٢١ ـ ٥٠٢هـ)، حقق أصوله وضبط غرائبه وعلق على حواشيه محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة بمصر، ط٢، ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م:٣٩١).

اَبَا هِنْدٍ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْنَا   وَأَنْظِرنَا نُخَبِّرْكَ اليَقِيْنَا[١]

ويستمر عمرو بن كلثوم في فخره بقومه واصفاً أعدائهم بأنهم رجعوا بالغنائم بينما أسر هو وقومه الملوك بالقيود فقال:

فَآبُوا بِالنِهَابِ وَبِالسَّبَايا   وَأُبْنَا بِالمُلُوكِ مُصَفّدِيْنَا[٢]

ومثلما افتخر عمرو بن كلثوم بقومه الذين أتوا بالملوك مقيدين، يذكر الطبري قول المهلهل[٣] وهو يفتخر بقومه الذين أتوا بأعدائهم مأسورين وعلى رغم أنوفهم فقال:

فَجَاءُوا يُهْرَعُونَ وَهُم أُسَارَى   نَقُوُدهُمُ عَلَــى رَغْمِ الأُنُوفِ[٤]

إلى جانب الشجاعة فقد تصدرت خصلة الكرم مجالات الفخر في الجاهلية وكان الشعراء يحرصون على التزود بهذه الصفة هم وقبائلهم، وكان العرب ((تسعد نفوسهم بمساعدة المحتاجين وإطعام الجائع وإغاثة الملهوف وكان المال في نظرهم وسيلة لا غاية، وسيلة إلى الحياة الشريفة وإلى كسب المحامد))[٥].

ولذا كان الكرم عرفاً يفتخر به العرب في العصر الجاهلي وكانت صفة محبوبة بينهم ويتنافسون فيها وإن ((خصائص الطبيعة البشرية أنها شديدة التأثر بما يوحي العرف الاجتماعي إليها من قيم واعتبارات، فالإنسان يود أن يظهر بين الناس بالمظهر الذي يروق في أعينهم فإذا احترم الناس صفة معينة ترى الفرد يحأول شتى المحأولات للاتصاف بتلك الصفة والتباهي بها والتنافس عليها))[٦].

---

(١) ديوانه: : ٦٦ ، تفسير الطبري م١٣، ج٢٧ : ٢٧٦ والبيت من الوافر .
(٢) ديوانه:٩٧ ، تفسير الطبري : م٨، ج١٣ : ٣١٨ ، والبيت من الوافر
(٣) عدي بن ربيعة اخو كليب وائل الذي هاجت بمقتله حرب بكر وتغلب وسمي مهلهلاً لأنه هلهل الشعر أي رققة (الشعر والشعراء ٢٨٨/١).
(٤) ديوان مهلهل بن ربيعة ، اعداد وتقديم طلال حرب ، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٦ : ٥١ ، وورد في الديوان لفظة (يقودهم) بدل (نقودهم)؛ تفسير الطبري: م٧، ج١٢ :١٠٣ ، والبيت من الوافر .
(٥) الحياة العربية من الشعر الجاهلي : د. احمد الحوفي، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، ط٤ : ٣٠٨ .
(٦) وعاظ السلاطين ، د. علي الوردي ، دار كوفان : ١٦ .

ولصعوبة الحياة البدوية، وشدة الجدب والقحط، والبحث عن الطعام رفع من شأن هذه الصفة لذا ((فرحوا بالضيف وأعزوه وبالغ الكرماء في الحفاوة به والتعهد له))[١].

وفي هذا السياق أورد الطبري قول لبيد بن ربيعة وهو يفتخر بأن كرمه يصل إلى من يسأله وإلى من لا يسأله فهو يكرم الغلام الذي أرسلته أمه من دون أن يسأل:

وَغُلَامٍ أرسلـــتْهُ أمُّهُ　　　بَألوكٍ فَبَذَلْـــــنَا مَا سَأَلْ[٢]

بينما دوّن الطبري قول تأبط شرا[٣] وهو يرفض أن يكون سحابًا لا مطر فيه أو حجرًا املسًا صلبًا، بل هو جواد كريم كما يصف نفسه:

وَلسْتُ بِجِلْبِ جِلْبِ رَعْدٍ وَقِرَّةٍ　　　وَلا بصفٍّ صَلْدٍ عَنْ الخَيْرِ أَعْزَلِ[٤]

وإلى جانب ما ذكرته من الشجاعة والكرم فقد فخر العرب بالصفات النبيلة الآخرى كالحلم والوفاء والعفو عند المقدرة والابتعاد عن الخيانة والغدر.

وبعد أن تم حصر الأبيات في هذا الغرض التي ساقها الطبري في تفسيره وجدت أن الكرم، والجود، والتحمل، والصبر على الشدائد، والمكارم، والافتخار بالنسب، وبالشرف كانت من أبرز معاني الفخر عند الشعراء في العصر الجاهلي، ولم يكتفِ الشعراء بالفخر بأنفسهم، بل كانت لقبيلة الشاعر وقومه الأثر، والإشادة الأكبر في شعر الجاهليين فتغنوا بشجاعة وانتصارات قبائلهم واقوامهم على القبائل الآخرى في أثناء حروبهم معها وما إلى ذلك من صفات الفخر وعلو شأن التي كان يفتخر بها العربي في ذلك العصر .

---

(١) الحياة العربية من الشعر الجاهلي : ٣٠٩ .

(٢) شرح ديوان لبيد : ١٧٨، تفسير الطبري : م١، ج١ : ٢٦٠ والبيت من الرمل.

(٣) هو ثابت بن عسل ((الشعر والشعراء : ٣٠١/١)).

(٤) شعر تأبط شراً ، تحقيق سليمان داود القرغولي وجبار تعبان جاسم ، مطبعة الادب في النجف الاشرف ، ط١، ط١، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ : ١٤٠ ، وقد ورد في البيت (ريح) بدل (رعد)، و (معزل) بدل (أعزل)؛ تفسير الطبري م٣، ج٣: ٨٦ ، والبيت من الطويل.

٦. غرض الهجاء:

الهجاء : جاء اسم هذا الغرض من هجاه بمعنى ((شتمه بالشعر، وهو خلاف المدح، قال الليث هو الوقيعة في الأشعار))[١]، ويعد هذا الغرض ((تعبير عن عاطفة السخط والغضب تجاه شخص أو جماعة تنتقم منهم، والشاعر الهجائي ينفس بأهاجيه عما في صدره من ضغائن واحقاد))[٢].

ويقال هذا الغرض ((في نفي الصفات الطيبة عن الذي يوجه إليه وإلحاق الصفات السيئة فيه))[٣]، إضافة إلى أدوات القتال التي يستخدمها المقاتل في المعركة، وكان الهجاء ((سلاحاً فاعلاً من أسلحة القتال يصف الشاعر به خصومه فيتوعدهم ويهددهم ويعدد معايبهم لينتقص من أقدارهم والحروب هي المصدر المناسب للهجاء يزدهر بازدهارها، وقد يسبقها في أكثر الأحيان، فشأنه في هذا شأن شعر الحماسة بالقصائد الهجائية وعلى الأخص تلك التي تتنأول الهجاء القبلي، والشاعر الهاجي هو ابن قبيلته والمدافع عنها، عندما يشتد الغضب في صدره يتنفس فتتصاعد رياح الأحقاد في آبيات شعرية يطلقها قذائف دفاعية أو هجومية مهدداً متوعداً أو مدافعاً))[٤].

أما نشأته الأولى فقالوا: إنّ الهجاء نشأ مرتبطاً بالطقوس الدينية وهو: ((صورة من صور اللعنة التي كان يرهب بها الكهان من يريدون إرهابهم))[٥].

والشاعر الذي يهجو يرتدي لباساً وزياً خاصاً ومتشابهاً لزي الكهنة ويحلق رأسه ويترك له ذؤابتين ودهن أحد شقي رأسه ويلبس نعلاً واحداً وكان يصنع ما يقوم به الحاج في حجه، ودعاءه ربه[٦].

---

(١) لسان العرب: م٩ :٤٥، مادة (هجا).
(٢) الشعر الجاهلي ، خصائصه وفنونه:٢٢٣.
(٣) معجم المصطلحات العربية: ٣٤٩.
(٤) أدب العرب في عصر الجاهلية:١٣٨.
(٥) دراسات في ادب ونصوص العصر الجاهلي:١٨١ .
(٦) ينظر: تاريخ الادب العربي (العصر الجاهلي):١٩٧.

ولقد ترك الهجاء رهبة في النفوس ولذلك كان الناس يتطيرون منه وكان مصدر تشاؤم لهم وكانوا يحأولون التخلص منه، وسبب آخر يكمن وراء خوف العربي من الهجاء وهو أن العرب تقرن بين ((السحر والهجاء للرهبة التي يتركها كل منهما في النفوس لذلك كانوا يعزون الهجاء إلى إيحاء وعون الشياطين يمدون الشعراء بالقول، فالشاعر حين يهجو يستعين بشيطانه لاستمطار اللعنات على خصومه كما يستعين الشاعر بالأرواح الشريرة لإلحاق الأذى بمن يريد سحرهم وقد ذكر الشعراء شياطينهم وسموها بأسماء خاصة منها الأنثى ومنها الذكر، فشيطان الأعشى اسمه (مسحل) وشيطان خصومه (جهنام)))[١].

ولو تأملنا في دراسة هذا الغرض في العصر الجاهلي لو جدنا أنه قد ارتبط ((بروح الصحراء العربية التي كانت تقوم على التنافس والحروب بين القبائل وكانت المعاني في قصيدة الهجاء تذم الضعف والبخل واختلاط النسب لكن ألفاظ الهجاء لم تكن مقذعة مقارنة بالهجاء في العهود التالية))[٢]، وقد تعددت صفات المهجوين على وفق أفعالهم ومواقفهم وأساليبهم في منظار الشاعر الهاجي وفي الغالب يكون الهجاء في صنفين أو نوعين من الناس :-

النوع الأول: ما يتنأول إنسانًا أو فرداً واحداً و يسمى الهجاء الشخصي أو الهجاء الفردي وفيه الحط من قيمة المهجو وذكر عوراته وإلحاق الذل والعار به، وأورد الطبري في تفسيره قول عمرو بن معد يكرب الزبيدي[٣]، وهو يهجو الملك فروة بن مسيك بأنه رجل غدار فقال:

---

(١) أدب العرب في عصر الجاهلية : ١٣٩ ـ ١٤٠ . ١٩٧.

(٢) الهجاء في الشعر العربي ، اعداد سراج الدين محمد ، دار الراتب الجامعية ، بيروت، لبنان : ٨.

(٣) هو من مذحج ويكنى بأبي ثور وهو ابن خالة الزبرقان بن بدر التميمي (شعر والشعراء : ٣٦٠/١).

وَإنَّكَ لَوْ رَأيْتَ أَبَا عُمَيْرٍ   مَلَأتَ يَدَيْكَ مِنْ غَدْرٍ وَخَتْرٍ[١]

ومن الأمثلة الآخرى لهذا النوع من الهجاء ذكر الطبري قول الأعشى هاجياً عمرًا بن المنذر، لأنه لا يكرم ضيفه وأنه لا يحمي جيرانه فقال:

وَلَيْسَ مُجِيْرًا إنْ أتَى الْحَيَّ خَائِفٌ   وَلَا قَائِـــلاً الّا هُـــو المُتعَـــيِبَا[٢]

والثاني: ما يسمى بالهجاء الجماعي وفي الغالب يكون في هجاء قوم، أو قبيلة بجميع أفرادها وهو أشهر أنواع الهجاء، ومن أمثلته ما أورده الطبري من قول أوس بن حجر في هجائه لبني لبينى وهم من ((بني أسد بن وائلة يعيرهم بأنهم أبناء أمة إذ ينسبهم إلى الأم تهجياً لشأنهم وأنهم هجناء))[٣]، والشاعر يهجوهم بأنهم من الضعف والوهن مثل يدٍ تعطل عملها فقال فيهم:

أبَنِي لُبَيْنَى لَسْتُم بِيَدٍ   إلّا يَداً لَيْسَتْ لَهَا عَضُدُ[٤]

وينقل الطبري شاهداً آخر من هجاء أوس بن حجر في بني لبينى واصفاً إياهم بأنهم مبعدون عن ساحة الكرم والكرماء وهو يبعدهم كما تبعد العصا التي يضرب بها القطن والصوف والتي تبعد ما تلبد منه[٥] فقال:

يُنْفَونَ عَنْ طُرُقِ الكِرَامِ كمَا   تَنْفِي المَطَارِقُ مَا يَلِي القَرَدُ[٦]

ويسوق الطبري قول الأعشى في هجاءٍ لاذعٍ على بني إياد وهي قبيلة من نبط الأعاجم، وأنها تسكن البطائح وأن القمل يملأ أجسادهم[٧] فقال:

---

(١) ديوان عمرو بن معد يكرب الزبيدي صنعه هاشم الطعان، وزارة الثقافة والاعلام، مطبعة الجمهورية ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠م : ١٠٥ ، تفسير الطبري: م١١، ج٢١ : ١٠٣، البيت من الوافر.
(٢) ديوانه: :١٨، تفسير الطبري: م٨ ، ج١٤ : ١٣٨، والبيت من الطويل.
(٣) ديوانه: ٢١.
(٤) المصدر نفسه: ٢١ ، تفسير الطبري : م٨، ج١٤: ١٣٨ ، والبيت من الكامل.
(٥) ينظر: ديوانه :٢٢
(٦) ينظر: المصدر نفسه :٢٢، ووردت لفظة (تنفون) بدل (ينفون)، تفسير الطبري: م٤، ج٦ : ٢٨٥، والبيت من الكامل.
(٧) ينظر: ديوانه: :٧٣.

قَـوْمٌ تُعَـالِجُ قُمَّـلا أَبْنَـاؤُهُمْ   وَسَلاسِـلا أُجُـدًا وَبَابًـا مُؤْصَـدَا [١]

وهناك نموذج آخر للهجاء نجده في بيت أورده الطبري من أبيات حاتم الطائي في هجائه بني ثعل وهو يشجع على غزوهم وأنهم أعداء للشرف والحسب فقال فيهم:

اغْزُوا بَنِي ثُعْل فَالْغَزْو جَدُّكُمُ   عُدُّوا الرَّوَابي وَلَا تَبْكُوا لِمَنْ قُتِلَا [٢]

ومن الأساليب التي استخدمها الشاعر الهاجي والتي كانت ذات وقع مؤلم على الإنسان العربي، الطعن في حبه و التشكيك فيه، والطبري ذكر قول أوس بن حجر وهو يهجو بهذا الاسلوب قوم شعيث وهم حي من تميم في أنه لا يدري هم ينتمون إلى سهم أم إلى منقر[٣] فقال فيهم:

لَعَمْرك مَا أدري وإن كنتُ داريا   شُعَيْبُ بْن سَهْم أم شُعَيب بْنِ مِنْقَرِ [٤]

(١) ديوانه: ٧٣ ، وردت لفظة (يعالج) بدل (تعالج) تفسير الطبري: م ٦،ج٩: ٤٣ ، والبيت من الكامل.

(٢) ديوانه: ٣٩ ، وردت لفظة (حظكم) بدل (جدكم) ولفظة (نكلا) بدل (قتلا)، تفسير الطبري: م ١٤، ج٢٩ :١٢٨، والبيت من البسيط.

(٣) ينظر: ديوانه:٤٩.

(٤) المصدر نفسه: ٤٩ ، ورد البيت باللفظ الاتي (أمن حزن محجن) بدل (وان كنت دارياً) ولفظة (حزن بن منقر) بدل (شعيث بن منقر)، تفسير الطبري : م٥، ج٧ : ٣١٢ ، والبيت من الطويل.

مميزات الهجاء الجاهلي :

١. تميّز الهجاء بقصر قصائده ((فأكثره مقطعات و أبيات ويرون أنّ قصر الهجاء وعفته هما أول أسباب رواجه وأشهرته))[١].

٢. يلتزم في الغالب شعراء الهجاء ((الوضوح والبساطة والبعد عن الصنعة والتكلف، لأنه وليد الفطنة وسرعة الخاطر واللمحة الدالة))[٢].

٣. تساق في الغالب أبيات الهجاء في تضاعيف قصائد الحماسة والإشادة بأمجاد القبيلة وانتصاراتها الحربية في بطولاتها وفرسانها وذودهم عن القبيلة[٣]، ونجد أن غرض الهجاء يشترك في قصيدة مع غرض آخر وفي قصيدة واحدة ونجد اشتراك الهجاء مع المدح في قصيدة ((يبدأ الشاعر مدح من يعطيه من القبائل أو السادة، وهجاء من يمدحهم ومن ثم فإن من الهجاء ما يكون تكسباً كالمديح ومثل هذا الهجاء يشبه المناظرات التي كانت تدور في الجاهلية))[٤].

٤. مما تميز به هذا الغرض في عصر الجاهلية أنه ((نزيه في معظمه لم يألف فيه الشاعر معاني الفحش والتشهير كما استمرأها فيما بعد شعراء العصر الأموي))[٥].

وبعد دراسة هذا الغرض نلمسُ أنّ اغلب شعراء الهجاء في العصر الجاهلي ذوو بواعث قبلية بسبب كثرة الصراعات التي تحدث بين قبيلة وآخرى.

وظهر من خلال دراسات أبيات الهجاء أن الشاعر الهاجي كان يصب الرذائل السيئة والقبيحة كلها على المهجو واصفاً إياه بالغدر والخيانة، ولم يقف الشاعر عند هذا الحد بل راح يطعن بالشرف والنسب والحسب وتعير البعض بأنهم أبناء الإماء

(١) الشعر الجاهلي ، خصائصه وفنونه : ٢٤٢ .
(٢) أدب العرب في عصر الجاهلية : ١٤٣.
(٣) ينظر: تاريخ الادب العربي (العصر الجاهلي): ٢٠٢ .
(٤) دراسات في الادب الجاهلي : ١٨٩ .
(٥) أيام العرب واثرها في الشعر الجاهلي: ١٥١.

ولـم يكتـف الشـعراء بهجـاء فـرد أو شـخص واحـد، بـل اتسـع هجـائهم ليشـمل قبائـل وأقوامًا بأكملها بالذل والهوان والنفي عن طريق الكرام ودفعهم عن الصفات الحسنة وإلحاق العيوب والرذائل كلها بهم، ولكن لا ينبغي أن نحصر هذا الغرض في بعدٍ واحد بوصف لا يتعدى السباب والشتم وأن نجهل أنّ لهذا الغرض بعداً آخر فهو الواعظ ، كما يقدم ((دروساً اخلاقية تشجعنا على العمل بعكس هذه الصفات التي استدعت الهجاء ، والشاعر بقوة ألفاظه الهجائية يصور لنا وجهين للحقيقة والحياة وجه للخير ووجه للشر، فهو إذا يرسم لنا مثالاً أعلى يدعونا للتطلع إليه))[1].

(١) الهجاء في الشعر العربي: ٨.

٧. غرض الرثاء:

الرثاء: هو غرض شعري قديم اشتهر عند العرب وكان الشعراء يمدحون ويعدون مناقب الميت من شجاعة وكرم وعلم وغيرها من الصفات النبيلة والقيم السامية في ذلك المجتمع، لذا يعد هذا الغرض نوعًا من المدح، لكنه للميت ويقال: ((رثأت الرجل رثأ : مدحته بعد موته))(١)، ولذا يرى قدامة بن جعفر (ت٣٣٧هـ) عند تناوله نعت المراثي ((إنه ليس بين المرثية والمدحة فصل إلا أن يذكر في اللفظ ما يدل على أنه لهالك مثل: (كان) و (تولى) و (قضى نحبه) وما اشبه ذلك))(٢) ووقف ابن رشيق القيرواني (ت٤٥٦هـ) مع الرأي فقال: ((ليس بين الرثاء والمدح فرق، إلا أن يخلط بالرثاء شيء يدل على أن المقصود به ميت))(٣)، ولذا جاء هذا الغرض ممزوجاً بالمدح ويطلب به الثأر للميت إذا كان مقتولاً والتهديد لقاتله، لذا كان الغرض ((وثيقة الصلة بالحماسة ، فقد كان الشعراء الجاهليون يرثون أبطالهم الذين سقطوا صرعى في حومات الوغى، وهم بذلك يثيرون قبائلهم لتأخذ بثأرهم، ومعنى هذا أنّ الرثاء بدأ بالشعر الجاهلي بداية حماسية مرتبطة بالدور الذي كان الشاعر يقوم به في المجتمع القبلي))(٤).

أما البواكير والجذور الأولى التي تعد حجر الاساس في نشأة هذا الغرض وبداياته ((إنما هو تطور عن تعويذات كانت تقال للميت، وعلى قبره بصورة خاصة حتى يطمئن في لحده وبمرور الزمن تحولت تلك التعويذات إلى بكاء ونواح وندب حار يبكون في الميت الشجاعة والنجدة والكرم والوفاء))(٥).

وعند تتبع هذا الغرض وجدت أنه يدور في جانبين أولهما أنّه من خلال الغرض تعبر النفس عن مشاعر الحزن والأسى لعقد المرثي والجانب الثاني هو تعداد لمحاسن

---

(١) لسان العرب: م٤: ٦٣، مادة (رثأ).
(٢) نقد الشعر: ١٠٠.
(٣) العمدة: ٢ / ٩٦ .
(٤) دراسات في ادب ونصوص العصر الجاهلي : ١٦٨.
(٥) أدب العرب في عصر الجاهلية: ١٤٤ ، وينظر دراسات في ادب ونصوص العصر الجاهلي : ١٦٨.

الميت، وإذا كان الميت مقتولاً جعل الشاعر الراثي في رثاءه للميت هجاء لخصوم المرثي والفخر بقومه والمطالبة بثأره[١].

وفي دراسة هذا الغرض نجده تميز بميزات منها:

إن الشعراء لا يبدأون قصائدهم بالمقدمات التي اعتاد الشعراء أنْ يفتتحوا بها مطالع قصائدهم ((فليس من عادتهم أن يقدموا لمراثيهم بما اعتاد الشاعر الجاهلي أن يفعل في الأغراض عندما يفتتح قصائد بمقدمات غزلية أو طللية أو خمرية، لأن المقام لا يناسب ذلك وإذا ظهرت حالة أو حالتين من هذا القبيل، فقد علل القدماء بأن الشاعر إذ نال ثأره من القاتل، ومضت على الحادثة مدة طويلة يتذكر زوجته أو أهله فيبدأ الرثاء بوصف حالة مع زوجته التي أقسم على عادة الجاهلية أن لا يقرب منها حتى يثأر لأخيه وها هو الآن قد أدرك بعد مضي دهر من فراق زوجته))[٢].

وإن من أبرز ما نلمسه في هذا الغرض في العصر الجاهلي ((كان أكثره مصروفاً إلى سادات العشيرة وفرسانها الذين لهم عليها اليد الطولى في حمايتها وقيادتها والقيام على مصالحها، فهم الذين يستحقون البكاء بهذا الصوت العالي شحذاً لهمم الأحياء وتحريكاً للقبيلة حتى تثأر لهم))[٣].

وتعارف الشعراء في غرض الرثاء ((أن يضربوا الأمثال بما سلف من الأنبياء والملوك والأمراء والعظماء، وبما هلك من الوعول المعتصمة بقمم الجبال والأسود الخادرة في ثنايا الغياض وحمر الوحوش الضاربة مجاهل القفار، ثم بالنسور والحيات ذات البأس والقوة والعمر المديد))[٤].

---

(١) ينظر: دراسات في الادب الجاهلي : ١٩١.
(٢) تاريخ الادب العربي قبل الإسلام: ٢١١.
(٣) الأدب العربي بين البادية: ١٥٠ .
(٤) دراسات في ادب ونصوص العصر الجاهلي : ١٧٣ .

وممّا تميّز بـه هـذا الغـرض الشـعري أن النسـاء أجـدن فيـه وقـد رثـينَ إخـوتهن وآبـائهن وأزواجهـن ورجـال قبـائلهن ونقيض ذلـك تمامـاً انـه ((لـم يـؤثر عـن الشـاعر الجـاهلي أنـه رثـى المـرأة ولـم يمـدحها ايضـاً، بـل قصـر مـديحها علـى الغـزل والنسـيب والتشبيب))[١].

النســاء فــي رثــائهنّ ونــدبهنّ الميــت ((يشــققن جيــوبهن عليــه ويلطمــن وجــوههن ويقــرعن صــدورهن ويعقــدن مأتمــاً مــن العويــل والبكــاء))[٢]، ومــن يبحـث فـي أغـوار الرثـاء فـي العصـر الجـاهلي يعجـب مـن العـدد الكثيـر للشـواعر فــي ذلــك العصــر، وإذا بحثنــا فــي ((ســمات مراثــي النســاء وميزاتهــا فقـد اجتمعـت كلهـا فـي شـعر الخنسـاء التـي تحتـل مركـز الصـدارة فـي هـذا اللـون من الأشعار))[٣].

وعلى الرغم من أن الرثـاء أقرب الـى المـرأة منـه الـى الرجـل لطغيـان العاطفـة عليهـا، نرى أن الرجال قد احترفوا هذا الغرض، ممن كـان لديهم الصـوت الشـجي المؤثر فـي إثارة الحزن والبكاء في نفوس الناس ويصاحب ذلك ضرب بالصُّوج ونقر الدف لتعظيم الفجيعة[٤] ،وفي دراسة أشعار الرثاء نجدها أنها جاءت على ثلاثة ألوان أو أشكال يمكن التمييز بينها وهي :-

١. **الندب**: ((يقـال هـذا الضـرب من الرثـاء فـي المناحـات بكـاء ونـواح علـى الميت بألفـاظ مؤلمـة كثيـرة الحـزن تسـتمطر الـدموع مـن العيـون وتصـعد الآهـات مـن الصدور ويصحب ذلك لطم على الوجوه بالأكف))[٥].

---

(١) تاريخ الادب العربي قبل الإسلام : ١٩٢ .
(٢) تاريخ الادب العربي (العصر الجاهلي) : ٢٠٧.
(٣) الرثاء في الاندلس (عصر ملوك الطوائف): د. فدوى عبدالرحيم قاسم، رسالة ماجستير، اجازتها جامعة النجاح الوطنية نابلس ، فلسطين بإشراف د. وائل ابو صالح ١٣٢٣هـ ـ ٢٠٠٢ م :١٢ .
(٤) ينظر: الشعر الجاهلي خصائص وفنونه : ١٩٧ .
(٥) أدب العرب في عصر الجاهلية : ١٤٤ .

٢. **التأبين**: دار هذا الضرب على شكل ثناء، يقال على الميت بمداحه، وذاكر الفضائل والمحامد والمثل السامية التي يتميز بها [١].

٣. **العزاء**: المصير الحتمي للإنسان في هذه الحياة هو الموت لذلك اتجه هذا الضرب المسمى (العزاء) إلى ذكر فاجعة الموت والأقدار ونوازل البلاء وإلى التعزية بالموت الذي لابد منه والذي يرد الجميع ولا ينجو منه لا غني ولا فقير، ولا عبد ولا ملك[٢].

وفي دراستي لغرض الرثاء في تفسير الطبري وجدت أنه يدور في محورين: الأول منهما رثاء الإنسان نفسه، والثاني رثاء الأهل والأخلاء، وفي رثاء النفس أورد لنا الطبري قول لبيد بن ربيعة وهو يوصي ابنته أن تبكيه عاماً كاملاً بعد وفاته حزناً عليه:

الَى الحَوْلِ ثُمَّ اسْمُ السَّلَامِ عليكُما وَمَنْ يَبْكِ حَوْلاً كَامِلاً فَقَدْ اعْتَذَر[٣]

اما الشنفرى[٤] وبعد أن قتل مائة رجل من بني سلامان وبعد ظفرهم به وهم يريدون قتله قالوا له: اين نقبرك؟ فقال وهو يرثي نفسه وهو في القبر[٥]:

هُنَاكَ لَا ارْجُو حَيَاةً تَسُرُّنِي سَمِيْرَ الْلَّيَالِي مُبْسِلاً بِالجَرَائِرِ [٦]

وفي رثاء الأهل نجد أنّ موت أربد الذي دعا عليه الرسول (ﷺ) بعد أن جاء ليغدر به، فأصابت أربد صاعقة فحرقته[٧] وترك هذا الحدث المؤلم أثره وأخذ مأخذه في نفس نفس أخيه الشاعر لبيد بن ربيعة، وقد أورد الطبري قوله وهو يرثي اخاه:

---

(١) ينظر: الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه : ١٩٧ ؛ وينظر : ادب العرب في عصر الجاهلية : ١٤٥.
(٢) ينظر: ادب العرب في عصر الجاهلية : ١٤٦ ؛ وينظر : الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه : ١٩٨ .
(٣) شرح ديوان لبيد : ٢١٤، تفسير الطبري : م٦، ج١٠ : ٢٦١ والبيت من الطويل.
(٤) شاعر صعلوك، يمني الأصل من بني أواس من الأزد، (شعراء العرب في العصر الجاهلي:١١٧).
(٥) ينظر: ديوان الشنفري ، جمعه وحققه وشرحه د. اميل بديع يعقوب ، الناشر دار الكتاب العربي بيروت الطبعة الثانية ، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦ م: ١٠ ،٤٨.
(٦) المصدر نفسه: ٤٨ ، و وردت لفظة (سجيس) بدل (سمير)، تفسير الطبري:م٥، ج٧: ٢٩١، والبيت من الطويل.
(٧) ينظر: ادب العرب في عصر الجاهلية : ١٤٦ ؛ وينظر : الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه : ١٩٨ .

عَيْنُ هَلّا بَكِيتِ اَرْبَدَ اِذْ قُمْنَا وَقَامَ الخُصُومُ فِي كَبَدِ[(١)]

ويبدو أن الشاعر كان شغوفاً بحب أخيه ويخشى عليه من الموت والفواجع فقد ساق الطبري قول لبيد وهو يبكي أخاه:

أَخْشَى عَلَى أرْبِدَ الحُتُوفَ وَلَا أَرْهَبُ نَوْءَ السِّمَاكِ وَالأَسَدِ

فَجَّعَنِي الرَّعْدُ والصَّوَاعِقُ بِالْـ فَارِسِ يَوْمَ الكَرِيْهَةِ النَّجْدِ [(٢)]

وفي رثاء النساء ذكر لنا الطبري قول الخنساء وهي ترثي أخاها صخراً والذي تجد فيه كل الصفات والمثل النبيلة فقالت راثيةً له:

وَذِي كُرْبَةٍ أَرْخَى ابْنُ عَمْرٍو خِنَاقَهُ وَغُمَّةٍ عَنْ وَجْهِهِ فَتَجَلَّتِ[(٣)]

ولم يقتصر الرثاء على الأهل أو الأقرباء وإنما يتعدى ذلك إلى أصناف أخرى منها الاصحاب، والطبري جاء بقول ساعدة بن جؤية الهذلي[(٤)]، وهو يصف رجلين رأى صاحبهما وقد قُتل بعد أن حاصر خصومه فقال:

وَقَالُوا تَرَكْنَا الحَيَّ وَقَدْ حُصَرُوْا بِهِ فَلَا رَيْبَ أنْ قَدْ كَانَ ثَمَّ لَحِيْمُ[(٥)]**.**

والحيم: هو الميت .

وبعد الاستقصاء في أبيات الرثاء وجدت أن الشعر الذي رصده الطبري جاء في التعبير عن النفس وما تجتاحها من الأمراض والعلل والمصائب ووصفها بصورة مؤلمة ومؤثرة تثير شجون الآخرين وحزنهم، هذه الصورة طغت وشكلت محورًا أساسيًا من محاور الرثاء في العصر الجاهلي ووجدت عند الدراسة أن الشعراء

---

(١) شرح ديوان لبيد: ١٦٠ ، تفسير الطبري م١٥، ج٣٠ : ٢٤٨ والبيت من المنسرح.

(٢) شرح ديوان لبيد: ١٥٨ ، تفسير الطبري م٨، ج١٣ :١٥٤ والبيتان من المنسرح .

(٣) ديوانها:٢٨، ووردت لفظة (مختنق) بدل (ذي كربة)؛ تفسير الطبري: م٧، ج١١: ١٧٧. والبيت من الطويل.

(٤) أحد بني كعب بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل (منتهى الطلب في اشعار العرب ، جمع محمد بن المبارك بن محمد بن ميمون (٥٢٩ـ ٥٩٧هـ)، تحقيق وشرح د. محمد نبيل طريفي، ط١، ١٩٩٩م: م٩/ ١٧٣).

(٥) منتهى الطلب في أشعار العرب:١٧٣/٩؛ تفسير الطبري:م١، ج١: ١٢٨. والبيت من الطويل.

والشاعرات في هذا الغرض انشدوا قصائدهم بمشاعرهم الصادقة وحزنهم الشديد في رثاء الأهل والأخلاء .

والتمست ذلك بوضوح في رثاء لبيد بن أبي ربيعة حين رثى أخاه أربد وكذلك الخنساء في رثاء إخوتها، وقد رثوهم بقصائدهم اللوعة والحزن التي عبرت عن الوفاء وأظهرت صدق وسمو العلاقات الاجتماعية في ذلك العصر ومثلت الحب المتبادل والوشائج الصادقة بين الأهل وبين أبناء ذلك المجتمع .

مدخل:

لقد أنزل الله سبحانه وتعالى كتابه العزيز القرآن الكريم بلغة العرب فقال جلَّ شأنه ((نزل به الروح الامين * على قلبك لتكون من المنذرين * بلسان عربي مبين))(١)، وقد عمد السلف الصالح من أصحاب الرسول محمد (ﷺ) إلى الرجوع إلى لغة العرب في تفسير آيات القرآن الكريم وعرف عن ابن عباس أنه كان يستشهد بالشعر في تفسيره(٢)، وأنَّ ((هذا يبين أنَّ الأولين في صدر الإسلام والعصر الأموي كانوا يكتفون بالاستشهاد بالشعر لأنَّهم يفهمونه ويدركون معناه))(٣). ومن المعلوم أن الألفاظ في لغة العرب تحمل أكثر من معنى، ولو تأملنا ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ في كلمة العَين لوجدنا أن العرب تطلق هذه اللفظة على عضو البصر، وعلى الركبة في ساق الإنسان، وأطلقوها على موضع خروج الماء من الأرض وأسموه (عين الماء)، وأطلقوها على الشمس فقالوا: طلعت العين، وكذلك أرادوا بها الذهب وحقيقة الشيء(٤)، وهلم جرّا من الموارد الأخرى لاستعمال هذه المفردة، وهذا ما يطلق عليه (المشترك اللفظي).

ومما تقدم يتبين أهمية معرفة السياق الذي جاءت به المفردة في كلام العرب، وهذا يحيلنا على أهمية الدراسة الأدبية للنصوص الشعرية دراسة شاملة مستفيضة لا تدور حول بؤرة الكلمة من دون فهم النص الشعري بكافة جوانبه.

وبرز دور الشعر الجاهلي حينما ((انشغل المسلمون بتفسير القرآن الكريم ونشر تعاليم الإسلام ومعرفة مسائله الفقهية فظهرت الحاجة إلى الشواهد التي تنتزع من الشعر القديم فقد اشتقت العربية من ألفاظ القدماء، واستشهد على معاني الحديث بأشعارهم

(١) الشعراء: ١٩٣-١٩٥.
(٢) ينظر التفسير والمفسرون، الباب٣ :١٤٥.
(٣) شرح الشعر القديم واتجاهاته حتى نهاية القرن الخامس الهجري، شيماء خيري، دار الرائي للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ط١، ٢٠١٠م: ٧٤.
(٤) ينظر: لسان العرب:م٦: ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٦، مادة (عين).

لأنَّهم لم يخالطوا أقواماً أجنبية تتكلم بغير لغتهم))(١).

ومن هذا يتضح أنَّ المفسرين والدارسين الأوائل كانوا على دراية بأن الشعر الجاهلي وسيلة يمكن من خلالها فهم مفردات القرآن الكريم وهم يتجهون في أسلوبهم صوب دراسة يمكن تسميتها بالمصطلح المعاصر بالتعالق، بمعنى ((علق بالشيء عَلقاً وعَلِقَهُ نشب فيه))(٢).

ومن المعلوم أن ((اللفظة لا تكتسب معناها ولا خصوصيتها في التعبير إلا بضمها إلى أخوات لها وتعلق بعضها ببعض على نحو مخصوص))(٣).

وسار الطبري بهذا النهج في إيجاد علاقة تتضح من خلالها كلمات القرآن الكريم من الألفاظ والمعاني عند الشعراء، وأنه كان على معرفة تامة بالشعر الذي وظفه في تفسيره، وأنه أدرك ما حفلت به الشواهد الشعرية من أساليب الفصاحة والبيان وقد تجاوز ((غلط مفسري الأشعار في اقتصارهم على شرح معناها وما فيها من الكلمات اللغوية وتبيين مواضع الإعراب منها دون شرح ما تضمنته من أسرار الفصاحة والبلاغة))(٤)، ولأهمية تلك الشواهد في تفسير الطبري إرتأيت دراستها في هذا الفصل دراسة أدبية لكشف العلاقة بين مفردات القرآن الكريم والمفردات والسياق الذي ظهرت فيه عند الشعراء في أبياتهم، واتخذ البحث من المفردة المشتركة منطلقا للكشف عن مستويات التعالق بين القرآن الكريم والشاهد الشعري، وبيان الدواعي التي اقتضت استدعاء الطبري لها من الشاهد الشعري الجاهلي.

---

(١) القصيدة الجاهلية في النقد العربي القديم، د. عبد الحسن حسن خلف، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠١١م: ٥١.

(٢) لسان العرب: م٦: ٤٠١، مادة (علق).

(٣) في البلاغة العربية علم المعاني، د. محمد أحمد نحلة ، دار العلوم العربية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٠هـ ١٩٩٠م: ٣٠.

(٤) المثل السائر في أدب الكتاب والشاعر ،ضياء الدين بن الاثير، ويليه كتاب الفلك الدائر على المثل السائر لابن ابي الحديد، قدمه وحققه وعلق عليه د. أحمد حوفي، د. بدوي طبانة، القسم الرابع، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة، القاهرة: ٣٩.

١. ملمح التعالق في غرض الوصف:

الاختلاف:

قال زهير بن أبي سلمى :

بها العِينُ وَالآرَامُ يَمشِينَ خَلفَهُ   وأطلاؤُهَا يَنهَضنَ مِنْ كُلِّ مَجثَمِ[(١)]

أوصاف للحيوانات في أرض تسمى "الرقمتين"، التي هي حرتان، أحدهما قريبة من البصرة، والأخرى قريبة من المدينة[(٢)]، وقد حوت هذه الأرض حور العين، جمع عيناء، وهي الظباء، وبقر الوحش، والآرام جمع ريم الظبي الخالصة البياض، والطلاء هو ابن الظبية والبقر الوحشي، والجثوم للطير والوحش بمثابة بروك البعير، ...، أما سير الحيوانات فكان بعضها يخالف الحيوان الآخر فمنها مقبلة وأخرى مدبرة بمعنى يخلف بعضها البعض الآخر، والاختلاف يكون نقيض الاتفاق[(٣)]، وفي آيتين من آيات الله وهما الليل والنهار، إختار الله لهما ذلك ليكونا من آياته فقال تعالى :

((إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخِّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ))[(٤)]، واختلاف الليل والنهار في الآية ((إن كل واحد منهما يخلف مكان صاحبه إذا ذهب الليل جاء النهار بعده، وإذا ذهب النهار جاء الليل خلفه))[(٥)].

(١) شرح ديوانه:٢٠، تفسير الطبري:م٢، ج٢ :٨٥؛ والبيت من الطويل.
(٢) روائع الأدب العربي، د. صلاح الدين الهواري، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ٢٠٠٩م:٧٥.
(٣) ينظر: ديوانه:٢٠؛ وينظر: روائع الأدب العربي:٥٧.
(٤) البقرة: ١٦٤.
(٥) تفسير الطبري: م٢، ج٢ :٨٥.

الازورار:

نقل بشر بن أبي خازم[١] جانبًا من وصف الطبيعة بما فيها من مواضع ووصف مياهها، ونخيلها، وسير الرمل والقبائل فقال:

تَؤمُ بِهَا الحَداةُ مِيَاهَ نَخْلٍ وَفِيْهَا عَن أبَانِينَ ازوِرَارَا[٢]

ومعنى تؤم أي تقصد، والحداة من الحادي الذي يحدو بالإبل ويسوقها إلى المكان المبتغى، ونخل اسم موضع من مواضع العرب، أما أبانان فهما جبلان يسمى أحدهما أبان والآخر سلمى، فغلبوا أبانا في التثنية كما في قولنا القمرين ونقصد بهما الشمس والقمر ، الازورار الانحراف والتمايل[٣]، ((وتزوّر تعدل وتميل من الزور وهو العَوجُ والمَيلُ يقال من هذه الأرض زور إذا كان فيها اعوجاج، وفي فلان عن فلان ازورار إذا كان فيه عنه إعراض))[٤]، ومن باب عناية الله بعباده أصحاب الكهف ولطفه بهم إذ جعل الشمس تزاور عليهم فقال: ((وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ))[٥]، أن لفظة (تزاور) هنا أكدت معنى التمايل، لأن الشمس كانت تمر من يمين الغار وتغرب من جهة الشمال ولم يكن وصول ضوء الشمس إلى اجسادهم بشكل مباشر، لأن ذلك قد يؤدي إلى تلف أجسادهم وكانت تمر أشعة غير

---

(١) وهو من بني أسد، شاعر جاهلي قديم، شهد حرب أسد وطي. (الشعر والشعراء:٢٦٢/١).

(٢) ديوان بشر بن ابي خازم الاسدي: عني بتحقيقه د. عزة حسن، مطبوعات مديرية التراث القديم، وزارة الثقافة والارشاد القومي في الاقليم السوري، ١٩٦٠م: ٦٣. تفسير الطبري: م٩، ج١٥ :٢٥٨. والبيت من الوافر.

(٣) ينظر: ديوان بشر بن ابي خازم الاسدي:٦٢.

(٤) تفسير الطبري: م٩، ج١٥ :٢٥٨.

(٥) الكهف :١٧.

مباشرة تدخل بمقدار كافٍ للغار(١). وفي هذا المشهد الذي صوره الله لحال الفتية في الكهف، يقول سيد قطب وهو يعبر عن جمال هذه الصورة في القرآن الكريم ((إن المسرح الحديث بكل ما فيه من طرق الإضاءة، ليكاد يعجز عن تصوير هذه الحركة التماوج، حركة الشمس وهي تزاور عن الكهف عند مطلعها، فلا تضيئه، واللفظة ذاتها تصو ر مدلولها وتجاوزهم عند مغيبها فلا تقع عليهم))(٢).

الاستحواذ:

تغلُّب وسيطرة حمار على أتان (أنثى الحمار) وصار يعيقها ويمنعها من الحركة وحال الحمار، وقد وصفه لنا لبيد بن ربيعة بقوله:

إذا اجْتَمَعَتْ وأحْوَذَ جَانِبَيها   وأوردها على عُوجٍ طوالِ(٣)

والاستحواذ السيطرة، وأحوذ بمعنى جمع وأحوذ جانبيها أي كان يأتيها من هذا الجانب مرة ومن الجانب الآخر مرة آخرى، أما العوج الطوال فهي قوائم وأرجل الأتنة والمقصود من ضم جانبيها بمعنى ضمها، فالله (ﷻ) يصف المنافقين والكافرين الذين كانوا إذا انتصر المؤمنون على الكافرين قالوا للمؤمنين كنا نجاهد معكم، فلم تعطوننا نصيبنا من الغنائم، وإذا انتصر الكافرون على المؤمنين قالوا للكافرين ألم نغلب عليكم ونواليكم ونمنعكم من أن تؤمنوا وتدخلوا مع المؤمنين(٤) فقال تعالى:

((ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ

(١) ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ناصر مكارم الشيرازي، الأميرة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م: ج٩: ١٣٩.
(٢) التصوير الفني في القران: سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الشرعية السادسة عشر، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م:١٩١.
(٣) شرح ديوان لبيد: ٨٦؛ تفسير الطبري:م٤ ، ج٥: ٤٢٦، والبيت من الوافر.
(٤) ينظر: شرح ديوان لبيد: ٨٦.

لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ))[١]، وكما أشار لبيد في بيته فإن معنى الاستحواذ هو الغلبة والاستيلاء[٢] ومنه أيضا قوله تعالى: ((اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ))[٣]، بمعنى ((استولى عليهم وغلب عليهم لشدة اتباعهم له))[٤].

الاشد:

اختلفت صور وصف الحرب من شاعر إلى آخر، وعنترة العبسي يصور ويصف جانبًا من حربهِ ليبين قتلهُ عدوَه، واصفاً لقائه به وحاله بعد قتله، فيقول:

عَهْدِي بِه شدَّ النَّهَارَ كإنما خُضِب البنانُ ورأسهُ بالعَظْلِمِ[٥]

وشد النهار ضحوته وارتفاعه، أما العظلم فهو نبت يختضب به بمعنى كان آخر لقاء له ضحوة النهار ثم ضربته بسيفي فتضرّج جسمه ورأسه وبنانه بدمه ونضب به مثلما يختضب بنبات العظلم[٦]، استدل الطبري بهذا البيت على بيان معنى((اشده)) في قوله تعالى: ((وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ))[٧]: فقال: ((الشدة : القوة، وهو استحكام قوة الشباب وسنه كما شد النهار ارتفاعه وامتداده، يقال: أتيته شدّ النهار

(١) النساء : من الآية:١٤١.
(٢) ينظر: تفسير الطبري: م ٤، ج٥ : ٤٢٥-٤٢٦
(٣) المجادلة : من الآية ١٩.
(٤) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، علي محمد علي دخيل، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م:٧٣٣.
(٥) ديوانه: ٨٢، شرح المعلقات السبع: ١٢٧، ورودت لفظة (مد النهار) بدل (شد النهار)، تفسير الطبري: م٥، ج٨: ١١٠، والبيت من الكامل.
(٦) ينظر: شرح المعلقات السبع: ١٢٧.
(٧) الانعام: من الآية ١٥٢.

ومد النهار وذلك حين امتداده وارتفاعه))[١].

وقريب من هذا المعنى البلوغ، وإنْ كان فيه آراء منها: ((الفتى يبلغ أشده)) بمعنى بلوغ الحلم، وعن السديّ(حتى يبلغ أشده) قال: أشده ثلاثون سنة ، وقال أبو حنيفة: ((إذا بلغ خمسًا وعشرين سنة يدفع ماله إليه))[٢]، وقيل: ((لا حد له بل هو أن يبلغ ويكمل عقله ويؤنس منه الرشد فيسلم إليه ماله))[٣]، وأرى إن هذا الرأي هو أقوى الوجوه لكون مداره العقل والنضوج والعمر لا يقاس عليه في كل الاحوال.

الأكواب:

تغنّى العديد من الشعراء بوصف الخمرة ولكن ((الأعشى الكبير هو أكثر الشعراء الجاهليين وصفا للخمر، وما يتصل بها، وما خلفه لنا من أشعار خمرية يفوق كثيرا جميع ما خلفه سائر الشعراء الجاهليين))[٤]، ومن بين ما قاله:

صَريفيّة طيّبًا طَعْمُهَا   لَهَا زَبدٌ بَيْنَ كُوبٍ وَدِنّ[٥]

والصريفية أي الخمرة المعتقة التي على حد قول الشاعر طيبة الطعم والمذاق لها زبد والزبد ((خيار الشيء)) بين كوبٍ ودن[٦]، وذكر الله (سبحانه وتعالى) الأكواب في في كتابه فقال تعالى: ((بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ))[٧]، والأكواب جمع كوب وهو المتسع رأسه وليس فيه خرطوم وقال بعضهم: الأكواب هي الجرار من الفضة وآراء آخرى،

(١) تفسير الطبري: م٥ ، ج٨: ١١٠.
(٢) ينظر: المصدر نفسه ، م٥، ج٨،:١١٠.
(٣) مجمع البيان لعلوم القرآن، ابو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، مؤسسة الهدى للنشر والتوزيع، طهران، طهران، إيران، ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م:٢١٤/٤.
(٤) دراسات في الأدب الجاهلي:١٦٨ ، ١٦٩.
(٥) ديوانه:٢٣٩؛ تفسير الطبري: م١٣، ح٢١٥:٢٧. والبيت من المتقارب.
(٦) ينظر: ديوان الأعشى:٢٣٩.
(٧) الواقعة: من الآية ١٨.

واستدل الطبري ببيت الأعشى في وصف الخمرة ليدل على أن الأكواب هي جرار ليست لها عُرى، وتسمى بالنبطية كوبًا، أما الأباريق فهي التي تكون فيها عُرى[١].

الإنكار:

وفي وصف حاله وما آل إليه يقول الأعشى :

وَأنْكَرَتْنِي وَمَا كَانَ الّْذِي نَكِرَتْ مِنْ الْحَوَادِثِ إلى الشَّيبِ والصَّلَعَا[٢]

والانكار معناه التجاهل، وأنكرتني أي تجاهلتني، وكان لحوادث الزمان وأثرها في حياة الشاعـــر التي جعلته يشيب ويصلع[٣]، والبيت أورده الطبري في تفسير قوله تعالى: ((فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً))[٤]، واستدلّ به على أنكرته ونَكِرته بمعنى واحد، والأعشى جمع اللغتين، ويقال ((نَكِرتُ الشيءَ أنكرهُ، وأنكرته أنكرهُ، بمعنى واحد))[٥]، وذكر الطبرسي أن نكرته لغة هذيل والحجاز وأنكرتُ لغة تميم، وقيل أنه نكر بالقلب أما أنكر فمعناه بالعين[٦]، وأرى أن نكر وأنكر بمعنى واحد لورود استعمال العرب اللفظتين بمعنى واحد ولما جاء من ذلك في أقوالهم.

---

(١) ينظر: تفسير الطبري: م١٣، ج٢٧ :٢١٤-٢١٥.
(٢) ديوانه :١٢٩؛ تفسير الطبري: م٧، ج١٢: ٨٩. والبيت من البسيط.
(٣) ينظر: ديوان الأعشى: ١٢٩.
(٤) هود: من الآية ٦.
(٥) تفسير الطبري: م٧، ج١٢ : ٨٩.
(٦) ينظر: مجمع البيان: ٣٣٧/٥-٣٣٨.

الأوّاه:

ورد عند الشعراء الجاهليين وصفًا كثيرًا للناقة فقد وصفوا جسدها ومشيتها وحركاتها، والمثقب العبدي ممن وصف ناقته حين يضع عليها رحله وعدّة سفره فتتألم لذلك ويصدر منها آهات وتأوّه كتأوّه الرجل الذي يُصاب بمرضٍ أو نكبة فيتأوّه لها:

إذا مَا قُمْتُ أَرْحَلُهَا بِلَيْلٍ　　　تَأَوّهَ آهَةَ الرَّجُلِ الحَزِينِ(١)

وفي قوله تعالى: ((إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ))(٢)، والأوّاه هنا من التأوّه إذ أنّ إبراهيم (عليه السلام) كان يتأوّه أي يتضرع بالدعاء والمسألة إلى الله بحزن وإشفاق، ومنه يقال للإنسان المريض ويشكو من الألم: ((لا تتأوه)) وهذا المعنى ذهب إليه بعض المفسرين في الآية(٣). ويرى بعض الدارسين في الآية أنها كشفت عن ملامح شخصية سيدنا إبراهيم (ﷺ) وأنه ((نموذج الهدوء والتسامح والحلم))(٤).

البؤس:

قال أبو كبير الهذلي(٥) واصفًا رمحهُ:

ومعي لَبوس للبئيسِ كأنّهُ　　　روقُ بجبهةٍ ذي نعاجٍ مجفلِ(٦)

واللبوس اسم للسلاح بكل أنواعه عند العرب، أما البئيس فهو الشجاع، وأراد بـذي النعاج يعني الثور، والنعاج هي البقر، أما الروق فهو القرن، والمجفل هو المسرع في الرعي والذي شبع، وامتلأ من كثرة رعيه (٧).

---

(١) شعر المثقب العبدي: ٣٩؛ تفسير الطبري: م٧، ح١١ :٦٩؛ والبيت من الوافر.
(٢) التوبة: من الآية ١٤.
(٣) ينظر: تفسير الطبري:م٧، ح١١ :٦٩.
(٤) نظرية التصوير الفني عند سيد قطب: ٢٥٤.
(٥) عامر بن الحليس ، وهو جاهلي (الشعر والشعراء:٦٥٩/٢).
(٦) ديوان الهذليين: الجمهورية العربية المتحدة، الدار القومية للطباعة والنشر، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م، القسم الثاني، م٩ :٩٨. وردت لفظة (المبئسين) بدل (للبيس) ، تفسير الطبري : م١٠، ج١٧، ص٧٢، والبيت من الكامل.
(٧) ديوان الهذليين:ص٩٨. وينظر: مجمع البيان:١٠٨/٧.

الطبري وظف قول الهذلي المذكور آنفًا في تفسير قوله تعالى في ذكر داوود (عليه السلام) : ((وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ)) [١]، وبين أن ((اللبوس عند العرب: السلاح كله درعا كان، أو جوشنا، أو سيفا أو رمحاً))[٢]، وذكر أهل التأويل أنه أراد بهذا البيت الدروع، وقيل إن اللبوس هي الصنعة والله هو المُحصِن به من اللباس، وذكر بعضهم أن (لتُحصِنكم) أي لتحرزكم وكما يُقال: أحصن فلان جاريته، وذهب البعض إلى أن ((البأس)) هو القتال، والمعنى أنّا علمنا داوود صنعة هذا السلاح ليحرزكم عندما تلبسونه وتنقذون أنفسكم من الأعداء[٣].

الجُدد:

قال امرؤ القيس يصف حمار الوحش:

كأنّ سُراتَهُ وجُدّةُ مَتنهِ كَنائِنُ يَجْرِي بَيْنَهُنَ دَلِيْصُ[٤]

والسراة الظهر، والجدة هي الخطة السوداء في متن الحمار، والكنانة هي الجعبة من الجلد والدليص: هو الذهب الذي يكون له بريق[٥]، أي أنّ ظهرهُ كجعبة يجري منها ماء ماء

الذهب. والطبري استشهد بالبيت في تفسير قوله تعالى: ((ومن الجبال جددٌ بيضٌ وحمرٌ مُختلِفٌ ألوانها))[١]، مستدلًا بقول امرئ القيس على أن الجُدد هي ((الخطط والطرق تكون في

(١) الأنبياء: من الآية ٨٠.
(٢) تفسير الطبري:م١٠، ج١٧: ٧٢.
(٣) تفسير الطبري: م١٠، ج١٧ :٧٢.
(٤) ديوانه: ١٨١؛ وورد في الديوان لفظة (ظهره) بدل (متنه)، ولفظة (بينهن) بدل (فوقهنَ)؛ تفسير الطبري:م١٢، ج٢٢ :٢٢، والبيت من الطويل.
(٥) ينظر: ديوان امرئ القيس: ١١٨؛ وينظر: مجمع البيان: ٢٦٥/٨.

الجبال خطط بيضٌ وسودٌ وحمر كالطُرق واحدها جُدّة))[٢] وإن الجدة في البيت الشعري هي الخطة السوداء في ظهر الحمار، وذكر المبرد هذا المعنى في الجدد ويقصد بها الطرائق والخطوط ، وذكر الفرّاء ذلك أيضًا وبين أن الجدد التي تكون في الجبال مثل العروق[٣]. وفي أمثال العرب إشارة إلى هذا المعنى فقالوا: ((من سلك الجدد أمن العثار)) [٤].

الدحو:

أما أوس بن حجر فيتناول في إحدى قصائده (وصف) الرعد والمطر فيقول:

ينْفِي الحَصَى عَنْ جَدِيْدِ الأرض مُبتَرَكٌ كَأنَّــهُ فَاحِـصٌ أو لَاعِـبٌ دَاحِــي[٥]

هو من الأوصاف التي يضفيهما عليهما أنه جعل من الأجش وهو غليظ الصوت صفة للرعد وأنه مبترك أي أسرع في قتال العدو والجد فيه والنفي في الحصى هو الآثارة بالحوافر، ويطلق على من يقلب وجه التراب بأنه فاحص والداحي هو الصبي الذي يلعب بالمدحاة التي هي خشبة يمرر بها على وجه الأرض لا تأتي على شيء إلا جرته واجتحفته، ودحى يدحو أي بسط، ورسم الشاعر صورة في تشبيه المطر بالداحي إذ يسوق كل ما يمر به ويغترفه على الأرض[٦]، والله (سبحانه وتعالى) في خلقه الوجود دحى الأرض فقال: ((وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا))[٧]، أي بسطها وهو المعنى

(١) فاطر:٢٧.
(٢) لسان العرب: م٢: ٤٨، مادة (جدد)؛ وينظر: تفسير الطبري:م١٢، ج٢٢ : ١٥٩.
(٣) مجمع البيان:٨/٢٦٥.
(٤) مجمع الامثال: للامام ابو الفضل احمد بن محمد النيسابوري المعروف بالميداني (ت ٥١٨هـ)، يطلب من عبد الرحمن محمد ملتزم طبع المصحف الشريف بميدان الجامع الازهر بمصر، ١٣٥٣هـ :٨/ ٢٦١.
(٥) ديوانه :١٦؛ وورد اللفظ (ينزع جلد الحصى أجش مبترك)" ، تفسير الطبري: م١٥، ج٣٠: ٦٠، والبيت من البسيط.
(٦) ينظر: ديوان أوس: ١٦.
(٧) النازعات: ٣٠.

الذي انصرفت إليه الآراء في التفسير[١]. ومن معاني الدحو((البسط، يُقال: دحى ويدحو ويدحى أي بسط ووسع))[٢]، ومن نعم الله (سبحانه وتعالى) التي أنعم بها على عبـــاده أن دحى لهم الأرض ، وأمية بن أبي الصلت[٣]، في مدحه وتمجيده لله (ﷻ) يقول:

دار دحاها ثم أعمرنا بها وأقام بالآخرى التي هي أمجدِ[٤]

والله بسط الأرض واستخلف الإنسان فيها لعمارتها وجعل الدار الآخرة دار الأمجد التي هي دار الإقامة[٥]، والله يبين هذه النعمة في بسطه الأرض، ثم فجر منها الأنها ر والبحار والعيون، وبعد أن آخرج الماء منها جعلها مرعى مما يأكل الناس والأنعام[٦]. وتذهب الروايات إلى أنه في ليلة (الخامس والعشرين من ذي القعدة) ويومها دُحيت الأرض وانبسطت من تحت الكعبة على الماء[٧].

الرئي:

الرئي ((المنظر وقيل الرءي والرّواءُ بالضّم حسنُ المنظر في البهاء والجمال))[٨]، لون ما بين الأسود والأحمر يسمى الكَميتُ ولون كالارجوان وهو الثوب الأحمر الذي نشر علقمة بن العبد على فرسه[٩] فقال:

---

(١) ينظر: تفسير الطبري: م١٥، ج٣٠ :٦٠.
(٢) لسان العرب: م٣: ٣١٠، مادة (دحا).
(٣) أمية بن أبي الصلت بن أبي ربيعة بن عبد عوف بن عقدة. (الشعر والشعراء:٤٥٠/١).والبحر من الكامل. الكامل.
(٤) أمية بن أبي الصلت، حياته وشعره: دراسة وتحقيق بهجة عبد الغفور الحديثي، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٧٥م:١٩٧. م١٥، ج٣٠: ٦٠، والبيت من الكامل.
(٥) ينظر: أمية بن أبي الصلت ، حياته وشعره: ١٩٧.
(٦) ينظر: تفسير الطبري: م ١٥ ، ج٣٠ :٥٩-٦٠.
(٩) ينظر: مفاتيح الجنان: الشيخ عباس القمي، دار المتقين، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م:٢٨٧.
(٨) لسان العرب:م٤: ١٥، مادة (رأى).
(٩) ينظر: ديوانه : ١٤.

كُمَيْتٌ كَلَوْنِ الأَرْجُوانِ نَشْرَتهُ لبيع الرّئي فِي الصِّوانِ المُكَعَّبِ (١)

أما الصوان فهو ما تصان به الثياب ويسمى البقجة، والمكعب لون من الوشـــي أي كالثياب التي تصان لتباع وهي ذات وشي ومحفوظة بالصوان(٢). الطبري أورد البيت في تفسير قوله تعالى : ((وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِئْيًا))(٣) في معنى الرئي وهو المنظر، يخاطب النبي (ﷺ) في شان الكافرين مبينًا له أنه قد أهلك من ((هم أكثر متاع منازل من هؤلاء وأحسن منهم منظرا وأجمل صورا فأهلكنا أموالهم وغيّرنا صورهم))(٤)، أما الطبرسي فذكر ان المقصود بالآية هو ((النضر بن الحارث وذووه، وكانوا يرجلون شعورهم ويلبسون خز ثيابهم ويفتخرون بشارتهم وهيأتهم على أصحاب النبي (ﷺ)))(٥).

الرجاء:

يقول أبو ذؤيب الهذلي واصفا قدوم يعسوب وهو ((أمير النحل وذكرها، ثم كثر ذلـــك حتى سموا كل رئيس يعسوبًا)) (٦) على النحل:

إذا لَسَعَتْهُ لَمْ يَرْجُ لَسْعَهَا وَخَالفها فِي بِيْتِ نَوبٍ عَواسِلِ(٧)

ولم يرجُ لسعتها بمعنى أنه لم يخف ولم يبالِ منها وخالفها جاء إلى عسلها وهي غائبة سارحة ترعى والنوب بمعنى أنها تذهب وتجيء أما العواسل فهي مخرجات

(١) ينظر: ديوانه:١٤، تفسير الطبري: م٩، ج١٦: ١٥٢.
(٢) ينظر: ديوانه:١٤.
(٣) مريم:٧٤.
(٤) تفسير الطبري: م٩، ج١٦ : ١٥٢.
(٥) مجمع البيان:٥٠٧/٦.
(٦) لسان العرب: م٦ : ٢٤١، مادة (عسب).
(٧) ديوان الهذليين:ق١ :١٤٣، وورد في البيت لفظة (لسعته الدبر لم يرجُ)، تفسير الطبري: م٧ ، ج ١١ :١١٣، والبيت من الطويل.

العسل[١]، والطبري استشهد بالبيت بما ورد في كلام العرب بأن ((فلان لا يرجو فلانًا)) أي لا يخاف منه، وفي الآية الكريمة : ((إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا))[٢]، أي أنهم لا يخافون لقاءنا يوم القيامة[٣]، وقيل أيضا أنهم لا يطمعون في ثواب ثواب الله، ولا يخافون العقاب، كما أسلفنا، وأن الرجاء يرد بمعنى الخوف[٤].

الزبور:

يمرّ أمرؤ القيس على ديار حبيبته هند وصاحباتها فيتذكر أيامه ولياليه الــــتي كان يقضيها معهن لاهيا بهن، وأثارت الديار الشجون عنده وعند رؤيته الأطلال وجد أنها درست واختفت آثارها فقال:

لِمَنْ طَلَلٌ أبْصَرْتُهُ فَشَجَانِي   كَخَطِّ زَبُوْرٍ فِي عَسِيبٍ يَمانِ[٥]

فلم يكن يرى سوى بعض الكتاب في الخفاء، والزُبُر جمع زبورٍ وهو الكتـــاب[٦]، الكتـــاب[٦]،

والشاهد في بيت امرئ القيس أنه أطلق على الكتابة زبور، وهذا المعنى ورد ذكره في تفسير الطبري في تفسير قوله تعالى في مخاطبته النبي محمد ﷺ لما تعرض له من أذى

(١) ينظر: ديوان الهذليين: ١٤٣؛ وينظر: منتهى الطلب من أشعار العرب:م٩ :١٣٩.
(٢) يونس :٧.
(٣) ينظر: تفسير الطبري: م٧ ، ج١١ :١١٢-١١٣.
(٤) ينظر: مجمع البيان:١٧٣/٥.
(٥) ديوانه:٨٥؛ تفسير الطبري : م٤، ج٤ :٢٤٨، والبيت من الطويل.
(٦) ينظر: تفسير الطبري : م٤، ج٤ :٢٤٨.

إليهود ومن الذين أشركوا بالله من الملل الأخرى فقال: ((فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآؤُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ))[١] ، أما العسيب ((جريدة من النخل مستقيمة دقيقة يكشط خوصها)) [٢]، وكانت عهود أهل اليمن ومواثيقهم تكتب عليه[٣].

السرداق:

وهو اسم يطلق على ما يحاط به البناء كله[٤]، ويصف سلامة بن جندل[٥] حبس كسرى للنعمان بن المنذر فيقول:

هُوَ المُوْلِجُ النُعمَانَ بَيْتًا سَمَاؤُهُ صُدُورَ الفُيولِ بَعدَ بَيْتٍ مُسَرْدَقِ[٦]

لقد حبس كسرى النعمان في بيت فيه ثلاث فيلة أما المسردق ماله سرادق والسرداق ((الحجرة التي تكون حول الفسطاط، وقيل ما يمد فوق صحن الدار))[٧]، وتطلق اللفظة كذلك على السقف والخيمة الكبيرة[٨]، وفي تفسير قوله تعالى : ((إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا))[٩]، قل الطبري في معنى السرداق ((حائط من

---

(١) آل عمران: ١٨٤.
(٢) لسان العرب: م٦ : ٢٤١، مادة (عسب).
(٣) ينظر: ديوانه: ٨٥.
(٤) لسان العرب: م٤ : ٥٥٤، مادة (سردق).
(٥) سلامة بن جندل بن عبد الرحمن بن عبد عمرو بن الحارث .(طبقات فحول الشعراء:١/١٥٥).
(٦) الأصمعيات: اعداد أبي سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي (ت ٢١٦هـ)، شرح وتحقيق مجيد طراد، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٣م :٩٦؛ ووردت في الأصمعيات لفظة (المدخل) بدل (المولج)، تفسير الطبري: م ٩، ج١٥ :٢٩٣، والبيت من الطويل.
(٧) منتهى الطلب من أشعار العرب: ١٨٤.
(٨) ينظر: الأصمعيات: ٩٦.
(٩) الكهف: من الآية ٢٩.

نار يطيف بهم كسرادق الفسطاط، وهي الحجرة التي تطيف بالقسطاس))[(١)]، واستشهد بقول سلامة بن جندل في بيان المعنى وذكر الزمخشري هذا المعنى أيضا فقال: السرداق هو ((الحجرة التي تكون حول الفسطاط وبيت مسردق ذو سرداق وقيل هو دخان يحيط بالكافرين قبل دخولهم النار وقيل حائط من نار يطيف بهم))[(٢)]، أما الشيرازي فذكر أهل السرداق فقال: ((والطريف في أمر هؤلاء أن القرآن ذكر لهم بعض التشريفات وهم في جهنم، لقد كان لهؤلاء في حياتهم الدنيا (سرادق) عالية وباذخة ليس فيها نصيب للفقراء ، وهذه السرادق ستتحول إلى خيام عظيمة من لهيب نار جهنم))[(٣)].

السري:

ذهاب الحمار الوحشي وأتانه (أنثاه) إلى ماء النهر لشرب الماء يصفه لنا لبيد بن ربيعة فيقول:

فَتَوَسَّطَا عَرْضَ السَّرَى فَتصدّعَا　　　مَسْجُورةً متجاورًا قُلاّمُهُا[(٤)]

والغرض الناحية، والسريّ النهر الصغير، وصدعا شققا، والمسجورة هي العين المملوءة بالماء، القلام قيل ضرب من القصب وتوسطا إشارة للحمار الوحشي وأتانه على ماء كثير النبات عليه وعنا ذلك عينا في فضاء أو في سفح وحولها النبات[(٥)]، وفي خطاب الله تعالى لمريم (عليها السلام) قال : ((فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا))[(٦)]،

تعددت الآراء في السريّ نذكر منها ما يأتي:

(١) تفسير الطبري: م ٩، ج١٥: ٢٩٣.
(٢) تفسير الكشاف:٦١٩.
(٣) تفسير الأمثل:١٦٨/٩.
(٤) شرح ديوان لبيد: ٣٠٧؛ تفسير الطبري: م ٩، ج١٦ :٩٧. والبيت من الكامل.
(٥) ينظر: لسان العرب: م٤ : ٥٧٠، مادة (سر) .وينظر: شرح ديوان لبيد: ٣٠٧.
(٦) مريم: من الآية٢٤.

عن البراء بن عازب السري هو الجدول الصغير، وعن ابن عباس أنه نهر عسل، وعن ميمون الأودي نهر يشرب منه، وعن ابن جريج نهر إلى جنبها، عن ابن سعيد السري الجدول وهذه تسمية أهل الحجاز، وعن وهب بن منبه هو ربيع الماء، وعن ابن عباس السري اسم النهر، وعن الحسن هو العين نفسه، الطبري استدلّ بقول لبيد على أن السري هو النهر الصغير وهو الرأي المتداول عند العرب[١].

الشّح:

كان للخمرة نصيب في معلقة عمرو بن كلثوم التغلبي فوصفها قائلا:

تَرَى اللِّحْزَ الشَّحِيحَ إذا أمَرَّتْ عَلِـيْهِ لِمَـالِهِ فِيْـهَا مَهِـيْنَا [٢]

اللّحز: صفة تطلق على البخيل ، وهي من الحز أي البخل، وقيل اللحيز السيء ذو الخلق اللئيم أما الشحيح فهو ((البخيل الحريص والجمع الأشحة والأشحاء والشحاح أيضا مثل الشحيح))[٣]، وفي شرب الخمر ترى البخيل الحريص فيها مهينا أي في شربها بمعنى أن الخمرة إذا أديرت عليه أهان فيها ماله[٤]، والشح قد عرف في كلام العرب بالبخل ومنه قوله تعالى: ((وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ))[٥]، والمعنى أي يدفع عنه ذلك بالعطاء ويمنع عن نفسه البخل، والعلماء يرون أن من يأكل أموال الناس بغير حق هو المقصود بالشح من الآية[٦].

الصدع:

---

(١) ينظر: تفسير الطبري: م ٩، ج١٦ :٩٥-٩٧.
(٢) ديوانه:٥٥؛ تفسير الطبري: م١٤، ج٢٨ : ٥٥. والبيت من الوافر.
(٣) شرح المعلقات السبع:١٠٢.
(٤) ينظر: ديوان عمرو بن كلثوم:٥٥-٦٠؛ . وينظر: شرح القصائد العشر: ٣٨٣.
(٥) الحشر: من الآية ٩.
(٦) ينظر تفسير الطبري: م١٤، ج٢٨: ٥٥.

((صَدَع الشيءُ فتَصدّعَ، فرّقه فتفرّق والتصديع: التفريغ))[١]، وفي صورة شعرية جمع فيها ابو ذؤيب الهذلي الحمار وأنثاه مشبها الحمار بصاحب الميسر والأتانة بربابة فقال:

وَكَـأنّهُنّ رَبَابَـــــــةٌ وكَأنّـــــــهُ يَسْرُ يَفِيضُ لي القِداحَ وَيَصْدعُ[٢]

والربابة هي خرقة تغطى بها اقداح الميسر وقيل هي الأقداح نفسها وسميت الربابة بهذا الاسم لقولهم فلان يرب أمره، أي بمعنى يجمعه ويصلحه أما اليسر فهو صاحب الميسر الذي يضرب القداح والجمع أيساري فيض على القداح يجمعها ويضربها، وشبه الشاعر الاتن بالقداح التي تجمع تحت الربابة والحمار بصاحب الميسر الذي يرسلها ويدفعها ويعرفها من كل ناحية ثم يجمعها في خرقة ثم يقوم بتفريقها على أصحابها[٣]؛ والصدع هو ان يفرق بالقداح ويبين الحكم ويصيح وهذا المعنى أورده الطبري في تفسير قوله تعالى: ((فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ)) [٤] ، بمعنى امضِ وافرق وهو امر من الله تعالى لنبيه محمد (ﷺ)[٥]، ويقال((صدعت الشيء أظهرته وبينته))[٦].

الصلاة:

تعلق الأعشى بحب الخمر كثيراً فجاء أغلب شعره وصفاً بها فقال:

وقابلها الريح في دَنّها وصَلَّى على دَنّها وَارْتَسَمْ[٧]

---

(١) لسان العرب: م٥ : ٢٩٤، مادة (صدع).
(٢) ديوان الهذليين: القسم الاول:٦؛ منتهى الطلب: م٩ :١٢٩؛ تفسير الطبري : م٨،ج١٤: ٨٦ والبيت من الكامل.
(٣) ينظر: ديوان الهذليين: :٦ ينظر: منتهى الطلب في اشعار العرب : ١٢٧ .
(٤) الحجر: ٩٤.
(٥) ينظر تفسير الطبري: م٨، ج١٤ :١٢٧.
(٦) لسان العرب: م٥ : ٢٩٤، مادة (صدع).
(٧) ديوانه: ٢٢١، تفسير الطبري: م١، ج١: ١٣٦ والبيت من المتقارب.

الدن: إناء الخمر، وصلى على: بمعنى الدعاء، والارتسام من أرسم: كبر وتعوذ ودعا، وفي البيت يصف الشاعر تعلق الإنسان بالخمر وأنه وضعها في مكان رطب وظليل، وصار يدعو لها بالحفظ وأنْ لا تفسد[١]، وفي قوله تعالى: ((الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ))[٢] وفي كلام العرب الصلاة الدعاء وسميت الصلاة بهذا الاسم لكون المصلي يدعو الله لاستجابة دعوته وقضاء حاجته[٣].

الظَّنّ:

قال دريد بن الصّمة وصفًا الجيش في المعركة التي قتل فيها أخاه بنو عبس:

فَقُلْتُ لَهُمْ: ظنوا بألفَيْ مُدَجَّجٍ سَرَاتهم في الفارسيِّ المسُرَّدِ[٤]

الظن هنا اليقين أي استيقنوا، والفارسي المسرد هو الدرع، وسمي بذلك لتتابع حلقاته عند نسجه، أمّا سراتهم فهم سادة القوم، وأشرافهم، أمّا المسرد فهو المحكم النسج[٥]، الشاهد في البيت أن الظن هنا بمعنى اليقين وظنوا أي أيقنوا وهذا معروف عند العرب، والقرآن الكريم جاء في هذا الاسلوب في قوله تعالى: ((الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ))[٦].

ويرى الطبري أن الظن في الآية ليس بمعنى الشك إنما هو اليقين، ذلك أن ((العرب تسمي اليقين ظناً، والشك ظناً، نظير ذلك تسميتهم الظلمة سُدفة، والضياء سُدفة

---

(١) ينظر: ديوان الاعشى: ٢٢١.
(٢) البقرة: ٣.
(٣) ينظر تفسير الطبري م١، ج١: ١٣٦.
(٤) ينظر: منتهى الطلب في أشعار العرب: ٣٢٠، وينظر: ديوان دريد: ٦٠.
(٥) ديوانه: ٦٠، وورد بالديوان(علانية ظنوا) بدل (فقلت لهم ظنوا)، تفسير الطبري: م١ ج١: ٣٤٤، والبيت والبيت من الطويل.
(٦) البقرة: ٤٦.

والمغيث صارماً ،والمنبثق صارماً، وما اشبه ذلك من الأسماء التي نسمي بها الشيء وضده))[١]. وقول دريد دليل على هذا المعنى، وأن من مظاهر قوة النفس وثباتها عند الإنسان هو حسن الظن بالله، والذي لا ينبغي اليأس من رحمته سبحانه[٢] .

العصف:

لقد ترك أثر حب سلمى مأخذه في نفس علقمة حتى جعل دموع عينيه تسيل كساقية الماء فيقول واصفاً دموعه:

تَسْقي مَذَانِبَ قد زالتْ عَصِيفتُها حُدورُها من أَتِّيِّ الماء مطْعُومِ [٣]

تسقى مذانب أي صارت دموعه كثرة ومثل مسيل الماء والعصفة الورق الذي يخرج وينفتح من التمرة ودررها منحدرها والمعنى أن الثمار انحدرت وتمايلت من كثرة ريها بالماء وطولها ، والمطعمون هو المملوء[٤]. والطبري استشهد بالبيت بمعنى العصف وهو ورق الزرع أو النبت في تفسير قوله تعالى: **((وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ))**[٥]، والمقصود بالعصف في الآية النبت[٦].

الغشاوة:

---

(١) تفسير الطبري: م١، ج١: ٣٤٤
(٢) ينظر: جامع السعادات، الشيخ محمد مهدي النراقي، الاميرة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م: ٢٢٢/١.
(٣) ديوانه :٥٥، ووردت لفظة (زالت) بدل (مالت)؛ تفسير الطبري: م١٣، ج٢٧: ١٤٩، والبيت من البسيط.
(٤) ينظر: ديوان علقمة:٥٠.
(٥) الرحمن: ١٢.
(٦) ينظر: تفسير الطبري، م ١٣، ج٢٧ :١٤٩؛ وتفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (٤٦٧ ـ ٥٣٨هـ)، اعتنى به وخرج أحاديثه وعلق عليه خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م:١٠٧٠.

((غشية غشاوةً وغشاءً، أتاه إتيان ما قد غشيه أي سره والغشاوة ما يغطـــــى به الشيء))[١]. ولِانقضاء أيام الشباب وحلول المشيب وما يفعله بالإنسان وصف لدى النابغة الذبياني يصفه لحبيبته قائلا:

هَلَا سألتِ بَني ذُبْيانَ ما حَسَبي   إذا الدُّخانُ تغشىَ الاشْمَطَ البَرمَا[٢]

الحسب يطلق على كرم الرجل ومجده وشرفه وتغشى بمعنى تلبس، والأشمط هو من خالطه الشيب والبرم هو من لا يدخل مع القوم في المسير، ويصف الشاعر نفسه بالأشمط لأنه أجزع واضعف تحملا من الشاب فهو يلبس ويقصد النار قبل الشاب، ولو كان شاباً فإن الشاب لا يجزع من البرد[٣]، والطبري وفي بيان معنى الغشاوة أتى بالبيت في تفسير قوله تعالى ((خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عظِيمٌ))[٤]، مستدلاً على معنى الغشاوة عند العرب في كلامهم هي الغطاء ويقال تغشاه الهم أي تجلله وركبه وخالطه[٥]، وذكر الزمخشري المعنى فقال: ((الغطاء فعاله من غشاه إذا غطاه، وهذا البناء لا يشمل على الشيء كالعصابة والعمامة))[٦].

الفُطُر:

أضفى الشعراء على سيوفهم العديد من الصفات وصفوها بعدة أوصاف ومنـــــهم

(١) مفردات الفاظ القرآن : الراغب الأصفهاني، تحقيق صفوان عدنان داودي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت.: ٦٠٧.
(٢) ديوانه: ١٠٨؛ تفسير الطبري: م١، ج١: ١٤٩؛ والبيت من البسيط.
(٣) ينظر : ديوان النابغة: ١٠٨.
(٤) البقرة: ٧.
(٥) ينظر: تفسير الطبري: م١، ج١: ١٤٩.
(٦) تفسير الكشاف: ٤١.

الشاعر عنترة العبسي الذي يقول واصفاً سيفه:

وسَيِفيْ كالعقيقةِ فهو كَمْعِي   سِلاحي لا أفلَّ ولا فُطارا(١)

ووصفه بالعقيقة تشبيه بلمعة البرق والكمع الضجيج(٢) أما وصفه لا أفل ولا فطار أي ليس فيه شقوق أو صدوع والله سبحانه وتعالى: ((فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ))(٣)، بمعنى خالق السماوات والأرض، وذكر الطبري في بيان معنى فاطر السموات والأرض ((فطرها الله يفطرها ويفطرها فطراً وفطوراً وقوله تعالى: ((فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ))(٤)، أي هل فيها شقوق وصدوع، يقال سيف فطار إذا أكثر الشقوق فيه وهو عيب فيه))(٥)، الطبري: استدل ببيت عنترة مبينًا هذا المعنى.

القُنْوانُ:

نوع من الوصف تناوله امرؤ القيس في وصف الأحبة الراحلين فشبه ارتفاعهم في هوادج النوق كالنخيل المرتفع الطوال والمغروس في الماء وهي أنعم وأطول النخل، ولم يكن الوصف بالطول فحسب بل لما تحمله الهوادج من ألوان الصوف الاحمر والاصفر وما يملكه الظاعنون كاختلاف الألوان في النخل الطوال(٦)، فقال:

فَأَتَتْ أعاليه وآدَتْ أُصُولُهُ   وَمَالَ بِقِنْوانِ مِنْ البَسْرِ أحْمَرَا(٧)

---

(١) ديوانه: ٣٨، وردت لفظة (حسام) بدل (سيفي)، تفسير الطبري: م٥، ج٧: ٢٠٣ والبيت من الوافر.
(٢) ينظر: اسماء السيوف وصفاتها، مجلة المورد، الصادرة من وزارة الثقافة والاعلام، بغداد الجمهورية العراقية، المجلد السادس عشر، صيف ١٩٨٧م، العدد ٢: ٧٧.
(٣) الانعام: ١٤.
(٤) الملك: ٣.
(٥) تفسير الطبري: م٥، ج٧: ٢٠٣.
(٦) ينظر: ديوانه: ٥٧.
(٧) ديوانه:٥٧، ووردت جملة (سوامق جبار أثيث فروعه) بدل (فأتت أعالية وآدت أصوله)، ولفظة (وعالين) بدل (ومال)؛ تفسير الطبري: م٥، ج٧ : ٣٦٤. والبيت من الطويل.

وفي أتت أعاليه أراد بالنخل الطوال الذي اثبت فروعه وكان غزير الحمل، والنخلة نعمة من أنعم الله (سبحانه وتعالى) علينا التي لا تعد ولا تحصى فقال سبحانه ((مِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ))(١)، أما القنو فهو العذق هو ((كل غصن له شُعَب))(٢)، والقنو تثنى قُنِوَانِ وتجمع قنَوانُ(٣) والطبري ذكر البيت في بيان المعنى وذهب أكثر المفسرين إلى أنَّ ((الدانية)) القريبة أو المتهدلة للآكلين(٤).

الكسب:

(وصف) لبقرة فقدت ولدها مع حبها، وتعلقها به، وخشيتها أن تكون أكلته الذئاب والكلاب، يصفها لبيد بن ربيعة فيقول:

لِمَعفّرٍ قَهْدٍ تَنازعُ شَلْوَهُ غُبسٌ كَواسِبُ لا يُمَنّ طَعَامُها(٥)

والمعفر ولد البقرة الذي تخشى أن يكون سحب وتمرغ في التراب، والقهد هو الأبيض، أما الشلو فهو واحد الأشلاء، والغبس هي الذئاب أو الكلاب التي تكون ذات لون أغبر وقيل ذات لون رمادي، والكواسب هي التي تكون معيشتها على الصيد، ولا أحدٌ يمن عليها فيطعمها، وهي تكون معتمدة على جهدها وصيدها والبقرة في خوف على ولدها أن يكون طعاما لهذه الكلاب والذئاب، وأطلق لبيد مدلول الكسب على هذه الحيوانات التي تنال طعامها بكسبها، وكل عامل يعمل بجهده ومباشرة له بمعناه باحترافه فيكون كاسبًا لذلك العمل،

(١) الانعام: من الآية: ٩٩.
(٢) لسان العرب: م٦ : ١٥١، مادة (عذق).
(٣) ينظر مفردات ألفاظ القرآن: ٦٨٦.
(٤) ينظر تفسير الطبري م٥ ،ج ٧: ٣٦٤-٣٦٥.
(٥) شرح ديوان لبيد بن ربيعة :٣٠٨؛ وتفسير الطبري: م١، ج١: ٥٠١. والبيت من الكامل.

والكسب هو العمل الذي يجلب منفعة ويدفع ضررًا[١]، وهناك مكاسب مشروعة، ومكاسب غير مشروعة التي يعاقب عليها الله ومنه ما قامت به إليهود وكتبت كتبا مدعية أنها من الله، وتوعدهم سبحانه وتعالى على عملهم هذا نار جهنم[٢]، فقال تعالى : ((فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ)) [٣]، وويل لهم بمعنى العذاب عليهم.

الكُفْر:

فقدت البقرة ولدها في الصحراء التي ظلت خائفة ظانّة أن الذئاب والكلاب أكلت ولدها، فباتت تلك الليلة في الصحراء، وصبت عليها السماء بالمطر، ولبيد بن ربيعة يصف حال البقرة في تلك الليلة فيقول:

يعلو طريقة متنها متواترٌ غفي ليلة كَفَرَ النجومَ غمامها[٤]

لقد أصاب البقرة مطرٌ غطى متنها ومتواتر هو المطر المتتابع، وطريقة متنها هو خط صار عليها من ذنبها إلى عنقها، وتلك الليلة كانت ليلة كفر، وكَفَرَ: غطى بمعنى أنها ليلة ظلماء قد غطت السحاب والغيوم نجوم تلك الليلة[٥]، الطبري يدل على أنّ هذا المعنى للكفر وهو التغطية للشيء في قوله تعالى: ((إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ))[٦]، وشاع عند العرب أن أصل الكفر هو تغطية الشيء، وكـــــذلك أحبار يهود المدينة جحدوا وكتموا نبوة النبي محمد (ﷺ) وستروا

---

(١) ينظر: شرح ديوان لبيد بن أبي ربيعة :٣٠٨؛ وينظر: مجمع البيان:٢٩٠/١.
(٢) ينظر: تفسير الطبري: م١، ج١ :٥٠١.
(٣) البقرة: من الآية: ٧٩.
(٤) شرح ديوانه:٣٠٩؛ وتفسير الطبري: م١، ج١: ١٤٤، وذكر العجز فقط في التفسير، والبيت من الكامل.
(٥) ينظر: شرح القصائد العشر: ٢٧٩؛ وينظر: شرح المعلقات السبع: ٩٠؛ وينظر: شرح ديوان لبيد: ٣٠٩. ٣٠٩.
(٦) البقرة:٦.

رسالته عن الناس وكتموا أمره وهم يعرفون ذلك كما يعرفون أبناءهم، ولكنهم كفروا أي ستروا وغطوا على ذلك الأمر(١).

المزجاة:

المزج هو ((خلط المزاج الشيء، ومزج الشراب خلطهُ بغيره، ومزاج الشراب ما يُمزج بـه، ومزج الشيء يمزجه مزجا فامتزج خلطه، وشربٌ مـزجٌ ممزوج))(٢)، ويصف النابغة الذبياني ريحًا هبت من أرل وهي جبال تقع في أرض غطفان وأنها مزجت وساقت معها في أثناء الليل الصراد وهي الغيوم التي لا ماء فيها وقيل الصرد شدة البرد، فقال في هذه الريح:

وَهَبَّتْ الرّيحُ مِنْ تِلقَّاءِ ذِيْ إِرَلٍ   تُزجِي مَعَ اللّيلِ مِنْ صَرادِهَا صَرِمَا (٣)

والزجي هو السوق بالدفع، وفي قوله تعالى : ((وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ))(٤)، عنى أخوة يوسف أن بضاعتهم يسيرة وقليلة، والسوق يعني دفعا قليلا قليلا، ومن بيت النابغة بين المعنى في بضاعة أخوة يوسف المزجاة (٥).

معين:

((المعن والمَعين: الماء السائل وقيل الجاري على وجه الأرض، وقيل الماء العذب الغزير))(٦) من هذا المعنى يصف عبيد بن الأبرص العين التي لا ينقطع دمعها:

---

(١) ينظر: تفسير الطبري: م١، ج١ : ١٤٤.
(٢) لسان العرب: م٨ : ٢٧٠، مادة (مزج).
(٣) ديوانه:١٠٩، تفسير الطبري: م ٨، ج١٣ :٦٤. والبيت من البسيط.
(٤) يوسف: من الآية ٨٨.
(٥) ينظر: تفسير الطبري: م ٨، ج ١٣: ٦٤، وينظر: مجمع البيان: ٥٠٢/٥.
(٦) لسان العرب: م٨ : ٣٢٦، مادة (معن).

وَاهِيَةٌ أو مَعِينٌ مُمْعِنٌ   أو عضْبَةٌ دُونَهَا لَهُوبُ[١]

والواهية هي الضعيفة والخرقة، والمعين الممعن هو الشيء السهل، أما اللهــوب فهي العيون والشقوق والمعنى أن عروق دمعك ضعيفة وخرقة فهي جاريــة كالمــاء

المعين[٢]، وأردف الطبري بقــول عبيد بن الأبرص في بيان معنى قوله تعالى: ((وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ))[٣]، وبعد أن جعل (ﷻ) مريم وولدها عيسى (عليه السلام) آية للعالمين وحجة على بيان قدرة الله سبحانه وتعالى، آواهما إلى مكان مرتفع، وواسع، وقيل أنها أرض ذات ثمارٍ ليستقر عليها ساكنوها والمعين في الآية الماء الجاري الظاهر للعيون[٤].

المنافع:

من الشعراء الذين أكثروا من وصف الخمرة الأعشى في شعره، فقال في وصفها ذاكرا منافعها:

لَنَا مِنْ ضُحَاهَا خُبْثُ نَفْسٍ وَكَآبَةٌ   وَذِكْرَى هُمُومٍ مَا تَغِبُّ إذاتُها

وَعِنْدَ العِشاءِ طِيبُ نَفْسٍ وَلِــذَةٍ   وَمَالٌ كُثْرٌ عَـــدَّهُ نَشوَاتها[٥]

وضحاها وقت الضحى أي عند ارتفاع النهار وخبث النفس انقباض في النفس، أمّا قوله: ما تَغبّ فبمعنى ما تفل[١]، وساق الطبري بيت الأعشى تبيانا أن الخمر فيها إثم

---

(١) ديوانه :١٢؛ وينظر: تفسير الطبري: م١٠، ج١٨: ٣٧. والبيت من مخلّع البسيط.
(٢) ينظر: تفسير الطبري: م١٠، ج١٨: ٣٧ ؛ وديوان عبيد:١٢.
(٣) المؤمنون: ٥٠.
(٤) ينظر: تفسير الطبري: م١٠، ج١٨: ٣٥-٣٧.
(٥) ديوانه:٤٢؛ ووردت في البيت الثاني لفظة (العشي) بدل (العشاء)؛ تفسير الطبري: م٢، ج٢: ٤٧٧.والبيتان من الطويل.

ومنافع للناس وأن منافع الخمر كانت هي الأثمان في الجاهلية قبل التحريم، وليستدل أن للخمر منافع كانت في العصر الجاهلي[٢] قال تعالى: ((فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ))[٣].

الموضونة:

في وصف استعداده وتهيئته للحرب قال الأعشى:

وَمِنْ نَسْجِ داوود مَوْضُونَةٍ   تُسَاقُ مَعَ الحَيِّ عِيْرًا فَعِيرا[٤]

وأراد الشاعر بقوله بنسج داوود موضونة أنها الدرع التي نسجت بإحكام وتساق تعني ترسل وتحمل[٥]، الطبري ساق البيت الثاني في تفسير قوله تعالى واصفًا أهل الجنة : ((عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ))[٦]، فبين أن معنى السرر الموضونة هي التي قد ((دخل بعضها في بعض كما يُوضنُ حلق الدرعِ بعضها فوق بعض مضاعفة))[٧]، وأشار الزمخشري في ذكر الآية إلى ((أن الموضونة هي التي تكون مرمولة بالذهب مشبكة بالدر والياقوت وقد دُوخِلَ بعضُها في بعضٍ كما توضنُ حِلق الدرع))[٨]، وأورد الطبري رأيا آخر فقال إن الموضونة هي من ((وضن الناقة وهي البطان من السيور إذا نسجَ بعضه على بعض مضاعفا كالحلق حلق الدرع))[٩].

النصبُ:

---

(١) ينظر: ديوان الأعشى: ٤٢.
(٢) ينظر: تفسير الطبري: م٢، ج٢: ٤٧٧.
(٣) البقرة: من لآية ٢١٩.
(٤) ديوانه: ١١٠، تفسير الطبري: م١٣، ج٢٧: ٢١٢. والبيت من المتقارب.
(٥) ينظر: ديوان الأعشى : ١١٠.
(٦) الواقعة : ١٥.
(٧) تفسير الطبري: م١٣، ج٢٧: ٢١٢.
(٨) تفسير الكشاف: ١٠٧٦.
(٩) تفسير الطبري: م١٣، ج٢٧: ٢١٢.

قال النابغة الذبياني يصف ليله في قصيدة مدح بها عمرًا بن الحارث الأكبر[١]:

كِلِيْنِي لِهَمّ يَا أمَيْمَةَ نَاصِبِ   وَلَيْلٍ أقَاسِيهِ بَطِيء الكَوَاكِبِ[٢]

وكليني بمعنى دعيني، وهمي ناصبٌ هو الهم المستمر المتواصل، وبطيء الكواكب أراد أن ليله لا ينتهي وكواكب ذلك الليل لا تغور[٣]، واستطاع أن يضفي صفة صفة الطول على ليله ((ولو جانبنا الحق لقلنا إن من حق الشاعر أن يصف غولا كبيرا لا ليلا طويلا بما جسمه من هيأة وهمية ولكنها في النهاية جزء من الطبيعة النابضة بالحياة))[٤]، واستطاع النابغة ((من تطويق الهموم لليله فراح يبرز المعنوي بقناعٍ حسي حسي مع تآزر الحدث وزيادة الإحساس بالثقل))[٥]، وأورد الطبري البيت في بيان مدلول النصب في قوله تعالى : ((وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ))[٦]، وإنّ النّصبَ عند العرب هو البلاء والشر والعذاب، ومنه قولهم أنصبني بمعنى عذبني وبرح بـــــي، وقول النابغة يؤكد هذا المعنى بما عاناه في ليله من العذاب[٧].

النَقْبُ:

كثر سفر امرئ القيس وترحاله في الأرض حتى شقّ عليه وأتعبهُ ذلك، وبعد هذا السفر الكثير قنع بالإياب أي بالرجوع إلى أهله من دون غنيمة أو ظفر، أو فائدة فقال:

(١) ينظر: ديوان النابغة:١٧؛ وينظر: شعراء العرب، العصر الجاهلي:١٤٩.
(٢) ديوانه: ١٧. تفسير الطبري: م١٢، ج٢٣ : ٢٠٢. والبيت من الطويل.
(٣) ينظر: ديوان النابغة: ١٧.
(٤) المبالغة والغلو عند شعراء المعلقات العشر: (رسالة ماجستير):ص٧٤.
(٥) المصدر نفسه:٧٤.
(٦) ص:٤١.
(٧) تفسير الطبري: م١٢، ج٢٣ : ٢٠٢.

وَلَقَدْ نَقّبْتُ فِي الآفَاقِ حَتّى رَضِيتُ مِنْ الغَنِيْمَةِ بِالإيَابِ [١]

((ونقبوا في البلاد)) أي خرقوا البلاد فسافروا فيها، وطافوا وتوغلوا في البلاد ، ومنه قوله تعالى: ((**فنقّبوا في البلاد**))[٢]، الذي استدل به الطبري في تفسيره[٣]، أما في الميزان في معنى الذين نقبوا في البلاد ((وساروا فيها وفتحوها))[٤]، أما رأي الفراء فقال: ((قرأه القراء فنقّبوا مشددا يقول خرقوا البلاد فساروا فيها طلبا للمهرب فهل كان لهم محيص من الموت))[٥].

الوإبل:

وصف الشعراء الكثير من مظاهر الطبيعة ومن ذلك السحاب الذي وصفه امرؤ القيس فقال:

سَاعَةٌ ثُمّ انْتَحَاها وَإبل سَاقِطِ الأكْنَافِ وَاهٍ مُنْهَمِر[٦]

وانتحاها أي اعتمدها وقصدها، والوإبل هو المطر الشديد، أما ساقط الأكناف أي هو قريب من الأرض وقيل الأكناف النواحي، وأطلق على السحاب (واه منهمر) بمعنى منحرف متشقق بالماء والمنهمر الماء المنسكب الذي يكون سريع السيل، وقيل: إن

---

(١) ديوانه :٩٩؛ ووردت لفظة (وقد طوفت) بدل (ولقد نقبت)؛ تفسير الطبري: م١٣، ج٢٦ : ٢١٤. والبيت من الوافر.
(٢) ق : من الآية ٣٦.
(٣) ينظر: تفسير الطبري: م١٣، ج٢٦ : ٢١١.
(٤) مختصر الميزان في تفسير القرآن: السيد محمد حسين الطباطبائي، مكتبة دار المجتبى، النجف الأشرف، سوق الحويش، ط١، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م: ٥٨٢.
(٥) لسان العرب: م٨: ٦٦٥، مادة (نقب).
(٦) ديوانه: ١٤٥؛ تفسير الطبري: م٣، ج٣: ١٨٦. والبيت من الرمل.

الساقط الأكناف أي المسترخي الضعيف، الذي يسقط ولا يحسبه شيء ، وذكر أن هذا الانتحاء بالمطر الشديد جاء بعد المطر الخفيف والذي يسمى (الديمة)(١)، والطبـــري قصد بذكر البيت في تفسير قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاء النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً﴾(٢)، في أن معنى الوابل هو المطر الشديد(٣)، والله أراد في خطابه بـ (يا أيها الذين أمنوا) أي الذين (صدقوا الله ورسوله ألا تبطلوا صدقاتكم بالمن) أي المنة على السائل، وقيل بالمنة على الله (والأذى) بمعنى أذى صاحبها، ثم ضرب الله تعالى: مثلا لعمل المنان وعمل المنافق جميعا فإنهما إذا فعلا الفعل على غير الوجه المأمور به فإنهما لا يستحقان عليه ثوابا، (كالذي ينفق ماله رئاء الناس) هذا يدخل به المؤمن والكافر إذا أخرجا المال للرئاء (ولا يؤمن بالله واليوم الآخر) هذا للكافر خاصة، أي لا يصدق بوحدانية الله ولا البعث والجزاء (فمثله كمثل صفوان) أي (حجر أملس عليه تراب فأصابه وإبل) أي مطر عظيم القطر شديد الوقع (فتركه صلدا) حجر صلب أملس، شبه الله سبحانه وتعالى فعل المنافق والمنان بالصفوان الذي أزال المطر ما عليه من تراب فانه لا يقدر أحدٌ على رد ذلك التراب عليه)) (٤).

ولذا جاء التاكيد في أن يبعد الإنسان عمله عن الرياء، فقال الصادق (عليه السلام)((كل رياء شرك، أنه من عمل للناس كان ثوابه على الناس، ومن عمل لله كان ثوابه على الله))(٥).

الله))(٥).

(١) ينظر: ديوان امرئ القيس: ١٤٥؛ وينظر: شرح ديوان إمرئ القيس : للوزير أبي بكر عاصم بن أيوب ط١، المطبعة الخيرية، مصر، ١٣٠٧هـ: ١٣٩.
(٢) البقرة :٢٦٤.
(٣) تفسير الطبري: م٣، ج ٣ :٨٦.
(٤) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٦١.
(٥) جامع السعادات:٢/ ٥٢٤.

٢. ملمح التعالق في غرض المدح:

الإشراط:

قال أوس بن حجر في مدحه رجلًا تدلى بحبل من رأس جبل إلى شجرة من أشجار الجبل ليتخذ منها قوسا [(١)]:

فَأشْرَط فِيهَا نفسَهُ وهُو مُعصمُ وألقَى بأسْبابٍ لَهُ وتَوَكّلا [(٢)]

وأشرط نفسه أي قدم نفسه وخاطر بها، والمعصم والمعتصم بمعنى واحد وهو المتعلق بحبل أما السبب فهو الحبل، وتوكلا بمعنى توكل واعتمد على الله سبحانه وتعالى، والأشراط هي العلامات ، وأشراط الإنسان نفسه بأمر بمعنى أعلمها وأشـراط الساعة بمعنى علاماتها[(٣)]، واستشهد الطبري بالبيت في تفسير قوله تعالى: ((**فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا**))[(٤)]، وأن الأشراط في الآية هي العلامات ، وقد جعلها الله لطفا ورحمة بعباده ((لكي يرجعوا عن الكفر إلى الايمان)) [(٥)]، وفي اللسان ((أشراط كل شيء ابتداء أوله))[(٦)]، أما الأشراط فهو ((الذي يشترط الناس الناس بعضهم على بعض أي هي علامات يجعلونها بينهم))[(٧)].

---

(١) مجمع البيان: ١٨٢/٩.
(٢) ديوان أوس بن حجر:٨٧؛ وينظر: تفسير الطبري: م١٣، ج٢٦ : ٦٥. والبيت من الطويل.
(٣) ينظر: ديوان أوس: ٨٧.
(٤) محمد :من الآية ١٨.
(٥) مختصر الميزان في تفسير القرآن:٥٧٠؛ وينظر: تفسير الطبري: م١٣، ج٢٦ : ٦٥.
(٦) لسان العرب : م٥: ٧٩، مادة (شرط).
(٧) المصدر نفسه: المجلد والصفحة نفسها.

التخويل:

وفي القصيدة ذاتها التي يمدح فيها سنان بن أبي الحارث نجد زهيرًا بن أبي سلمى يمدح الكرام فيقول:

هنالك ان يستخبلوا المال يخبلوا   وان يسألوا يعطوا وان ييسروا يغلوا[١]

والاستخبال عند العرب هو أن الرجل يستعير من الرجل الإبل لغرض الشرب من ألبأنها والانتفاع من أوبارها ، ويخبلوا بمعنى أن يتفضلوا ويتكرموا على الآخرين في الحاجة والشدة، والمقصود باليسر هو من الميسر وهي المقامرة ويغلو وهو اختيار الإبل السمان للمقامرة بها[٢]، وهذه كلها صفات وسمات للكرم والكريم عنـــــد العرب، الطبري وظّف البيت في معنى ((التخويل)) في تفسير قوله تعالى: ((**وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيباً إِلَيهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيهِ مِن قَبْلُ**))[٣]، ويعني ((التخويل في الأصل إعطاء الخول وقيل إعطاء ما يصير له خولا، وقيل إعطاء ما يحتاج أن يتعهده))[٤]، ويطلق على كل ما يعطى على وجه الهبة وهي المنحة، وتعني أن يحصل الإنسان على الفخر عن طريق هبة الله له، ومنحة النعم. والعرب تطلق معنى التخويل على كل من أعطى للغير ماله أو غيره، وفي تفسير قوله تعالى: ((**مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيهِ**)) إنّ الإنسان ((نسي الضرّ الذي كان يدعو الله إلى كشفه وقيل نسي ربه الذي كان يتضرع إليه ويبتهل إليه))[٥].

---

(١) شرح ديوانه: ٤٣؛ تفسير الطبري: م١٢، ج٢٣: ٢٤٢. والبيت من الطويل.
(٢) ينظر: شرح ديوان زهير بن أبي سلمى: ٤٣.
(٣) الزمر:٨.
(٤) ينظر: تفسير الطبري: م١٢، ج٢٣: ٢٤٢؛ وينظر: مجمع البيان: ٤٢٦/٨؛ وينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل:٢٢/١٥.
(٥) تفسير الكشاف:٩٣٥.

الجِذّ:

((كسر الشيء الصلب، جذذتُ الشيء كسرته وقطعته، والجذاذ ما كُسِر منه))[١].

ومن قصيدة له مدح عمرو بن الحارث الأصغر بن الحارث الأعرج قال النابغة:

تَجُذُّ السّلُوقِيَّ المُضَاعفَ نَسجُهُ   وتُوقدُ بالصُفاحِ نارَ الحُباحِبِ[٢]

والجذّ القطع، وجذذ الشيء إذا قطعه، أي أنها تقطع السلوقي وهو درع من دروع القتال سمي بهذا الاسم نسبة إلى سلوق وهي مدينة من مدن الروم والمضاعف نسجه أي نسج من حلقتين فبات مضاعف النسج، أما الصحاف فهي الحجارة العريضة، والحباحب هو نوع من الذباب يطير بالليل، والمدح للسيوف وبها يمدح أصحابها[٣]، والله من نعـــمه على أهل الجنة أنّ عطاءه ونعمه غير منقطعة قال تعالى : **((وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ عَطَاء غَيْرَ مَجْذُوذٍ))**[٤]، واتفق أغلب المفسرين على عطاء غير مجذوذ غير منقطع ويدل على الأبدية في الجنة[٥].

الجواب:

في مدحه آل المحلق لما تميزوا به من كثرة كرمهم قال الأعشى:

تَرُوحُ على نَادي المُحلِّق جَفنة   كَجابيَةِ الشّيخِ العراقيِّ تفهقُ[٦]

---

(١) لسان العرب: م٢: ٦٦، مادة (جذذ).

(٢) ديوانه:٢٠؛ ووردت في الديوان لفظة (تقدّ) بدلا من (تجذّ) ، تفسير الطبري: م٧، ج١٢: ١٥٠. والبيت من الطويل.

(٣) ينظر: ديوان النابغة البياني:٢٠.

(٤) هود:١٠٨.

(٥) ينظر: تفسير الطبري: م٧، ج١٢: ١٥٠-١٥١: والأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٤٩؛ والوجيز في تفسير تفسير كتاب الله العزيز: ٣٠٥؛ وتفسير القرآن الكريم: السيد عبد الله شبر، مراجعة د. حامد حقي داود ، القاهرة، مؤسسة دار الهجرة، ايران، قم:٢٣٧

(٦) ديوان الأعشى: ١٤٨؛ وورد البيت في (نفي الذم عن آل المحلق) بدل من (تروح على نادي المحلق) ؛ وتفسير الطبري: م١٢، ج٢٢: ٨٨. والبيت من الطويل.

والمحلق لقب عبد العزى بن حنتم، وسُمي بهذا اللقب بسبب أن حصانًا عضه في خده فترك فيه ما يشبه الحلقة، والجفنة أعظم القصاع للطعام، أما الجابية فهو حوض الماء العظيم الذي يملأ نهر العراق، وتفهق بمعنى تمتلئ، وبمعـــــنى أن جفنته امتلأت بالطعام(١)، وأورد الطبري البيت في تفسير قوله تعالى: ((يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ))(٢)، وسخّر الله سبحانه وتعالى الجن لسليمان عليه السلام لتعمل له ما يشاء من المحاريب ((وهي بيوت الشريعة والمساجد يتعبّد فيها وكان مما عملوه بيت المقدس، (وتماثيل) بمعنى صورا من نحاس وشبهه وزجاج ورخام كانت الجن تعملها، (وجفان كالجواب) أي صحاف كالحياض التي يجبى فيها الماء: أي يجمع، وكان سليمان عليه السلام يصلح طعام جيشه في مثل هذه الجفان فانه لم يمكنه ان يطعمهم في مثل قصاع الناس لكثرتهم كان يجمع على كل جفنة ألف رجل يأكلون بين يديه))(٣)، والجواب أيضًا هي (الدلو الضخمة) (٤)، وقال الطبري في معنى الجواب ((وهي جمع جابية والجابية الحوض الذي يجبى فيه الماء)) (٥)، واستدل بقول الأعشى الأعشى للدلالة على ذلك.

الخاسر:

كان لكل قبيلة فارسها في الحرب ومن الفرسان المشهورين عامر بن الطفيل وهو فارس بني عامر(٦)، وكان الأعشى يقف في صف عامر بن الطفيل ضد علقمة بن

---

(١) ينظر: مجمع البيان: ٢١٩/٨؛ وديوانه:١٤٨.
(٢) سبأ : من الآية ١٣.
(٣) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٥٦٩.
(٤) لسان العرب: م٢: ٢٥٢، مادة (جوب).
(٥) تفسير الطبري: م١٢، ج٢٢: ٨٨.
(٦) ينظر: تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي): ٣٦٦.

علاثة. فقال يوما ((يمدح عامر بن الطفيل ويهجو علقمة بن علاثة وكانت جرت بينهما مفآخرة تعتبر من أشهر مفآخرات العرب))[١]:

لا يَأخُذُ الرِّشْوَةَ فِي حُكمِهِ ولا يُبالِي غَبَنَ الخَاسِرِ [٢]

إذ يصف عامر بن الطفيل بالحاكم العادل الذي لا يأخذ الرشوة في حال من الأحوال ولا يهتم بالخاسر أو الذي ربح لأن عنده المهم هو العدل، وأصل ((الخسار)) الغبن، وخسر الرجل في البيع أي غبن، والذين لم يؤمنوا بالله وبرسوله ((ﷺ)) غُبنوا، استخدم الطبري[٣] قوله تعالى : **((الَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ))**[٤]

أي ((الذين أهلكوا أنفسهم وغبنوها بادعائهم لله الند والعديل فأوبقوها باستجلابهم سخط الله وأليم عقابه في المعاد)) [٥].

الدّين:

الدين اسم يقال ((للطاعة والجزاء واستعير للشريعة، والدين كالملة، ولكنه يقال اعتبارا بالطاعة والانقياد الشرعي))[٦].

ومدح الأعشى الأسود بن المنذر اللخمي قائلا في بيت له:

هُو دَانِ الرَّبَابِ إذْ كَرِهوا الـ دّينِ دِرَاكًا بِغزوةٍ وَصِيالِ[٧]

والأسود ملك قبيلة الرباب وإن رفضوا الطاعة تابعهم بغزوة وصيال الدين ذلـــك، هذا المعنى استنبطه الطبري مـــن بيت الأعشى فـــي تفسير قولـــه تعالى:

(١) ديوان علقمة بن علاثة: ١١٤.
(٢) ديوان علقمة بن علاثة: ١١٤؛ وتفسير الطبري: م٥، ج٧: ٢٠١. والبيت من السريع.
(٣) ينظر: تفسير الطبري: م٥، ج٧: ٢٠١.
(٤) الأنعام: ١٢.
(٥) تفسير الطبري: م٥، ج٧: ٢٠١.
(٦) مفردات ألفاظ القرآن:٣٢٣.
(٧) ديوانه:١٩٨؛ وتفسير الطبري: م٣، ج٣: ٢٧٤،والبيت من الخفيف.

((إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسلام))[١]، و((الدين)) في هذا الموضع من الآية بمعنى الطاعة والذلة لله وأن الطاعة له بالإقرار باللسان والقلب، بالعبودية له سبحانه وتعالى والتزام أوامره فيما أمر به سبحانه وتعالى ونهى عنه من دون استكبار على طاعة الله أو الانحراف عن جادة الدين والحق باشراك غيره معه في العبودية[٢].

الرّبّ:

في صورة من صور المبالغة في الممدوح يمدح النابغة الذبياني النعمان بن المنذر ويخب (والخبب القرب في السير) للوصول إلى الممدوح حتى يراه فقال:

تخبُّ إلى النّعمانِ حَتّى تَنَالهُ   فِدى لكَ مِن ربِّ طَريفي وتَالِدِي[٣]

ويبالغ في تضحيته وحبه للممدوح واصفا إياه ((بالرب)) مفتديا له المال الطريف وهو المال الذي اكتسبه في حياته والمال التالد وهو المال الذي تورثه من أهله، وفي تفسير قوله تعالى: ((الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ))[٤]، يستدل الطبري من خلال بيت النابغة وشواهد شعرية آخرى أن الرب منصرف إلى معانٍ كثيرة منها معنى السيد، وهذا المدلول ورد في قوله تعالى : ((أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْراً))[٥] بمعنى سيده[٦].

الرفد:

---

(١) آل عمران:١٩.
(٢) ينظر: تفسير الطبري: م٣، ج٣: ٢٧٤.
(٣) ديوانه: ٥٣؛ وتفسير الطبري: م١، ج١: ٧٩. والبيت من الطويل.
(٤) الفاتحة: ٢.
(٥) يوسف:٤١ .
(٦) ينظر: تفسير الطبري: م١، ج١: ٧٩.

قال الأعشى مادحا الأسود بن المنذر اللخمي:

رُبَّ رَفدٍ هرقْتُهُ ذلكَ اليَو م وَأسرَى مِنْ مَعشرٍ أقتالِ(١)

والرفد ((العس الضخم، وقيل القدح العظيم الضخم والعس : القدح الضخم))(٢)، والقدح كنى به الشاعر عن كأس الموت، أما أقتال فهو جمع قِتل لقتلى وأراد به العدو، والرفد هو العون والمعينة على الأمر، وكل شيءٍ تجعله عونًا لشيءٍ أو سند لشيء فقد رفدته به، ورفده وأرفده إذا أعطاه، ورفد يرفده رفدًا أي كسرت الراء بمعنى العون، وإذا فتحت تكون بمعنى السقي في القدح الضخم والعظيم(٣)، وأرفدته أي ((جعلتُ له رفدا يتناوله شيئا فشيئًا)) (٤)، وأورد الطبري البيت في تفسير قوله تعالى : **((وَأُتْبِعُواْ فِي هَٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ))**(٥) وهذه حال فرعون وهو يتقدم قومه إلى النار يوم القيامة والمعنى ((ترادفت عليهم اللعنتان من الله ، لعنة في الدنيا ولعنة في الآخرة))(٦).

))(٦).

العدن:

مدح الأعشى قيس بن معد يكرب الكندي فقال:

وان يُستضَافُوا إلى حِلمِهِ يُضافُوا إلى رَاجحٍ قد عَدِنْ(٧)

(١) ديوانه الأعشى: ١٩٩؛ وتفسير الطبري: م٧، ج١٢ : ١٨٢. والبيت من بحر الخفيف.
(٢) ينظر: لسان العرب:م٦: ٢٤٨، مادة (عسس).
(٣) ينظر: ديوان الأعشى: ١٩٩؛ وتفسير الطبري: م٧، ج١٢: ١٣٨.
(٤) مفردات ألفاظ القرآن: ٣٦٠.
(٥) هود:٩٩.
(٦) تفسير الطبري: م٧، ج١٢: ١٣٩.
(٧) ديوانه: ٢٤٠؛ ورد بالبيت اللفظ الآتي (الى حكمه) بدل (الى حلمه)، ولفظة (هادن قد رزن) بدل (راجع قد عدن). تفسير الطبري: م٦، ج١٠: ٢٢٥. والبيت من المتقارب.

استضاف بفلان استغاث به، والرجاحة بمعنى الحلم و ((العدن)) الإقامة والخلد، وعدن فلان بأرض كذا أقام وخلد بها، يقال: عدنت البلد توطنته، ومركز كل شيء معدنه))[١] ويقال فلان في معدن بمستقر وأصل ثابت لا يتغير، ووصفت الجنة بأنها دار عــــدن فقال تعالى ((وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأنهارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ))[٢]، وجنة عدن بوصفها بساتين وحياة خالدة وإقامة لا يرحل منها أحد أي بمعنى إقامة واستقرار أبدي[٣].

الغفران:

العفو والصفح وغفران جهل واعوجاج الآخرين، صفات لازمت الإنسان العربي وأوس بن حجر يمدح نفسه وخصاله الرفيعة وتحليه بهذه الصفة فيقول:

ألا أعتبِ ابنَ العَمّ إنْ كَانَ جَاهِلًا وأغفرُ عَنهُ الجَهلَ إن كَان أجْهلا[٤]

وأراد الشاعر أن يغفر ويسامح ابن عمه ويستر على خطئه ويعفو عنه بحلمه وتسامحه له، ومن أبواب رحمة الله تعالى ولطفه بعباده أنه لغفار ذنوب العباد وسيئاتهم، قـــــال تعالى: ((نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ))[٥] والطبري وظف قول أوس لبيان معنى الغفران في الآية الكريمة، وإنّ ((أصل الغفر هو التغطية والستر ، فكل ساتر شيئًا فهو غافره ومن ذلك قيل للبيضة من الحديد التي تتخذ جنة للرأس (مِغفر) لأنها تغطي الرأس وتجنه ومنه غمد السيف وهو ما يغمده فيواريه وقيل لزئير الثوب (غفرة)

---

(١) لسان العرب: م٦: ١٢٩، مادة (عدن).
(٢) التوبة: ٧٢.
(٣) ينظر: تفسير الطبري: م٦، ج١٠: ٢٢٥. ومختصر الميزان: ٢٤١.
(٤) ديوانه:٨٢؛ ووردت لفظة (ظالمًا) بدل (جاهلًا)؛ وتفسير الطبري: م١، ج١ : ٣٩٨. والبيت من الطويل.
(٥) البقرة: من الآية ٥٨.

لتغطيته العورة وحوله بين الناظر والنظر إليها))[١]، والمغفرة في الآية هو أن ((نتغمد لكم بالرحمة خطاياكم ونسترها عليكم فلا نفضحكم بالعقوبة عليها))[٢].

القط:

الكرم ومنح الجوائز والعطايا صورة مدح بها الأعشى المحلق بن ختم [٣]:

وَلا المَلكُ النّعمانُ يومَ لقيتُهُ ... بِنِعمتِهِ يعُطِي القَطوطَ ويأفق [٤]

والقط هو ((الصحيفة وهو اسم للمكتوب ، والمكتوب فيه، ثم يسمى المكتوب بذلك كما يسمي الكتاب كتابا وإن لم يكن مكتوبا))[٥]، ويجمع قطوط وهو الصكّ أو الوصل الذي يعطى مكافأة أما معنى يأفق[٦]، فهو من أفق في العطاء بتفضيل وإعطاء فريق أكثر من الآخر، والشاهد أورده الطبري في تفسير قوله تعالى : ((وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ))[٧]، واصفا حال الذين أشركوا بالله من قريش وهم وهم يطلبون من الله أن يعجـــل كسبهم قبل يوم القيامة.

وقيل إن القط ((الورقة التي يرسم عليها أو تكتب عليها أسماء أشخاص فازوا بالجوائز))[٨]، ويذهب بعض المفسرين في تفسير الآية أن الله (ﷻ) وقبل يوم الجزاء يسلم إلى عباده صحائف أعمالهم ويعطي البعض صحائفهم باليمنى والبعض الآخر صحائفهم باليد اليسرى[٩]، وذهب أغلب أهل التأويل في معنى تعجيل القط الذي الذي أراده المشركون هو العذاب، وقيل إنهم سألوا أن يعجل الله لهم العذاب قبل يوم

(١) تفسير الطبري: م١، ج١ : ٣٩٨.
(٢) المصدر نفسه: م١، ج١ : ٣٩٨.
(٣) ينظر: ديوان الأعشى:١٤٣.
(٤) المصدر نفسه: ١٤٤؛ وردت لفظة (بأمته) بدل(بنعمته)؛ وتفسير الطبري: م١٢،ج٢٣ :١٦٣. من الطويل.
(٥) مفردات ألفاظ القرآن: ٦٧٦.
(٦) ينظر: ديوان الأعشى:١٤٤.
(٧) ص:١٦.
(٨) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٣٠٤/١٤.
(٩) ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٣٠٤/١٤.

القيامة، بينما قال بعض أهل التأويل في الآية أنهم قالوا للنبي (ﷺ) أرِنا منازلنا في الجنة حتى نتبعك وقال آخرون إنهم أرادوا نصيبهم من الجنة وسألوا الله تعجيل رزقهم [١].

الكلح:

((الكلح والكلوح تكشر في عبوس، قال ابن سيدة الكُلُوح والكُلاحُ بُدُوُّ الإنسان عند العبوس))[٢]. الأعشى أضفى هذا المعنى في وصف شجاعة إياس بن قبيصة الطائي[٣] الطائي[٣] فقال فيه:

وَلَهُ المُقدّمُ فِي الحَرب إذا ساعَةَ الشّدقِ عَنْ الناب كَلَحِ[٤]

والمعنى أن له الشجاعة في الحرب فهو المقدم فيها ويكشر في عبوس فيكشف عن نابه وهي كناية عن شجاعته، واستدل الطبري على هذا المعنى في تفسير قوله تعالى: **((تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ))** [٥]، والمعنى أن الكافرين ((يسفع وجوههم لهب لهب النار فتحرقها، وهم فيها مقلصوا الشفاه عن الأسنان من إحراق النار وجوههم)) [٦].

اللازب:

قد يطغى بعض الناس حينما تأتيه نعمة من الله سبحانه وتعالى ، ولكن البعـــض يعرف أن الزمن متقلب ويخشى دورة الأيام، هذا المعنى يمدح به النابغة الذبياني عمرا بن الحارث الأعرج حينما ذهب إلى الشام وهناك نزل[٧] به إذ يقول:

ولا يَحسبونَ الخيرَ لا شرّ بعدهُ ولا يَحسَبونَ الشرّ ضَربةَ لازبِ[١]

---

(١) ينظر: تفسير الطبري: م١٢، ج٢٣ : ١٦٣-١٦٥.
(٢) لسان العرب: م٧: ٧١٠، مادة (كلج).
(٣) ينظر: ديوانه: ٥٠.
(٤) المصدر نفسه: ٥٢؛ تفسير الطبري: م١٠، ج١٨ :٧١. والبيت من الرمل.
(٥) المؤمنون: من الآية١٠٤.
(٦) تفسير الطبري: م١٠، ج١٨ : ٧١.
(٧) ينظر: ديوان النابغة الذبياني: ٧.

واللازب هو الثابت، والمعنى إنهم يعتقدون وعلى معرفة بأن لا يتم الخير أو الشر إذ أن دوام الحال هو من المحال[٢]، والطبري استعمل هذا المعنى في تفسير قوله تعالى : ((إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ))[٣]، وقد تعددت الآراء في معنى لازب فقيل ((وإنما هو وصفه جل ثناؤه باللزوب، لأنه تراب مخلوط بماء، وكذلك خلق ابن ادم من تراب وماء ونار وهواء، والتراب إذا خلط بماء صار طينا لازبًا[٤]، ومن اللازب قول النابغة الذبياني الذي أورده الطبري دليلًا على المعنى، وقيل إن اللازب هو اللازم[٥].

المُقامة:

بنو سعد قبيلة الشاعر سلامة بن جندل السعدي وقد مدح قبيلته بمكرمات عدة من بينها الشجاعة، ووصف سيوفهم ورماحهم وخيولهم وبجودهم وكرمهم وقال فيهم أيضا:

يَومَانِ يَومُ مَقامَاتٍ وأَنْدِيةٍ وَيَومُ سَيْرٍ إلى الأَعْداءِ تأوِيبُ[٦]

والمقامات هي جمع مقامة وهي المجلس، أو بضم الكلمة لتعني الإقامة، أما الأندية فهي الأفنية والندي والنادي بمعنى واحد وهو ما يكون حول الدار، أما التأويب فهو سير يوم إلى الليل[٧]، وفي البيت إشارة إلى ما كانت عليه مجالس بني سعد من رقي في مواقف الخطابة والشعر وغيرها من فنون الأدب، وفي القرآن الكريم نجد أن

---

(١) المصدر نفسه:٢١؛ و تفسير الطبري: م١٢، ج٢٣ : ٥٥. والبيت من الطويل.
(٢) ينظر: مجمع البيان:٣٢٩/٨.
(٣) الصافات : من الآية ١١.
(٤) تفسير الطبري: م١٢، ج٢٣ : ٥٥
(٥) ديوانه: ١٦؛ وينظر: تفسير الطبري، م١٢، ج٢٣ : ٥٥.
(٦) المفضليات: ١٢٠؛ ومنتهى الطلب من أشعار العرب: ١٦٥/١؛ تفسير الطبري: م١١، ج١٩: ٤٦. والبيت من البسيط.
(٧) ينظر: المفضليات: ١٢٠.

الله تعالى أطلق هذه المفردة على أهل جهنم لخلودهم فيها فقال وقوله الحق : ((أنها سَاءتْ مُسْتَقَرّاً وَمُقَاماً))(١)، والمُقام بضم الميم فهو الإقامة وبفتح الميم فهي المجلس وهي بئس الموضع(٢) ، واستشهد الطبري بقول سلامة بن جندل مبينا معنى ذلك.

الندي:

جاور حاتم الطائي بني بدر في زمن شدة وعسر وقد كانوا متحلين في ذلك الزمن بالأخلاق والشمائل الطيبة (٣) فقال مادحا اياهم:

فدُعيتُ فِي أولَى النَّدي وَلَم   يُنْظَرْ إليّ بأعينٍ خُزرِ(٤)

وأولى الندي أول المجلس أما الخزر فهو النظر بأحد الشقين وقيل النظرة الضيقة كناية عن تحقير المرء، والطبري استشهد ببيت حاتم في سياق تفسير قوله تعالى: ((قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَي الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَاماً وَأَحْسَنُ نَدِيًا))(٥)، وجدت أنّ أغلب المفسرين أجمعوا على الندي هو المجلس ومن بينهم الطبري الذي فسر الندي بهذا المعنى فقال: ((هو المجلس، يقال منه: ندوت القوم أندوهم ندوًا: إذا جمعتهم في مجلس ويقال هو في نديّ قومه وفي ناديهم بمعنى واحد))(٦)، وذكر الزمخشري في شأن هؤلاء الكافرين ((انهم إذا سمعوا الآيات وهم جهلة لا يعلمون إلا ظاهرا من الحياة الدنيا وذلك مبلغهم من العلم قالوا: أي الفريقين من المؤمنين بالآيات والجاحدين لها أوفر حظا من الدنيا، حتى يجعل ذلك عيارا على الفضل والنقص والرفعة والضعة، ويروي أنهم كانوا يرجلون شعورهم ويدهنون ويتطيبون ويتزينون

(١) الفرقان: ٦٦.
(٢) ينظر: تفسير الطبري: م١١، ج١٩: ٤٦.
(٣) ينظر: ديوان حاتم الطائي:٢٦. والبيت من الكامل.
(٤) المصدر نفسه: ٢٦؛ وتفسير الطبري: م٩، ج١٦: ١٥١. والبيت من الكامل.
(٥) مريم :٧٣.
(٦) تفسير الطبري: م٩، ج١٦: ١٥١.

بالزين الفآخرة، ثم يدعون مفتخرين على فقراء المسلمين أنهم أكرم على الله منهم))[١].

٣. ملمح التعالق في غرض الغزل:

الإمساد:

المسد يراد به ((حبل من ليف أو خوص أو شعر أو وبر أو صوف أو جلود الإبل أو جلود من أي شيء كان))[٢].

من طبيعة أغلب الشعراء أنَّهم يفكرون في أيسر الاشياء التي تخص المحبوب متأملين فيها والأعشى لطبيعة الحياة ويسرها يفكر في باب عشيقته فيقول فيها:

تمُسْيِ فَيصْرِفُ بَابُهَا مِنْ دُونِهَا غَلقاً صَرِيفَ مَحَالَةَ الأمسَادِ[٣]

ويبين أن حبيبته حينما تغلق الباب يصدر صوتاً منها مثل صوت الإمساد وهي الحبال التي تدور على البكرة التي تستخدم لأخذ الماء من البئر[٤] والمسد الحبل الطري الطري

أورد الطبري البيت في تفسير قوله تعالى:((**فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ**)) [٥] أي في عنقها حبل من ليف، وعن ابن عباس وعروة بن الزبير في رواية عنهما أن السلسلة تسمى مسداً لأنها ممسودة أي مفتولة[٦].

---

(١) تفسير الكشاف: ٦٢٥.
(٢) لسان العرب: م٨: ٢٨١، مادة (مسد).
(٣) ديوانه: ٦٧، تفسير الطبري: م١٥، ج٣٠: ٤٣٨ والبيت من الكامل.
(٤) ينظر ديوانه: ٦٧، وينظر: تفسير الطبري: م١٥، ج٣٠: ٤٣٨
(٥) المسد: ٥.
(٦) ينظر مجمع البيان: ٥٣٨/١٠.

الترائب:

المثقب العبدي يتغزل بعنق حبيبته فهو على الرغم من أنه خَفي عن الناس ولكن يتحسس ويشعر به فقال:

أرَيْنَ مَحَاسِناً وكَنَنَّ آخرى مِنْ الأَجيَادِ وَالبِشْرِ المَصُونِ[١]

والجيد العنق الذي كننتهُ عن الناس أي أخفتهُ ثم قال:

وَمَنْ ذَهَبَ يَلُوحُ عَلَى تُرَيْبٍ كَلَوْنِ العَاجِ لَيسَ بِذِي غصُونِ[٢]

والتريب هو عظام الصدر وهو موضع القلادة أما الغصون فهو الجسد الرقيق الناعم الذي ليس بمتخدد[٣]، وذكر الطبري آراء المفسرين في معنى الترائب في قوله تعالى ((يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ)) [٤] ومن بين هذه الآراء أنها ما بين المنكبين والصدر، وقيل هي الاضلاع أسفل الصلب وقيل أنها ما بين ثدي المرأة ومنهم من قال هي ماء المرأة وصلب الرجل وقال البعض إنها عصارة القلب وذهب البعض إلى أنها موضع القلادة من صدر المرأة وهذا الرأي رجحه الطبري ووقف معه مستدلاً بقول المثقب العبدي في أنَّ التريب هي عظام الصدر وهو موضع القلادة، ويطلق على الجسد الناعم الرقيق الغصون[٥].

الخلال:

(١) المفضليات: ٢٨٩. والبيت من المتقارب.
(٢) شعر المثقب العبدي: ٣٢، وينظر: المفضليات: ٢٨٩؛ تفسير الطبري م١٥،ج٣٠: ١٨٢. والبيت من الوافر.
(٣) ينظر: شعر المثقب العبدي: ٣٢، وينظر المفضليات: ٢٨٩.
(٤)الطارق: ٧.
(٥) ينظر تفسير الطبري: م١٥، ج٣٠: ١٨٢.

الخلة وتعني ((الصَّداقة يقال: خالَلْت الرجل إخلالاً)) [١] يريد امرؤ القيس أن يصون حُبّهُ خشية الفضيحة وخشية أن يعرف الناس بعشقه فبعد عن معشوقاته فقال:

صَرَفتُ الهَوَى عَنهنَّ مِن خَشيَةِ الرّدَى وَلَسـتُ بِمُقلى الخِلَالِ وَلا قَالِ[٢]

وهو لم يقليهن ، والقلا البغض، ومنه قوله تعالى في خطابه للنبي (ﷺ) ((ما ودعك ربك وما قلى))[٣] وما قلاك بمعنى (ما أبغضك منذ اصطفاك)[٤] وامرؤ القيس لم يهجر محبوباته ولا هن هجرنه، والخلال المصادقة والصحبة ولهذا المعنى ساق الطبري البيت في تفسير قوله تعالى ((مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ))[٥] والمعنى أن ((ليس هناك مخالة خليل فيصفح عمن استوجب العقوبة عن العقاب لمخالفتهِ، بل هناك العدل والقسط))[٦] ويبين الله سبحانه وتعالى في الآية أنّ الإنسان يحاسب في ذلك اليوم بعمله فلا بيع فيه أي لا تجارة فيه ولا خلال ، ولا ينفع في ذلك اليوم ((لا محبون ولا شفعاء لتقطع هذه الأسباب التي كانت تدبر معائشهم في الحياة الدنيا بأمر ممن خلق الأسباب))[٧].

الخيام:

(١) لسان العرب: م٣: ٢٠٥، مادة (خلل).
(٢) ديوانه: ٣٥، تفسير الطبري: م٨، ج١٣: ٢٨١. والبيت من الطويل
(٣) الضحى: ٣.
(٤) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٨١٦.
(٥) إبراهيم: من الآية ٣١.
(٦) تفسير الطبري: م٨ ، ج١٣: ٢٨١.
(٧) مختصر الميزان: ٣١٠.

الخيمة وهي ((بيت من بيوت الاعراب مستدير يبنيه الاعراب من عيدان الشجر))[١] في وقفة شعرية غزلية في تذكار رحيل الأحبة وركوبهن في الهودج يصوره لبيد بن ربيعة فيقول:

شاقَتْك ظعنُ الحَيِّ يوْمَ تحمّلوا فتَكسّــو قُطناً تصِرُّ خِيامُها[٢]

شاقتك دعتك إلى الشوق إليها ديار الأحبة عند رحيلهم والتفكير بفراقهم وتلك اللحظات حينما دخل النساء في الهودج وتحملوا بمعنى ارتحلوا بأحمالهم أمّا التكنس فقد جاء من تكنست الضباء، أي سكنت الكناس وهو بيت الظبي (الغزال) والقطن الجماعة أمّا صر الخيام فهو حينما تعجلت الإبل بالسير هزت خشب الهودج فصرّ صريرًا وهو صوت الخشب عندما يتحرك، وقيل أنها صرت من ثقلها، وقيل لأنها جدد[٣]، وتسمـــي وتسمـــي

العرب هوادج النساء خياماً[٤] وساق الطبري البيت في تفسير قوله تعالى: ((حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ)) [٥] أي في البيوت أما وصف الحور بالمقصورات فهي ((إشارة ((إشارة إلى أنهن مرتبطات ومتعلقات بأزواحهنّ ومحجوبات عن الآخرين)) [٦].

الرهق:

الرهق هو((غشيان المحارم من شرب الخمر ونحوه نقول: في فلان رهق أي يغشى المحارم) [٧] قال الأعشى متغزلاً بحبيبته ويتشوق لرؤيتها:

لا شِيءَ ينفَعُني مِن غَيرِ رُؤيَتِها هَل يَشتَفي وامقٌ مَا لم يُصِبْ رهَقا[١]

(١) لسان العرب: م٣: ٢٧٣، مادة (خيم).
(٢) شرح ديوان لبيد: ٣٠٠، تفسير الطبري م١٣، ج٢٧: ١٩٨ والبيت من الكامل .
(٣) ينظر : لبيد بن ربيعة، دراسة أدبية، يحيى الجبوري، مطبعة المعارف، بغداد، ط١، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م:٧٠، وينظر شرح القصائد العشر، ٢٥٢، ٢٥٣.
(٤) ينظر تفسير الطبري م١٣، ج٢٧: ١٩٨.
(٥)الرحمن: ٧٢.
(٦) الامثل في تفسير كتاب الله المنزل١٧/ ٢٧٩.
(٧) لسان العرب: م٤: ٢٧٥، مادة (رهق).

والوامق هو ((المحب العاشق))[٢] والمعنى أن لا شيء ينفعه إن لم يرها وهل يشتفي المحب العاشق ما لم يكن بالقرب من المعشوق، وقيل إنّ الرهق في هذا البيت هو نيل المحارم[٣]، والطبري وظف البيت في تفسير قوله تعالى: ((وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا))[٤] وفي معنى الرهق في الآية أقوال منها بمعنى زادهم الجن خوفاً وقول آخر زادهم إثماً ورجح الطبري هذا القول واستصوبه فقال زادوهم به الجن واستحلى لهم محارم الله والرهق عند العرب الإثم وارتكاب المحارم[٥].

الروع:

(الرّوع والرّواع والتروّع: الفزع)[٦]، رحيل الأحبة وفراقهم أفزع الشاعر عنترة العبسي فقال:

مَا رَاعَنِي إلّا حُمُولَةُ اهْلِهَا وَسْطَ الدّيَارِ تَسُفُّ حَبَّ الخُمْخُمِ[٧]

والروع الافزاع والخوف، والحُمولة هي الإبل التي تطيق الحمل والوسط اسم بين طرفي الشيء أمّا الخمخم فنبت تعلفه الإبل بمعنى أن الذي أعلمني بارتحالها انتهاء مدة بقاء العشب والكلأ والذي بنهايته تعود الحبيبة إلى دار مسكنها[٨] وساق الطبري البيت

---

(١) ديوانه: ١٥١؛ وتفسير الطبري: م١٤، ج٢٩: ١٣٣. والبيت من البسيط.
(٢) ديوان الاعشى: ١٥١.
(٣) ينظر: لسان العرب:م٤: ٢٧٥، مادة (رهق).
(٤) الجن: الآية ٦.
(٥) ينظر تفسير الطبري: م١٤، ج٢٩: ١٣٢-١٣٣.
(٦) لسان العرب: م٤: ٣٠١، مادة (روع).
(٧) ديوانه: ٨٠؛ وتفسير الطبري: م٧، ج١٢: ٩٧. والبيت من الكامل.
(٨) ينظر شرح المعلقات السبع: ١١٨.

في تفسير قوله تعالى: ((فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبراهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى)) (١) مبيناً إنّ الروع في الآية هو ((الخوف، يقال منه : راعني كذا يروعني روعاً إذا خافه))(٢) وقيل أنَّ ((رَوْع ((رَوْع على وزن (نوع) معناه الخوف والوحشة وكلمة (رُوْع) على وزن (نوح) معناها الروح أو قسم منها الذي هو محل الخوف ومركزه(٣).

السربال:

السربال هو ((القميص والدرع وقيل كل ما لبس فهو سربال)) (٤)، تغزل امرؤ القيس القيس بمحبوبته وأي محبوبة أنها بيضاء الثغر، وكل اضراسها وهي طَفلة رقيقة ناعـــــمة رخصة اليدين ومن جمالها إنها ذهبت بفؤاد الشاعر حتى أنسته قميصه(٥) فقال:

وَمِثْلُكِ بَيضَاءَ العَوارِضِ طَفلةٍ لَعُوبٍ تُنَسِّينِي إذا قُمتُ سِربَالِي(٦)

والسربال القميص، وتسربلته لبسته، وهذا مما استعان به الطبري فــي تفسير قوله تعالى في ذكر لباس أهل النار:((سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ))(٧)، و((سرابيلهم)) لباسهم، أما القطران عند أغلب المفسرين هو النحاس والذي اختاره الله عذابا للكافرين(٨).

(١) هود: من الآية ٧٤.
(٢) تفسير الطبري: م٧، ج١٢: ٩٧.
(٣) الامثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٩/٧.
(٤) لسان العرب: م ٤: ٥٤٨، مادة (سربد).
(٥) ينظر: ديوان امرئ القيس:٣٠.
(٦) ديوان امرئ القيس:٣٠؛ وتفسير الطبري: م٨، ج١٣: ٣١٨. والبيت من الطويل.
(٧) ابراهيم: من الآية٥٠.
(٨) ينظر: تفسير الطبري: م٨، ج١٣: ٣١٨-٣١٩.

السماء:

السماء العلو، ويقال: ((سماء كلّ شيءٍ أعلاه)) [١]، ويصور لنا النابغة الذبياني صورة من صور العشق وهي نظرة المعشوق إلى العاشق فقال:

سمتْ لي نظرة فرأيتُ مِنها تُحَيْتَ الخِدرِ واضِعَةَ القِرامِ [٢]

وسمت هنا أشرقت لي بنظرة، وتحيت مصغر تحت وهي مقابل لكلمة فويق، أما ما فوق الخدر وهو ما يفرد للجارية، والقرام هي الستارة الرقيقة يحاط بها فراش المرأة[٣]، وجاء هذا البيت للنابغة ليكون دليلا في بيان مدلولة لفظة (السمـــاء)، فـــي تفسير قوله تعالى: ((الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاء بِنَاء وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ)) [٤]، وان السبب في تسمية السماء لعلوها على الأرض وعلى سكان الأرض من خلقه، وكل شيء يعلو شيء آخر فيكون فوقه فهو له سماء وسما فلان لفلان إذا قصده عاليا[٥].

السورة:

لقد رحلت حبيبة الأعشى ولكنها خلدت وأبقت حبها في قلبه فيقول:

بانَتْ وقَدْ أسْأرتْ فِي النّفسِ حَاجَتها بَعدَ ائتلافَ وخيرِ الودِّ ما نَفعا [٦]

وبانت بمعنى رحلت وبعدت عنه وقد أسارت أي أنها أبقت وتركت في النفس بقية منها، والائتلاف: الألفة[٧] وفي بيان معنى كلمة (السؤرة) استشهد الطبري بهذا البيت مبينا ان معنى من معاني السورة مبينا أنها ((القطعة التي أفضلت من القرآن عما سواها

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن: ٤٢٧.
(٢) ديوانه:١١٩؛ وفي الديوان (صفحت بنظرة) بدل (سمت لي بنظرة)؛ وتفسير الطبري: م١، ج١: ٢١٢. والبيت والبيت من الوافر.
(٣) ينظر: ديوان النابغة: ١١٩؛ ومفردات الفاظ القرآن: ١٦٤.
(٤) البقرة: ٢٢.
(٥) ينظر: تفسير الطبري: م١، ج١: ٢١٢.
(٦) ديوانه:١٢٩؛ وتفسير الطبري: م١، ج١: ٥٨. والبيت من البسيط.
(٧) ينظر: ديوان الأعشى: ١٢٩.

وأبقيت، وذلك أن سؤر كل شيء البقية منه تبقى بعد الذي يؤخذ منه. ولذلك سميت الفضلة من شراب الرجل يشربه ثم يفضلها فيبقيها في الإناء سؤرًا)) [١]، وببيت الأعشى دل على ذلك بما ابقته حبيبته في قلبه من الوجد بقية وذكر الطبري آراء أخرى في معنى السورة ومنها أنها تعني منزلة من منازل الإرتفاع [٢].

الشيطان:

شطن بمعنى ((تباعد ومنه بئر مشطون وشطنت الدار وغربة شطون)) [٣].

والنابغة الذبياني يصف ما تركه بعد سعاد عنه فقال:

نَأتْ بِسُعادَ عَنكَ نوًى شُطونُ فبَانَتْ والفؤادُ بِها رَهينُ [٤]

النوى ما تعقد عليه نية المسافر وما ينويه، وسعاد اختارت البعد وصارت بعيدة، ورغم ذلك بقي القلب بها متعلقا وأسيرا لحبها، والشغف بها ورغم شطئها عنه والشطون البعيدة [٥]، وفي تأويل الاستعادة من الشيطان الرجيم والأقوال في معنى الشيطان، وأورد الطبري البيت لهذا المعنى وبيّن ((أن التمرد من كل شيءٍ شيطانٌ لمفارقة أخلاقه وأفعاله أخلاق سائر جنسه وأفعاله، وبعده عن الخير، وقيل أنه أخذ من قول القائل شطن داري من دارك، يريد بذلك بعدت)) [٦]، وشطون سعاد في بيت النابغة بعدها عنه. ودعبل الخزاعي [٧] ذكر المعنى في تائيته في ذكر أهل البيت (عليهم السلام) فقال:

---

(١) تفسير الطبري: م١، ج١: ٥٨.
(٢) ينظر: المصدر نفسه: م١، ج١: ٥٨.
(٣) مفردات ألفاظ القرآن: ٤٥٤.
(٤) ديوانه: ١٣٠؛ وتفسير الطبري: م١، ج١: ٦٢. والبيت من الوافر.
(٥) ينظر: ديوان النابغة: ١٣٠.
(٦) تفسير الطبري: م١، ج١: ٦٢.
(٧) هو دعبل بن علي بن رز بن خزاعة ويكنى (أبا علي) (الشعر والشعراء: ١٣٨/٢).

وأين الإلى شطت بهم غربة النوى أفانين في الآفاق مفترقاتِ[١]

العُرب:

العُرب ((جمع عروب وهي المرأة الحسناء المتحببة إلى زوجها))[٢].وفي بيت من الغزل جمع لبيد بن ربيعة التغزل بالأخلاق الحميدة للمرأة في صدر البيت ثم التغزل بمحاسنها في عجز البيت فقال:

وفي الحُدُوجِ عَروبٌ غيرُ فاحشةٍ ريّا الرّوادفِ يَغشَى دُونَـها البَصرُ[٣]

والحدوج من الحدج وهو من مراكب النساء قريب من الهودج، وقد يطلق على الهودج الواحد اسم حدج، والعروب المحبة لزوجها وهي حسنة التبعل، وغير فاحشة بمعنى أنها لا تفحش في الكلام ولا تتكلم بسوء، ثم انتقل الشاعر في عجز البيت إلى التغزل بمحاسن جسد المرأة فوصفها بأنها رية الروادف وهي التي تكون ضخمة العجيزة ، ويغشى دونها البصرُ أي يتعب ويكلّ البصر من شدة حسنها ونورها[٤]، والله سبحانه وتعالى وصف نساء الجنة بقوله : **((إنا أنشأناهن انشاءً فجعلناهن أبكارا عربًا أترابا))**[٥]، وفي معنى قوله تعالى ((**عربا**)) وظف الطبري قول لبيد ليستدل على أنهن نساءً جعلناهنّ ((أبكاراً غنجات متحببات إلى أزواجهن بحسن التبعل)) [٦].

الغناء:

يقال: ((غني القوم بالدار غنًى: أقاموا، وغني بالمكان أقام)) [١].

---

(١) شعر دعبل بن علي الخزاعي (١٤٨_٢٤٦هـ)، صنعه د. عبد الكريم الأشتر، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق،:٧١. والبيت من الطويل.
(٢) لسان العرب: م٦: ١٥٨، مادة (عرب).
(٣) شرح ديوانه: ٦١، وتفسير الطبري: م١٣، ج٢٧: ٢٢٩. والبيت من البسيط.
(٤) ينظر: شرح ديوان لبيد: ٦١.
(٥) الواقعة: ٣٥-٣٧.
(٦) تفسير الطبري: م١٣، ج٢٧: ٢٢٩.

أقام النابغة الذبياني عند النعمان بن المنذر مدة من الزمن وقد عشق جارية تسمى (مهدد) ويقال إن أسمها (مهدك) في رواية أخرى[٢]، وقد سكن قريبا منها، ولما حان وقت رحيله عن ديارها فقال متذكرا جيرته معها:

غَنِيتْ بذلكَ إذْ هُم لَكِ جيرةٌ مِنـهَا بِعَطفِ رِسالةٍ وَتودّدِ[٣]

وشاع عند العرب غني فلان بمكان كذا أي أقام به، وغنيت عند النابغة الذبياني أقمت حيث كانت الجارية جارة لي وكانت تعطف وتتودد بحبها لي، ورسائلها لي[٤]، ونجد معنى كلمة (غنيت) ورد في القرآن الكريم في قوله تعالى: ((**كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ**))[٥]، أي ((كأن لم تكن تلك الزروع والنبات على ظهر الأرض نابتة قائمة على الأرض قبل ذلك بالأمس))[٦]، أي كأن لم تكن مكان وسكن أقام به الناس ، ولكن أتاها أمر الله فأهلكها بعد أن كانت عامرة بحسنها والبهجة فيها.

القابر:

تختلف مواطن الإثارة في أعضاءِ المرأةِ وجسدها من إنسان إلى آخر، وعلى وفق طبيعة ذلك الإنسان وما تتركه تلك الأعضاء من إيحاء ومخيلة في نفسه، والأعشى عشق نحر حبيبته فقال متغزلا:

لَوْ أسْنَدَتْ ميتًا إلى نَحْرِهَا عَاشَ ولمْ يُنقَلْ إلى قَابرِ[٧]

والمعنى أن ميتا لو أسند واتكأ على نحر محبوبته ، والنحر هو أعلى الصدر من المرأة وفيه موضع القلادة[١]، لعادت الحياة إليه، ولم ينقل إلى القابر، ويعني ((الدفان

---

(١) لسان العرب: م٦: ٦٩٠، مادة (غنا).
(٢) ينظر: ديوانه:٤٧.
(٣) المصدر نفسه:٤٧؛ وتفسير الطبري: م٧، ج١١: ١٢٩، والبيت من الكامل.
(٤) ديوان النابغة:٤٧.
(٥) يونس: من الآية ٢٤.
(٦) تفسير الطبري: م٧، ج١١: ١٢٩.
(٧) ديوانه:١١٣؛ وتفسير الطبري: م١٥، ج٣٠: ٧١، والبيت من السريع.

بيده))[٢]، وإن كل ذلك لجمال نحرها وشدة تأثيره في النفوس، إلى مرحلة أنه يحيي الميت، وجاء الطبري بالبيت في بيان معنى المقبر في قوله تعالى : **((ثـم أماته فأقبره))**[٣]، فالذي يدفن الميت بيده هو القابر، وإن المقبر هو الله تعالى وهو الذي أمر عباده أن يقبروا الإنسان بعد موته[٤]، و ((فأقبره)) في الآية ((فجعله ذا قبر يوارى فيه تكرمة له ، ولم يجعله مطروحا على وجه الأرض جزرا للسباع والطير كسائر الحيوان، يقال قبر الميت إذا دفنه)) [٥].

المستطير:

المستطير بمعنى ((المنتشر وصبح مستطير ساطع منتشر))[٦]. افتتح الأعشى قصيدته متغزلاً بحبيبته ليلى فقال:

وَبَانَتْ وَقَدْ أورِثَتْ فِي الفؤا　　　دِ صَدعاً عَلى نأيِها مُستطِيرا[٧]

القصيدة في مدح هوذة بن علي الحنفي، وأراد بأن حبيبته بانت بمعنى بعدت ونــأت والبين هو النأي والفراق، أمّا الاسآر فهو في الأصل من إبقاء الشارب البقية في الإناء، والصدع المستطير يعني التصدع، أمّا الاستطارة فهي الانتشار[٨]، وأراد أنَّ بعد ليلى ترك صدعاً في قلبه ممتداً وفاشياً، وبهذا استدل الطبري على معنى مستطير

---

(١) ينظر: ديوان الأعشى:١١٣.
(٢) لسان العرب: م٧: ٢١٩، مادة (قبر).
(٣) عبس: ٢١.
(٤) تفسير الطبري: م١٥، ج٣٠: ٧١.
(٥) تفسير الكشاف: ١١٨٠.
(٦) لسان العرب: م٥: ٦٨٣، مادة (طيس).
(٧) ديوانه: ١٠٧؛ وتفسير الطبري: م١٤، ج٢٩: ٢٥٤. والبيت من المتقارب.
(٨) ينظر ديوان الاعشى: ١٠٧؛ ومجمع البيان: ٢٣٢/١٠.

في قوله تعالى: ((وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرا))[١] أي إنّ ذلك اليوم كان طويلًا وممتداً وفاشياً ويقال استطار الصدع أو استطال في الزجاجة إذا امتد، وكما أسلفنا في البيت الثاني من قول الأعشى[٢]، وقال الزمخشري في معنى المستطير كان ((فاشيا منتشرا بالغا أقصى المبالغ من استطار الحريق واستطار الفجر وهو من طار بمنزلة استنفر من نفر))[٣].

المور:

((مار جرى، ومار يمورُ مَورًا إذا جعل يذهب ويجيء ويتردد))[٤]. افتتح الأعشى إحدى قصائده بمقدمة غزلية، وبعد أن بين أوصاف محبوبته بأنها بيضاء البشرة وطويلة الشعر انتقل إلى وصف مشيتها فقال:

كأنَ مُشيتها مِنْ بيتِ جارَتِها مَورُ السحابِ لا ريثٌ ولا عجلُ[٥]

والمور هو التكفؤ والترهيل في المشي أما الريث فهو الإبطاء والتمهل في السير[٦]، والطبري وظف قول الأعشى في تفسير قوله تعالى: ((يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاء مَوْراً)) [٧]، وهو وصف للسماء وما ستؤول إليه في نهاية الحياة الدنيا أي أنها تدور وتكفأ، والمعنى

---

(١)الانسان: من الآية ٧.
(٢) ينظر: تفسير الطبري: م١٤، ج٢٩: ٢٥٤.
(٣) تفسير الكشاف: ١١٦٥.
(٤) لسان العرب: م٨: ٤٠٠، مادة (موخ).
(٥) ديوانه: ١٧٤؛ وتفسير الطبري: م١٣، ج٢٧: ٢٧. والبيت من البسيط.
(٦) ينظر: تفسير الطبري: م١٣، ج٢٧: ٢٧؛ وديوان الأعشى: ١٧٤.
(٧) الطور: ٩.

الآخر ما أسلفنا ذكره هو أن المور التكفؤ والترهيل في أثناء السير[١]، وقيل أنّ المور هو ((الجريان السريع))[٢].

النشر:

النشر الإحياء ويقال ((نشر الميت لاغير : أحياه)) [٣]، ويبدو أنّ نحر محبوبة الأعشى ذو تأثير بالغ في النفوس، فبعد ما أسلفنا من ذكر الشاعر أن الميت لو أسند إلى نحر محبوبته لرجعت الحياة إليه فقال:

لو أُسندَ ميتًا إلى نَحرِها عاشَ ولم يُنقل إلى قابرِ[٤]

ويستمر الأعشى بغزله بنحر محبوبته فيقول:

حتّى يقولُ الناسُ ممّا رأوا يا عجبًا للميتِ الناشرِ[٥]

وأراد الشاعر أن الميت الذي يتكئ على رقبة محبوبته ونحرها سوف يحيى هو بنفسه وتعود الحياة إليه، ويتعجب الناس من الميت الذي قد بعث من القبر[٦]، واستشهد واستشهد الطبري بالبيت في قوله تعالى: **((ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ))** [٧]، وبيّن أن الميت (إذا شاء الله أنشرهُ بعد مماته وأحياه، يقال: أنشر الله الميت بمعنى أحياه، ونَشَرَ الميتُ بمعنى حيي بنفسه)) [٨]، وأشار الأعشى إلى هذا المعنى في البيت، وقيل إنّ المراد من أنشره بمعنى ((أنشأهُ النشأة الآخرى)) [٩].

---

(١) ينظر: تفسير الطبري: م١٣، ج٢٧: ٢٧.
(٢) مفردات ألفاظ القرآن: ٧٨٣.
(٣) لسان العرب: م٨: ٥٥٢، مادة (نشر).
(٤) ديوانه:١١٣. وتفسير الطبري: م١٥، ج٣٠: ٧١. والبيت من السريع.
(٥) المصدر نفسه: ١١٣؛ وتفسير الطبري: م١٥، ج٣٠: ٧٢. والبيت من السريع.
(٦) ينظر: ديوان الأعشى:١١٣.
(٧) عبس:٢٢.
(٨) تفسير الطبري: م١٥، ج٣٠: ٧٢.
(٩) الكشاف: ١١٨٠.

٤. ملمح التعالق في غرض الحكمة:

الائتمار:

الائتمار هو ((قبول الأمر ، ويُقال للتشاور : ائتمار لقبول بعضهم أمر بعض))[١].

في دعوة إلى ترك إثارة كثرة الشكوك والجدل وما حل بعامة الناس من اختلاف، يقول النمر بن تولب[٢]:

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن: ٨٩.

(٢): النمر بن تولب بن أقيش بن عبد الله بن كعب بن عوف، (طبقات فحول الشعراء:١/١٥٩).

أرى الناسَ قد أحدثوا شيمةً وفي كـلّ حادثـة يؤتـمرُ[١]

والشبهة :الخلق، وأراد أنهم أحدثوا أمورا لم تُعرف من قبل، وشكوكًا في السياسة والعقائد وغيرهما، أما الائتمار فهو التشاور والتداول للمراء والجدل[٢].هذا المعنى الذي استنبطه الطبري في معنى (يأتمرون) في قوله تعالى : ((وَجَاء رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ))[٣]، مبينًا أن الائتمار هو التآمر والتشاور، حيث اجتمع الأشراف والرؤساء الذين عند فرعون لقتل موسى (عليه السلام)، ولكنه خرج من المدينة بعد ما جاءه رجل ناصح له، وساق له أن القوم يتشاورون ويرتؤون فيك، وأراد النمر بن تولب في يؤتمر معنى أن يتشاور ويرتأي فيها[٤].

الأمر:

مهما تكن قوة ابن آدم وشدته فإن مصيره إلى الضعف والوهن، وإلى النقصان والزوال، وهذا المعنى يشير إليه لبيد بن ربيعة في بيت من أبياته فيقول:

إنْ يُغبَطُوا يُهبَطُوا وإن أُمِرُوا يومًا يصيروا للقلّ والفَنَدِ[٥]

والغبط هنا إنهم يكونون بحال يغبطون عليها، أما أمروا أي فإنهم كثروا واشتدوا، ويقال أمر بنو فلان أي أنهم ازدادوا وولدت نعمهم، ويطلق على ضعف الرأي عند

(١) شعر النمر بن تولب : حققه الدكتور نوري حمودي القيسي، مطبعة المعارف، بغداد:٥٦؛ تفسير الطبري: م١١، ج٢٠: ٦٦. والبيت من المتقارب.
(٢) ينظر: شعر النمر بن تولب: ٥٦.
(٣) القصص:٢٠.
(٤) ينظر: تفسير الطبري: م١١، ج٢٠: ٦٦.
(٥) شرح ديوانه: ١٦٠، ووردت لفظة (يصبروا للهلاك والنكد) بدل لفظة (للقتل والفند)، تفسير الطبري: م٩، ج١٥: ٧٤. والبيت من المنسرح.

الهرم الفند [١]، وفي قوله تعالى : ((وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً))[٢]، استشهد الطبري ببيت لبيد بن ربيعة ليدل على أن معنى (أمرنا) في الآية الكريمة هو (أكثرنا)، ((والعرب تقول للشيء الكثير :أَمَرَ لكثرته، فأما إذا وصف القوم بأنهم كثروا فإنه يقال: أمر بنو فلان، وأمر القوم يأمرون أمرا، وذلك إذا كثروا وعظُمَ أمرهم))[٣]، وفي قراءة الحسن (عليه السلام) ((آمرنَا ورويَ عنه أَمرنا قال: ورُويَ عنه أنه بمعنى أكثرنا))[٤].

الأوّاب:

الأواب ((الرجوع، آب إلى الشيء رجع))[٥]. وفي ذكر الموت يقول عبيد بن الأبرص:

وكلّ ذِي غَيبةٍ يؤُوبُ وغائبُ المَوتِ لا يَؤُوبُ[٦]

وأراد الشاعر أن كلّ غائب يعود إلا من أتته منيته وغيبه الموت، فإنه لا يعـود، والطبري وظف البيت في تفسير قوله تعالى: ((فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُوراً))[٧]، وفي معنى الأوابين آراء عدّة منها الأواب المسبّحون أو المطيعون المحسنون أو هم المصلون بين المغرب والعشاء أو المؤدون صلاة الضحى، وقيل إنّ الأواب هو العبد الذي يتذكر ذنوبه ثم يتوب إلى الله، وأرجح الأقوال في الآية أن الأواب هو التائب من ذنوبه وراجع من المعصية إلى طاعة الله وقول عبيد دليل على هذا المعنى، وهو من آب فلان من كذا بمعنى أنه إما عاد من سفره إلى منزله، أو تغير حاله من حال إلى آخر[٨].

(١) ينظر: شرح ديوان لبيد: ١٦٠؛ وينظر: مجمع البيان: ٢٦٧/٦.
(٢) الاسراء:١٦.
(٣) تفسير الطبري: م٩، ج١٥: ٧٤.
(٤) لسان العرب: م١: ٢١٣، مادة (أمر).
(٥) المصدر نفسه: م١: ٢٦٦، مادة(أهن).
(٦) ديوانه: ١٣؛ تفسير الطبري: م٩، ج١٥: ٩٢. والبيت من مخلّع البسيط.
(٧) الاسراء: من الآية ٢٥.
(٨) ينظر: تفسير الطبري: م٩، ج١٥: ٨٨-٩٢.

الحرض:

تطلق كلمة الحرض على الشيء الذي ((لا يعتد به ولا خير فيه ولذلك يقال لما أشرف على الهلاك : حَرضَ)) [١].

حال الإنسان في هذه الدنيا وما سيصير إليه من كبر وضعف يصفه لنا امرؤ القيس:

أَرَى المَرْءَ ذَا الأذوادِ يُصبِحُ مُحرِضَاً كَإحراضِ بَكرٍ فِي الدِّيارِ مَرِيضِ[٢]

والبكر هو الصغير من الإبل هو أقل تحملاً للمرض لعمره الصغير ونقصان القوة فيه أما الاحراض فهو من الحرض والمُحْرِضَ الذي أنحل المرض جسمه وذهب بقوته[٣]، وفي البيت أشار إلى وهن الإنسان وضعفه بتقدم عمره، ولقد عبر القرآن الكريم على لسان أولاد يعقوب (عليه السلام) (بالإحراض) في وصف حال أبيهم لما سيكون عليه من الوهن والضعف قال الله تعالى : ((تَفْتَؤُا تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ))[٤].

وأورد الطبري البيت دليلاً على معنى الإحراض في الآية الكريمة مبينًا أنه الجهد في المرض البالي أو هو ما دون الموت[٥] وآراء أخرى، وبطبيعة الحال هذا مصير الإنسان. قال الإمام علي (عليه السلام): ((أما المرء في الدنيا غرضٌ تتصل فيه المنايا، ونهب تبادره المصائب، ومع كل جرعة شرق وفي كل أكلة غَصص، ولا ينال العبد نعمة إلا

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن: ٢٢٨.
(٢) ديوانه:٧٧؛ تفسير الطبري: م٨،ج١٣: ٥٥. والبيت من الطويل.
(٣) ينظر: ديوان امرئ القيس: ٧٧.
(٤) يوسف: ٨٥.
(٥) ينظر: تفسير الطبري: م٨،ج١٣: ٥٣.

بفراق أخرى ولا يستقبل يومًا من عمره الا بفراق آخر من أجله فنحن أعواننا المنون وانفسنا نصب الحتوف...))(١).

سأم:

والسأمة هي ((الملالة مما يكثر لبثه فعلا كان أو انفعالا))(٢). من الشعراء الذين عمّروا وطال بهم العمر الشاعر لبيد بن ربيعة فقد قيل أنه عاش مائة وعشر سنين(٣).

وعند طول العمر تجتاح الإنسان الأمراض والعلل مما يدفع ذلك إلى الملل من الحياة وتمني الموت في بعض الأحايين، وأشار لبيد إلى هذا المعنى. فقال:

ولقدْ سَئِمتُ مِن الحياةِ وطُولِها وَسؤالِ هَذا الناسِ: كَيفَ لبيدُ؟(٤)

والسأم الملل، وتمثّل الطبري بهذا البيت وذلك في معرض تفسيره لقوله تعالى: ((وَلَا تَسْأَمُوٓاْ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ)) (٥)، والمقصود بذلك (الدّين)، والله تعالى يبين أن لا يضـــجر الإنسان أو يمل من كتابة الحق سواء أكان هذا الحق صغيرا أم كبيرا، وبمعـنى أن لا تملوا أن تكتبوا الشهادة على الحق إلى أجل الدين ومدته (٦)، ((ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓاْ)) (٧)، وأقسط أعدل، (عند الله وأقوم) أي أثبت (للشهادة وأدنى الا ترتابوا) أي أن لا تشكوا في مقدار الدين وأجله(٨).

---

(١) نهج البلاغة، وهو ما جمعه السيد الشريف الرضي من خطب ووصايا وكتب وكلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع)، شرح محمد عبده، مؤسسة الصفاء للمطبوعات، بيروت، لبنان، دار الكتاب العربي، بغداد، ط١، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م: ٤/ ٤٧١.
(٢) مفردات ألفاظ القرآن: ٤٣٨.
(٣) ينظر: تجريد الأغاني: تأليف إبن واصل الحموي (ت ٦٩٧هـ) تحقيق د. طه حسن، وابراهيم الإبياري، مطبعة مصر، القاهرة، ١٣٧٦هـ ١٩٥٧م، ق٢، ج١: ١٦٦٩.
(٤) شرح ديوانه: ٣٥؛ تفسير الطبري: م٣، ج٣ : ١٦٩. والبيت من الكامل.
(٥) البقرة: ٢٨٢.
(٦) ينظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز:٦٥؛ وينظر: تفسير الطبري: م٣، ج٣: ١٦٩-١٧٠.
(٧) البقرة: ٢٨٢.
(٨) ينظر: تفسير القرآن الكريم: السيد عبد الله شبر: ٨٤ .

وفي ذات السياق نجد أن زهيرًا أرهقه العمر وأتعبته السنوات الثمانين التي قضاها من حياته مع مشاق الحياة وتكاليفها، وقد صرح بذلك بقوله:

سئمتُ تَكاليِفَ الحَياةِ وَمَنْ يَعِشْ   ثَمَانينَ حَولًا لا أبا لَكَ يَسأمِ(١)

وأظهر زهير في هذا البيت ((حكمة الرجل المجرب للحياة الذي ذاقها وخبرها وعاش في خضمها ثم امتد به العمر فزهدها وانصرف عنها)) (٢).

الطود:

((الطود: الجبل العظيم))(٣). وفي أبيات من الحكمة يذكر الأسود بن يعفر(٤) الأقوام الأقوام السالفة الذين صرعهم الزمان قال:

حلَّوْ بأنقرةَ يَسِيلُ عَلَيْهِمُ   مَاءُ الفُراتِ يَجِيءُ مِن أطوادِ(٥)

وأنقرة هي بلدة بالحيرة قريبة من الشام ويسيل عليهم ماء الفرات، أما الأطواد فهي الجبال، والأطواد جعلها الله (سبحانه وتعالى) لقوم موسى (عليه السلام) لينجيهم من قوم فرعون(٦)، فقال تعالى بعد أن تراءى القومان، وظن موسى (عليه السلام) ومن معه أن قوم فرعون لحقوا بهم وسيقتلونهم، أمر الله موسى أن يضرب البحر فقال (تعالى):

((فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ))(٧)،

فصارت كل قطعة منفصلة من الماء كـ (الطود) الجبل(٨).

---

(١) شرح ديوانه: ٣٥؛ تفسير الطبري: م٣، ج٣: ١٦٩. والبيت من الطويل.
(٢) شرح ديوان زهير:٣٥.
(٣) لسان العرب: م٥: ٦٥٨، مادة (طود).
(٤) الأسود بن يعفر بن عبد الأسود بن جندل، (طبقات فحول الشعراء:١٤٣/١).
(٥) المفضليات: ٢١٧، وورد لفظة (أنزلوا) بدل لفظة (حلوا) ؛ تفسير الطبري: م١١، ج١٩: ٩٧. والبيت من الكامل.
(٦) ينظر: المفضليات:٢١٧.
(٧) الشعراء:٦٣.
(٨) ينظر: تفسير الطبري: م١١، ج١٩: ٩٦-٩٧. ومختصر الميزان: ٤٣٢.

الردى:

لم يقيد الله (سبحانه وتعالى) موت الإنسان بزمن معين أو مكان، بل جعل ذلك محض إرادته ومشيئته بأي زمن أو مكان يختاره لموته أو هلاك لإنسان، هذا المعنى أشار إليه الأعشى بقوله:

أفِي الطّوافِ خِفتِ عليّ الرَّدَى وَكَمْ مِن رَدٍ أهلَهُ لَم يرمِ[١]

والردى الهلاك، أما الريم فهو البراح، ولم يرم أي لم يبرح مكانه، وأراد الأعشى أفي الأسفار تخاف عليّ الموت والهلاك!، وكم من إنسان مات على فراشه، ولم يترك الأهل والوطن، ولكن جاءته منيته عندما أرادها الله (سبحانه)[٢]، الطبري وظّف البيت في تفسير قوله تعالى: ((**وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَاسِرِينَ**))[٣]، في معنى أرداكم ويعني بها ((أهلككم: يقال منه: أردى فلانا كذا وكذا، إذا إذا أهلكهُ، ورديَ هو إذا هلك فهو يردى ردى)) [٤]، ومعنى الآية ((ظنكم الذي ظننتم بربكم أنه لا يعلم كثيرا مما تعملون أهلككم، إذ هون عليكم أمر المعاصي وأدى بكم إلى الكفر، خسرتم الجنة وحصلتم على النار، قال الصادق (عليه السلام): ((ينبغي للمؤمن أن يخاف الله خوفًا كأنه مشرف على النار، ويرجوه رجاءً كأنه من أهل الجنة، إن الله تعالى يقول: ((**وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ**)) الآية، ثم قال: إن الله عند ظن عبده به إن خيرا فخير، وإن شرّا فشر))[٥].

العرم:

---

(١) ديوانه: ٢٢٥؛ تفسير الطبري: م١٢، ج٢٤: ١٣٤، والبيت من المتقارب.
(٢) ينظر: مجمع البيان:١٥/٩.
(٣) فصلت:٢٣.
(٤) تفسير الطبري: م١٢، ج٢٤: ١٣٣-١٣٤.
(٥) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٦٣٧-٦٣٨.

معنى العرم، قال أبو حنيفة الأحباس التي تبنى داخل الأودية[١]. وفي أبيات له أراد الأعشى أن يكوّن سبأ أسوة لمن أئتسى بهم فقال:

فَفِي ذَلِكَ للمؤتسي أسوةٌ   ومآربُ عَفَى عَلَيْها العَرِمْ

رُخامٌ يَنتهُ لَهمُ حميـــرٌ   إذا جَاءَهُ ماؤُهمُ لَمْ يَرمْ[٢]

وأهل سبأ في اليمن من الأقوام التي أنعم الله عليها من التي لا تحصى ولا تعد ((وكان من كثرة النعم أن المرأة كانت تمشي والمكتل على رأسها فيمتلئ بالفواكه من غير أن يمس يدها شيئاً))[٣] ولكنهم أعرضوا عن طاعة الله (ﷻ) وقد أرسل إليهم ثلاثة عشر نبياً فكذبوا الانبياء وكان في سبأ جبلان يجتمعان فيهما الماء فعمدوا أهل سبأ إلى سد ما بين الجبلين بالقير والحجارة وجعلوا على الجبلين أبواباً يأخذون الماء ما احتاجوا

إليه ولكفرهم وعصيانهم أغرقهم الماء وسمي سيل العرم[٤]، وأورد الطبري البيت في معنى العرم في قوله تعالى ((**فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ**) [٥]، والمقصود بالعرم هو المبناة التي تحبس الماء، واحدها عرمة وذكر أن العرم بنته بلقيس (عليها السلام)[٦].

العضل:

((عضل المرأَة عن الزوج: حبسها))[٧]. قال أوس بن حجر في الأخوة الصادقة :

:

وَليسَ أخُوكَ الدَّائِمُ العَهدِ بالّذي   يَذُمـُّــك إنْ وَلّى وَيُرضِـــيكَ مُقبِلا

(١) لسان العرب: م٦: ٢١٤، مادة (عرم).
(٢) ديوانه: ٢٢٦؛ تفسير الطبري م١٢، ج٢٢ : ٩٧. والبيتان من المتقارب.
(٣) النور المبين في قصص الانبياء والمرسلين، السيد نعمة الله الجزائري، مؤسسة النبراس للطباعة والنشر والتوزيع، العراق، النجف الاشرف ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م : ٣٢٤.
(٤) ينظر تفسير الطبري م١٢، ج٢٢ : ٩٧-٩٨، وقصص الأنبياء : ٣٢٤.
(٥) سبأ: من الآية ١٦.
(٦) ينظر المصدر نفسه م١٢، ج٢٢ : ٩٧.
(٧) لسان العرب:م٦: ٣٠٣، مادة (عضل).

ولَكنّهُ النّـائي إنْ كُـنتَ آمناً وصَاحُبكَ الأدنَى إذا الأمرُ اعْضَلا [١]

إنّ الأخ الذي هو دائم العهد من أن يكون بعيداً عنك وأنت آمن وقريب منك إذا ضاقت بك الامور، وأعضلت وأصل العضل الضيق والشدة[٢]، أورد الطبري البيت فـي معنى العضل في الآية الكريمة ((وَإِذا طَلَّقْتُمُ النِّسَاء فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذا تَرَاضَوْاْ بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ))[٣]، مبينًا أن ((أصل العَضْل الضيق، ومنه قول عمر عمر

(رضي الله عنه) ((وقد أعضل بي أهل العراق لا يرضون عن والٍ، ولا يرضى عنهم والٍ)) يعني بذلك حملوني على أمر ضيق شديد لا أطيق القيام به ومنه أيضاً : الداء العُضال وهو الداء الذي لا يطاق علاجه لضيقه عن العلاج وتجاوزه حد الأدواء التي يكون لها علاج))[٤]، ومن آراءه في العضل ((عضلت المرأة : إذا نشب الولد في رحمها فضاق عليه الخروج منها))[٥] وساق قول أوس دليلاً على ذلك. وذكر الطبرسي أن ((العضل: العضل: الحبس ، وقيل : هو مأخوذ من المنع وقيل هو مأخوذ من الضيق الشدة والأمر المعضل الممتنع بصعوبته وعضلت الناقة فهي مقّضلة إذا أحتبس ولدها في بطنها وعضلت الدجاجة : إذا احتبس بيضها، ونقول عضلت المرأة يعضلها عضلا إذا منعها من التزويج ظلماً))[٦].

المُسحَّر:

(١) ديوانه: ٩٢، وورد في الديوان جملة (ولكن أخوك التالي ما دمت آمنا) بدل جملة (ولكنه التالي إن كنت آمنا)؛ تفسير الطبري، م٢، ج١: ٦٤٦، والبيتان من الطويل.
(٢) ينظر: ديوان أوس بن حجر:٩٢.
(٣) البقرة : من الآية ٢٣٢.
(٤) تفسير الطبري: م٢، ج٢ : ٦٤٦.
(٥) المصدر نفسه: الصفحة نفسها.
(٦) مجمع البيان: ٢/ ١٤٣.

في قصيدة تذكر بها لبيد الرجال من قومه ومن سادات الأقوام عند العرب، ومتأملا الموت وضعف الإنسان عند اقتراب أجله، إذ قال في خطابه لعاذلة له:

فإن تسألينَا فِيمَ نَحْنُ فإنَنَا عَصَافِيرُ مِنْ هَذا الأنامِ المُسحّرِ[١]

وشبه لبيد الإنسان بالعصفور كناية عن ضعفه ، وقلة تحمله لمصاعب وبلايا الحياة، أما المسحّر فأراد به الذي يعلل نفسه بالطعام والشراب ومتقلل منه[٢]، وتطلق لفظة (سَحْر) على الرئة، ويقال للرجل (مُسحّر) إذا جَبُنَ وانتفخ سحْرهُ، وكل من يأكل ويشرب من الإنسان وغيره فهو مسحُورٌ ومسحّر، وهذا المعنى الذي ذكره لبيد في بيته واستصوب الطبري هذا الرأي وعدّه غيره من الآراء بعيدة عن الصواب[٣] في تفسير قوله تعالى: **((إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُوراً))** [٤]، بمعنى له رئة ويأكل الطعام ويشرب. والذي عدّه الطبري أصوب الآراء.

الآراء.

وذكر الراغب الأصفهاني في الآية يطلق على الإنسان أنه مسحَّر إشارة ويُرادُ بـــه ((تنبيها أنه محتاج إلى الغذاء كقوله تعالى : **((وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ))**[الفرقان/٧]، ونبه أنه بشركما قال: **((مَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا))**[الشعراء/١٥٤]، وقيل معناه ممن جعل له سحر يتوصل بلطفه ودقته إلى ما يأتي به ويدعيه))[٥].

النَفل:

(١) شرح ديوانه: ٥٦؛ تفسير الطبري: م٩، ج١٥: ١٢٠. والبيت من الطويل.
(٢) ينظر: شرح ديوان لبيد:٥٦ .
(٣) ينظر: تفسير الطبري: م٩، ج١٥: ١٢٠.
(٤) الاسراء:٤٧.
(٥) مفردات ألفاظ القرآن:٤٠١.

((النَفل بالتحريك الغنيمة والهبة))[١]، فمن أفضل الأعمال للإنسان تقوى الله، ولبيد بن ربيعة لا يغفل عن هذا المعنى في الدعوة إلى تقوى الله والإيمان به، فقال:

إنّ تَقوَى ربَّنا خَيرُ نَفْلٍ   وبِإذنِ اللهِ رَيْثِيَ وَعَجَل[٢]

والنفل جاء استعماله عند العرب بمعنى الزيادة على الشيء، وأنفلتك بمعنى زدتـــك، أما الريث فهو المصدر من رثتُ أريث بمعنى أبطأت[٣]، وورد ذكر الأنفال في قوله تعالى: **((يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ))**[٤]، وبين الطبري أن الأنفال ((هي زيادات يزيدها الإمام بعض الجيش أو جميعهم، أما من سهمه على حقوقهم من الغنيمة، واما مما وصل إليه بالنفل أو بعض أسبابه، ترغيبا له وتحريضًا لمن معه من جيشه على ما فيه صلاحهم وصلاح المسلمين))[٥]، وأصل الأنفال ((مأخوذة من مادة نفل على زنة نفع، ومعناها الزيادة، وإنما سميت الصلوات المستحبة نافلة لأنها زيادة على الصلاة الواجبة، وكذلك يطلق على الحفيد نافلة لأنه زيادة في الأبناء، ويطلق لفظ نوافل على من يهب المزيد من العطاء، وإنما سميت غنائم الحرب أنفالا أيضًا لأنها كمية من الأموال الإضافية التي تبقى دون صاحب، وتقع في أيدي المقاتلين دون أن يكون لها مالك خاص، أو لأن المتقاتلين إنما يتحاربون للانتصار على العدو لا للغنائم، فالغنيمة أو الغنائم موضوع إضافي يقع في أيديهم)) [٦].

الهدى:

---

(١) لسان العرب: م٨: ٦٥٨، مادة (نفك).
(٢) شرح ديوانه: ١٧٤؛ تفسير الطبري: م٦، ج٩: ٢١٣، والبيت من الرمل.
(٣) ينظر: شرح ديوان لبيد: ١٧٤.
(٤) الأنفال: ١.
(٥) تفسير الطبري: م٦، ج٩: ٢١٣.
(٦) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٥/٢٢٠.

تُسيّر ساق الإنسان قدمهُ وتورده موارد مختلفة، منها ما يكون عملا مرضيًّا عند الله سبحانه وتعالى، ومنه ما يكون على النقيض من ذلك، حيث تقود الساق القدم إلى الأعمال السيئة والمحرمات ولذلك لا بد من التأكيد على طلب الهداية والتوفيق من الله سبحانه وتعالى، وعند طرفة بن العبد ورد المعنى في هداية الساق القدم، فقال في صورة مجازية من شعره:

لَعِبَتْ بَعْدِي السِّيُولُ بِهِ   وَجَرَى فِي رَيقٍ رَهْـمُهُ
لِلفَتَى عَقــلٌ يَعِيْشُ بِــه   حَيْثُ تَهْــدِي سَاقُهُ قَدَمه[١]

وتوارد هذا المعنى عند المفسرين في تفسير قوله تعالى: ((اهدِنَـا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ))[٢]، وزعم بعض المفسرين معنى الآية ((سلكنا طريق الجنة في المعاد أي قدمنا له وامض بنا إليه، كما قال جلّ ثناؤه ((أحشُروا الذينَ ظَلَمُوا وَأَزوَاجَهم وَمَا كَانوا يَعْبُدونَ ﴿٢٢﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إلى صِرَاطِ الْجَحِيمِ))[٣]، أي أدخلوهم النار كما تُهدى المرأة إلى بيت زوجها يعني بذلك أنها تدخل إليه، وكما تهدى الهدية إلى الرجل وكما تهدي الساق القدم))[٤]، و((الهادي الدليل لأنه يقدم القوم، وهداه أي تقدمه))[٥].

٥- ملمح التعالق في غرض الفخر:

الأصفاد:

الصفد هو ((الوثاق والاسم الصَّفاد والصِّفاد حبل يوثق به أو غلّ))[٦]، وفي بيت من من أبيات معلقته ، عمرو بن كلثوم يقول مفتخرا ببني تغلب:

---

(١) ديوانه:٧١، ٧٣. تفسير الطبري: م١، ج١: ٩٣. والبيتان من مجزوء المديد.
(٢) الفاتحة: ٥.
(٣) الصافات:٢٢-٢٣.
(٤) تفسير الطبري: م١، ج١: ٩٣.
(٥) لسان العرب: م٩: ٦٢، مادة (هدى).
(٦) لسان العرب: م٥: ٣٤٧، مادة (صفد).

فآبُوا بِالنِّهَابِ وَبِالسَبَايَا   وأُبنا بالمُلُوكِ مُصَفَّدِينَا[١]

فآبوا من الإياب ومعناه الرجوع، والنهب الغنائم، والسبايا هي ((النهب وأخذ الناس عبيدا وإماءً))[٢]، والأصفادُ جمعٌ مفردهُ صفد، وهو الغل الذي يوضع في الأيدي والأرجل، والمعنى رجع بنو بكر من الحرب بالغنائم والسبايا، أما نحن فأسرنا الملوك وصفدناهم بالحديد أي وثقناهم وقيدناهم[٣]، وقوله تعالى: ((وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ))[٤]، أي ((قرنت ايديهم وارجلهم إلى رقابهم بالأصفاد وهي الوثاق من غل وسلسلة، واحدها صفد يقال منه صفدته في الصفد صفدا وصفادا والصفاد القيد))[٥].

الإعراض:

يقال : ((عرض له أمر كذا أي ظهر، وعرضت عليه أمر كذا وعرضت له شيء أي أظهرته له وبرزته إليه))[٦].

يفتخر عمرو بن كلثوم التغلبي باليمامة وهي مدينة تقع على مسافة عشرة أيام من البحرين فيصفها بأنها ارتفعت في أعيننا وشبه ظهور قراها بظهور أسياف سلت من أغمادها وبأيدي رجال[٧] فقال:

فأعْرَضَتِ اليَمَامَةُ واشْمَخَرّتْ   كأسْيَافٍ بِأيدِي مُصلِتِينَا[٨]

(١) ديوانه:٩٧؛ تفسير الطبري: م٨، ج١٣: ٣١٨ . والبيت من الوافر.
(٢) لسان العرب: م٤: ٤٨٧، مادة (سبى).
(٣) ينظر: ديوان عمرو بن كلثوم:٩٧. شرح المعلقات السبع:١١٢.
(٤) ابراهيم: ٤٩.
(٥) تفسير الطبري: م٨، ج١٣: ٣١٧-٣١٨.
(٦) لسان العرب: م٦: ١٨٠، مادة (عرض).
(٧) ينظر: ديوانه: ٦٦-٦٧.
(٨) ديوانه: ٦٦؛ تفسير الطبري: م٩، ج١٦: ٤٦. والبيت من الوافر.

وأعرض الشيء ظهر، وعرضت ظهرت أي ظهرت قراها وهي مرتفعة، وتبينت مثلما تبين السيوف، أما المصلت فهو الشاهر السيف، والله (سبحانه وتعالى) في يوم النفخ في الصور يظهر جهنم حتى يراها الكافرون ويعاينوها[١]، فقال تعالى: ((وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضاً))[٢].

أَنْظِرْنَا :

يخاطب عمرو بن كلثوم التغلبي أبا هند مفتخرا بقومه فيقول:

أبَا هِنْدٍ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْنَا وأنظرنا نخبّرك اليقينا[٣]

والمعنى ((لا تعجل علينا بالوعيد، وأنظرنا أي آخرنا))[٤]، سنخبرك من علو شرفنا شرفنا ومكانتنا، وفي قوله تعالى: ((يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ))[٥]،

و(أنظرونا) بهذا اللفظ موصولة بمعنى انتظرونا، و(انظرونا) بمعنى آخرونا، واستشهد الطبري بقول عمرو بن كلثوم على المعنى الثاني، وهو انتظرنا ابا هند قليلا وسوف نعلمك عن قوتنا وشجاعتنا في الحرب وعند قتال الأعداء[٦].

---

(١) تفسير الطبري: م٩، ج١٦: ٤٦.
(٢) الكهف: ١٠٠.
(٣) ديوانه:٦٦؛ تفسير الطبري:م١٣، ج٢٧: ٢٧٦، والبيت من الوافر.
(٤) ديوانه:٦٦.
(٥) الحديد:١٣.
(٦) ينظر: تفسير الطبري: م١٣، ج٢٧: ٢٧٦.

الإهراع:

((الهرع والهُراع شدة السوق وسرعة العدو))[١]. يفخر المهلهل بقومه وبنصرهم في الحرب على أعدائهم، الذين جاءوا مسرعين وهم مأسورون بعد أن تغلب قومهم عليهم وقادوهم على رغم انوفهم وهم مكرهون على ذلك فقال:

فَجَاءُوا يُهْرَعُونَ وَهُمْ أُسَارَى نَقُودُهُم عَلى رَغْمِ الأُنُوفِ[٢]

وجاءوا يهرعون بمعنى جاؤوا ((أسارى يساقون ويعجلون))[٣]، وفي قوله تعالى : **((وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُواْ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ))**[٤]، ويهرعون في الآية إنهم كانوا مسرعين في المشي مما يبغونه من طلب الفاحشة ، وهو مما قصده المهلهل في أسرى أعدائه، ومما يستشهد به في الآية من إهراع قوم لوط[٥].

التسويم:

السومة هي ((العلامة، وسوم الفرس جعل عليها السمة))[٦]، الفخر عند العرب دار بمعانٍ كثيرة منها فخرهم بالشجاعة، وإكرام الضيف، والأخلاق الطيبة، وغيرها من المعاني التي قصدوها ، أما لبيد بن ربيعة فيفتخر بخيله المسومة ويصفها بقوله:

وَغَداةَ قَاعِ القَرْنَتَينِ اَتَيْتُهُمْ زَجلًا يَلوُحُ خِلَالَها التَّسْوِيمُ[٧]

---

(١) لسان العرب: م٩: ٧٨، مادة (هرض).
(٢) ديوانه:٥١؛ تفسير الطبري: م٧، ج١٢: ١٠٣. والبيت من الوافر.
(٣) لسان العرب: م٩: ٧٨، مادة (هرض).
(٤) هود: ٧٨.
(٥) تفسير الطبري: م٧، ج١٢: ١٠٣.
(٦) لسان العرب: م٤: ٧٥٨، مادة (سوم).
(٧) شرح ديوانه: ١٣٣؛ تفسير الطبري:م٣، ج٣: ٢٦٤. والبيت من الكامل.

والغدوة هي أول اليوم أو النهار، ومن الصفات التي تطلق على الأرض بأنها قاع أي ذات الطين الحر، والقرنتين موضع حدثت فيه معركة لغطفان على بني عامر التي يفخر بها لبيد وأتيتهم، أي أتتهم الخيل متتابعة ويظهر في وسطها التسويم صفة للخيل، أي معلمة بعلامة(١)، ومنه قوله تعالى: ((زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ))(٢)، وكانت العرب ((تُعلِّم الخيل لإبراز جمال هيكلها ورشاقتها، أو لمعرفة أنها مدربة ومعدة للركوب في ميادين القتال)) (٣)، وقيل إنّ إنّ ((الخيل الحسان معلمة بأعلام الله اياها من الوأنها وشياتها وهيئاتها))(٤).

الرّحمن:

قال سلامة بن جندل مفتخرا بنصر قومه:

عَجِلْتُمْ عَلَيْنَا حِجّتَيْنِ عَلَيْكُم   ومَا يَشَا الرّحْمنُ يَعقِدْ وَيُطلِقِ(٥)

والحجتان هما السنتان اللتان كانتا وبالا على الأعداء ومذكرا إياهم بالهزيمة في يوم مروت وملزق، وسلامة هنا يعزو النصر إلى الله الذي يصرف الأمور(٦)، رد الطبري بهذا البيت على من زعم أن لفظة (الرحمن) في قوله تعالى: ((الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ))(٧)، غير عربية فقال : ((زعم بعض أهل الغباء أن العرب كانت لا

(١) ينظر: شرح ديوان لبيد:١٣٣.
(٢) ال عمران:١٤.
(٣) تفسير الأمثل في كتاب الله المنزل: ٢٥٧/٢.
(٤) تفسير الطبري: م٣، ج٣: ٢٦٤.
(٥) الاصمعيات:٩٦. تفسير الطبري: م١، ج١٠: ٧٣. والبيت من الطويل.
(٦) ينظر: الأصمعيات: ٩٣، ٩٦؛ وينظر: منتهى الطلب من أشعار العرب:١٨٣.
(٧) الفاتحة:٣.

تعرف الرحمن، ولم يكن ذلك من لغتها، ولذلك قال المشركون للنبي ((ﷺ)): **(وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا)** ، إنكارا منهم لهذا الاسم، كأنه كان محالا عنده أن ينكر اهل الشرك ما كانوا عالمين بصحته))[١]، ورد الطبرسي على ذلك أيضا فقال ((وما حكي عن ثعلب أن لفظة (الرحمن) ليست بعربية، وإنما هي ببعض اللغات مستدلا بقوله تعالى : ((**قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ**)) [٢]، إنكارا منهم لهذا الاسم ليس بصحيح لأن هذه اللفظة مشهورة عند العرب موجودة في أشعارها))[٣]، وعدّ قول سلامة بن جندل دليلا قاطعا على هذا الرأي.

الرسو:

أرسى الشيء ثبت، ورست السفينة بمعنى بلغ قعرها الماء، وثبتت ولا تتحرك[٤].

والفرار من ساحة الحرب من الخصال السيئة التي يبغضها الفارس الشجاع في المعركة وان منية الإنسان إذا جاءت لا ينفعه الفرار من الحرب، وعنترة يفتخر بشجاعته وأنه لا يهرب من المعركة، بل إن نفسه رست في ساحة القتال فقال:

فَصبرْتُ نَفْسًا عِنْدَ ذَلِكَ حُرَّةً   تَرْسُو إذا نَفْسُ الجَبَانِ تطَلُّعُ[٥]

الرسو : الثبات، أما التطلع فإن الأصل تتطلع وأراد هنا معنى الاضطراب، وعنترة في البيت مفتخرا أنه شجاع وذو نفس عالية تثبتُ في الحرب، بينما يتطلع الجبان إلى الفرار من الحرب والإرساء يطلق على إمساك السفينة بما تقف عليه، ويقال للسفينة:

---

(١) تفسير الطبري: م١، ج١٠: ٧٣.
(٢) الفرقان: ٦٠.
(٣) مجمع البيان: ٢٩/١.
(٤) ينظر: لسان العرب: م٤: ١٤٥، مادة (رسا).
(٥) ديوانه: ٤٩؛ تفسير الطبري: م٧، ج١٢: ٥٧. والبيت من الكامل.

أرساها الله فرست[١]، وهي سفينة نوح (عليه السلام)، وأورد الله (سبحانه وتعالى)هذا المعنى للرسو فقال تعالى: ((**قَالَ ارْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ اللّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا**))[٢]، واستدل الطبري بهذا المعنى، وذكر قراءة من قرأ (مجرها ومرساها) بفتح الميم من جرى وارسأ وجعل هاتين الصفتين للفُلك[٣]، وأرى أن من المضامين المهمة في الآية هو إرشاد العباد إلى ذكر اسم الله سبحانه وتعالى في كل شيء.

الريح:

من معاني الريح إنها تأتي ((بمعنى الغلبة والقوة)) [٤]. ويوم النعف من المعارك التي خاضها ((بني أسد)) وهم قوم الشاعر عبيد بن الأبرص فقال مفتخرا بقومه:

كَمَا حَمَيْنَاك يَوْمَ النَّعْفِ مِنْ شَطِبٍ ... والفَضْلُ لِلْقَوْمِ مِنْ رِيْحٍ وَمِنْ عَدَدِ[٥]

والنعف هو ((ما انحدر من غلظ الجبل وارتفع مـــن مجرى السيل))[٦]، والشطـــب والشطـــب

الجبل، أما الريح فهي القوة والغلبة والدولة، والله لا يريد للمؤمنين أن يختلفوا ويتنازعوا لأن ذلك يذهب قوتهم وبأسهم فقال: ((**وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ**

---

(١) ينظر: مجمع البيان:٣٠٦/٥.
(٢) هود:٤١.
(٣) ينظر: تفسير الطبري: م٧، ج١٢: ٥٧.
(٤) لسان العرب: م٤: ٢٨٦، مادة (روح).
(٥) ديوانه:٣٣؛ تفسير الطبري:م٦،ج١٠: ٢٢. والبيت من البسيط.
(٦) لسان العرب: م٨: ٦١٨، مادة (نعف).

رِيحُكُمْ))[١]، ويتضح مدلول الريح في الآية وفي البيت، إذ يعني القوة والكثرة، والمراد من المخاطبين أن لا يتفرقوا لكي لا يدخلهم الخلل والضعف والوهن[٢].

السُّنن:

قوم سنت أسلافهم كسب المعالي واغتنامها هم قوم لبيد بن ربيعة الذي يفتخر بهم:

مِنْ مَعْشَرٍ سَنَّتْ لَهُمْ آبَاؤُهُم وَلِكُلِّ قَوْمٍ سُنّةٌ وإمَامُهَا[٣]

وللسُّنة معانٍ عديدة منها: الطريق، ومنها الأمر الواضح، ويشير الشاعر إلى أن قومه من معشر سن لهم آباؤهم سنة، مبينا أن الأفعال والشرف فيهم متقدم ولكل قوم وملة سنة، ولا بد لكل إمام من سنة يؤتم بها[٤]، والسنن ((جمع سُنة، والسنة : هي المثال المتبع والامام المؤتم به يقال منه: سنّ فلان فينا سنة حسنة وسن سنة سيئة: إذا عمل عملا اتبع عليه من خير و شر))[٥]، واستدل الطبري بقول لبيد على معنى السنة في قوله تعالى: ((قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي الأَرض فَانْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ))[٦].

والله (سبحانه وتعالى) يبين للناس أنهم ألم يسيروا في الأرض وينظروا كيف سلط الله عذابه على الأمم والأقوام التي كفرت بالله وكذبت أنبيائه (عليهم السلام))[٧].

(١) الأنفال:٤٦.
(٢) ينظر: تفسير الطبري:م٦، ج١٠: ٢٢؛ وينظر: ديوان عبيد:٣٣.
(٣) شرح ديوان لبيد: ٣٢٠؛ تفسير الطبري: م٣، ج٤: ١٢٧. والبيت من الكامل.
(٤) ينظر: شرح القصائد العشر: التبريزي: ٣١١؛ وينظر: شرح المعلقات السبع : الزوزني:٩٩.
(٥) تفسير الطبري: م٣، ج٤: ١٢٧.
(٦) ال عمران:١٣٧.
(٧) ينظر: تفسير الطبري: م٣، ج٤: ١٢٦.

الصلد:

الصلد هو الحجر، ويقال: ((صَلْدٌ وصَلود بيّن الصلادة والصّلود صلب أملس))(١).
تأبط شرًّا يفتخر بصفة من الصفات التي يتفآخر بها الناس وهي الجود:

وُلَسْتُ بِحَلْبٍ جَلْبِ رَعدٍ وَقِرّةٍ وَلا بِصَفَا صَلْدٍ عَنْ الْخَيْر أعْزَلِ(٢)

(والجلب) هو السحاب، الذي لا ماء فيه، و(القرة) البرد، والصفا الصلد، الحجر الأملس الصلب وهو في البيت ينفي أنْ يكون سحاب جلب أي لا ماء فيه، ولا بصخر صلبٍ ، إنما هو جواد كريم، ويقال للقدور السميكة التي تغلي ببطء قدور صلود، والله يصف الأعمال التي يعملونها رياءً وهي لغير الله، ولا يؤمنون باليوم الآخر كمثل حجارة ملساء عليها تراب فسقط مطر شديد عليها فصارت صـــــلدة، والصلد الذي ليس عليه نبات ولا غيره، ولا ينبت فيها شيء(٣)، فقال تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاء النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ))(٤).

الضنك:

الضنك هو ((الضيق من كل شيء))(٥)، ويقال للرجل ضنيك بمعنى ((ضعف في جسمه ونفسه ورأيه وعقله))(٦)، اجتمعت بنو عبس بقيادة قيس بن زهير، وغزت بني

---

(١) لسان العرب: م٥: ٣٧٥، مادة (صلد).
(٢) شعره: ١٤٠؛ تفسير الطبري: م٣، ج٣: ٨٦. والبيت من الطويل.
(٣) ينظر: تفسير الطبري: م٣، ج٣: ٨٥-٨٦.
(٤) البقرة: ٢٦٣.
(٥) لسان العرب: م٥: ٥٣٥، مادة (ضنك).
(٦) المصدر نفسه: م٥: ٥٣٥، مادة (ضنك).

تميم فَهُزِمَتْ عبسُ، وكان من بين عبس عنترة بن شداد الذي جمع الناس واستمر بالقتال ولم ينهزم، فساء قيس ذلك وقال عندما رجع الناس: ما حقن دماء الناس إلا ابن السوداء[١] يعني عنترة، فبلغ القول عنترة الذي رد على قيس وقال مفتخرًا:

إنْ يَلْحَقُوا أكْرُرْ وإنْ يَستلْحَمُوا أشْدُدْ وانْ يَنزلُوا ضَنكًا أنْزِلِ[٢]

وأراد عنترة بذلك أن لا أفر من معركة، بل أكر واستمر في القتال، واستشهد الطبري بعجز البيت في قوله تعالى: ((وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى))[٣]، ومعيشة ضنكا أي ((معيشة ضيقة والضنك من المنازل والمعايش الشديد، يقال: هذا منزل ضنكٌ إذا كان ضيقًا))[٤]، وتعددت الآراء في المعيشة الضنكة فقيل هي النار، وقيل هي الرزق في معصية، وقيل الكسب الخبيث ، وذهب رأي إلى أن المعيشة الضنكة هي معيشة من وسع الله عليه من الحرام، وقيل أيضا هي العمل الخبيث والرزق السيء، بينما ذهب البعض إلى أنه عذاب القبر والبرزخ[٥]، وأميل إلى هذا الرأي لأننا نجد في الحياة من الذين أعرضوا عن الله ربما نالوا معيشة واسعة في الدنيا وجاءت لهم الدنيا برمتها في حياة سعيدة.

الغرام:

الغرام هو ((اللازم من العذاب والشر الدائم))[٦]. ومن أيام حروب العرب التي حدثت في الجاهلية يوم النسار وهي معركة كانت بين بني أسد وأحلافها، وبين بني عامر ، وفيها انتصر بنو أسد وقتلوا بني عامر مقتلة شديدة، وسميت بالنسار لأنها حدثت في موضع يسمى بـ

(١) ينظر: ديوانه: ٦٧.
(٢) ديوانه:٦٨؛ تفسير الطبري: م٩، ج١٦: ٢٨١. والبيت من الكامل.
(٣) طه: ١٢٤.
(٤) تفسير الطبري: م٩، ج١٦: ٢٨١.
(٥) ينظر: المصدر نفسه: م٩، ج١٦: ٢٨١-٢٨٢.
(٦) لسان العرب: م٦: ٦١٤: مادة (غرم).

(النسار) وهو جبل صفار، أما يوم الجفار فكان على رأس حول من يوم النسار، وكان بين بني أسد وأحلافها وبين بني تميم وفيها انتصر بنو أسد(١)، ومن فرسان بني أسد وشجعأنها الشاعر بشر بن أبي خازم الأسدي والذي قال مفتخرا بانتصارات قومه في المعركتين:

وَيَومَ النَّسَارِ وَيَومَ الجِفَا ... ر كَانَا عِقَابًا وَكَانَا غَرَاما(٢)

والغرام أشد أنواع العذاب ومصداق ذلك دعاء العبد أن يصرف عنه عذاب جهنم لأنه عذاب غرام قال تعالى: ((الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً))(٣)، والعقاب المهلك يسمى غراما، وللكافرين عذابٌ دائم لا مفك ولا مهرب منه(٤).

المكاء:

((المكاء مخفف الصفير))(٥)، ففي خطاب عنترة لحبيبته عبلة قال مفتخرا في معلقته الزاخرة بقيم البطولة، والشجاعة، وحبه سمو أخلاقه، وفضائله، ومناقبه:

وَحَلِيلُ غَانِيةٍ تَرَكْتُ مُجَنْدَلَا ... تَمْكُو فَرِيْصَتُهُ كَشَدْقِ الأَعْلَمِ(٦)

والحليل: الزوج أو البعل ، والغانية الشابة الحسناء ، وذكر الزوزني في معنى (الغانية) أنها المتزوجة من النساء التي غنيت بزوجها عن الرجال، وقال هي غير المتزوجة والمقيمة في بيت والدها، ويقال غني بالمكان إذا أقام فيه، وفي قول آخر قال: التي يعجبها الرجال وتعجب الرجال، والمجندل هو المصروع على الأرض،

---

(١) ينظر: ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي: الشهير بالسويدي، وضع حواشيه كامل مصطفى الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٤، ٢٠٠٩م:٤٤٧-٤٤٨.

(٢) ديوانه: ١٩٠. ووردت لفظة (عذابا) بدل (عقابا)؛ تفسير الطبري: م١١، ج١٩: ٤٥. والبيت من المتقارب.

(٣) الفرقان:٦٥.

(٤) ينظر: تفسير الطبري: م١١، ج١٩: ٤٥.

(٥) لسان العرب: م٨: ٣٤٣، مادة (مكا).

(٦) ديوانه:٨٢؛ وتفسير الطبري: م٦، ج٩: ٢٩٩. والبيت من الكامل.

وتمكو أي تصفر[١]، أما الأعلم فهي ((صفة للجمل المشقوق الشفة العليا))[٢]، وأراد عنترة بقوله: رُبّ زوج امرأة جميلة استغنت عن التزيين لجمالها قتلت زوجها وجعلته مجندلا على الأرض، وكانت فريصته تصفر بانصباب الدم مثل شدق الأعلم[٣]، عنترة جعل صفة المكاء وهو الصفير صفة لصوت انصباب الدم لمقتوله، والله تعالى جعل هذه الصفة لصلاة المشركين عند المسجد الحرام فقال تعالى: ((وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً))[٤]، والمكو ((أن يجمع الرجل بين كفيه ثم يدخلهما في فيه ثم يصيح))[٥].

ولقد تميزت امرأة لوط (عليه السلام) بهذه الصفة، ولقد سئل الإمام الحسين (عليه السلام) ((كيف كان يعلم قوم أنه قد جاء لوطا رجال؟ قال: كانت امرأته تخرج فتصفر ، فإذا سمعوا التصفير جاءوا فلذلك كره التصفير))[٦]، أما التصدية فهي ((التصفيق تفعله من الصدى الصدى

أو من صد يصد))[٧].

الهُون:

(١) شرح المعلقات السبع للزوزني: ١٢٤.

(٢) أروع ما قيل في الفخر:٢٨.

(٣) ينظر: شرح المعلقات السبع:١٢٥.

(٤) الأنفال: ٣٥.

(٥) تفسير الطبري: م٦، ج٩: ٢٩٩.

(٦) علل الشرائع: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (٣٨١هـ) قدم له محمد طارق بحر العلوم العلوم ، مؤسسة العطار الثقافية ، النجف، العراق: ٧٤٢.

(٧) تفسير الكشاف: ٤١٢.

الهُون بضم الهاء هو الخزي[١]. صورة من صور الفخر عند ذي الأصبع العدواني[٢]، وهي أن امه لم ترعَ المخاض وهي الحوامل من النوق، وهذه المهنة لا يمارسها إلا من احتقر وما له من مكانة في المجتمع الجاهلي فقال:

أذْهَب إليك فما أُمِّي بِراعِيةٍ تَرعَى المَخاضَ لا أُعضِي عَلى الهُونِ[٣]

والهون بضم الهاء معناه الهوان، وبهذا المعنى يكون نقيضا للعز، أما بفتح الهاء الرفق والوقار والسكينة[٤]، ومنه قوله تعالى: ((وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا))[٥]، والمعنى الأول هو الذي يصرف إليه في الهون في قوله تعالى : ((اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وبما كنتم عن آياته تستكبرون)) [٦]، وعذاب الهون عذاب جهنم الذي فيه الكافرون[٧].

٦. ملمح التعالق في غرض الهجاء :

(١) ينظر: لسان العرب: م٩: ١٦٥، مادة (هون).

(٢) هو حرثان من عدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان كان جاهليا وتسمى ذا الاصبع لأن حية نهشته في اصبعه فقطعها (الشعر والشعراء: ٦٩٧/٢).

(٣) ديوان ذي الأصبع العدواني: حرثان بن محرث (ت ٢٢ او ٢٥ ق.هـ) ، جمعه وحققه عبد الوهاب محمد علي علي العدواني ومحمد نائف الدليمي، ساعدت وزارة الاعلام على نشره، مطبعة الجمهور، الموصل، ١٩٧٣م ـ ١٣٩٣هـ : ٩٣. وورد في الديوان لفظة (عنى اليك) بدل (أذهب اليك) ولفظة (ولا رأيي بمقبول) بدل لفظة (عضي على الهون) . تفسير الطبري: م٥، ج٧: ٣٤٥. والبيت من البسيط.

(٤) ينظر: لسان العرب: م٩: ١٦٦، مادة (هون).

(٥) الفرقان:٦٣.

(٦) الأنعام:٩٣.

(٧) ينظر: تفسير الطبري: م٥، ج٧: ٣٤٤-٣٤٥.

جاء:

((جاء يحيى جئته ومجيئاً والمجيء كالإتيان لكن المجيء أعمَّ)) [١] ، لقد داب العرب في عرفهم وتقاليدهم على حماية من استجار بهم ولجأ إليهم، ولكن بني غليب لم يثمنوا هذا، فبعد أن سكن عندهم رجل من بني عبد الله من غطفان وبسبب لعبة القمار التي نهوا عنها فرحل عنهم وشكا ما صنعوا به إلى زهير بن ابي سلمى الذي هجاهم[٢] قائلاً:

وَجَار شَارَ مُعتَمِداً إليكُمْ أجَاءَتهُ المَخَافةُ والرَّجَاءُ [٣]

ومعنى أجاءته أي صيره وألجائه الخوف من غيركم وكان له رجاء فيكم[٤].

وساق الطبري البيت في تفسير قوله تعالى: ((فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا))[٥].

الجد:

ويراد به الحظ والعظمة[٦]. قال حاتم الطائي:

أُغْزُوا بَنِي ثُعَلٍ فالغَزْوُ جدكم عُدُّوا الروابِي وَلَا تَبْكُوا لِمَنْ قُتِلَا[٧]

والروابي مفرد رابية أي بني ثعل عدوا الأصل والشرف والحسب[٨] أما الجد في قول حاتم فالغزو جدكم فهو وصف لذي الحظ ويقال رجل جدي وجديد أي أنه ذو حظ وهذا ما أورده الطبري[١] في قوله تعالى: ((وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا))[٢].

---

(١) مفردات الفاظ القرآن : ١٢١.

(٢) ينظر: ديوان زهير بن ابي سلمى، اعتنى به وشرحه حمدو طماس، دار المعرفة، بيروت ، لبنان، ط٢، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م: ٩.

(٣) المصدر نفسه :١٤؛ وورد في الديوان لفظة(جار سار) بدل (جار شار)، تفسير الطبري، م٩، ج١٦ :٨٨، والبيت من الوافر.

(٤) ينظر: ديوانه زهير: ١٤؛ وشرح ديوان زهير بن ابي سلمى:٩٩.

(٥) مريم: ٢٣.

(٦) ينظر لسان العرب: م٢: ٤٨، مادة (جدد).

(٧) ديوان حاتم الطائي: ٣٩؛ تفسير الطبري: م١٤، ج٢٩. والبيت من البسيط.

(٨) ينظر : ديوان حاتم: ٧٤.

وأورد الزمخشري هذا المعنى ايضاً واضاف إلى معنى الحظ والبخت معنى آخر وهو الدولة فقال في قوله تعالى: ((جد ربنا)) أراد بذلك ((عظمته)) في قولك جد فلان في عيني أي عظم، وفي حديث عمر (رضي الله عنه) : كان الرجل منا إذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا وروي في أعيننا أو ملكه أو سلطانه أو غناه استعاره من الجد الذي هو الدولة والبخت لان الملوك والأغنياء هم المجددون والمعنى وصفه بالتعالي عن الصاحبة والولد لعظمته أو لسلطانه أو لملكوته أو لغناه))[٣].

الختار:

الختر: شبيه الغدر والخديعة وقيل ((هو الخديعة بعينها)) [٤]. الغدر والختر صفتان سيئتان هجا بهما عمرو بن معد يكرب الزبيدي الملك فروة بن مسيك المرادي الصحابي الجليل الذي ولاه النبي محمد (ﷺ) على اليمن[٥] فقال عمرو فيه:

وَاِنّكَ لَوْ رَأيْتَ أبَا عُمَيْرٍ مَلأتَ يَديكَ مِنْ غَدرٍ وَخَترٍ[٦]

والغدر ترك لوفاء أما الختر فهو أقبح الغدر ويسمى صاحب الختر ختار[٧] وفي قوله تعالى: ((وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ))[٨]، والختار عند أغلب أهل التأويل في الآية الكريمة هو الغدار[٩] .

القرض:

(١) ينظر: تفسير الطبري: م١٤، ج١٩: ١٢٨.
(٢) الجن: الآية: ٣.
(٣) تفسير الكشاف :١١٤٥.
(٤) لسان العرب: م٣: ٢٣، مادة (ختعر).
(٥) ينظر: ديوان عمرو بن معد يكرب الزبيدي: ١٠٥.
(٦) المصدر نفسه: ١٠٥؛ تفسير الطبري: م١١، ج٢١: ١٠٣. والبيت من الوافر.
(٧) ينظر لسان العرب: م٣: ٢٣، مادة (ختعر).
(٨) لقمان: من الآية ٣٢.
(٩) ينظر تفسير الطبري: م١١، ج٢١: ١٠٤.

يقصد بالقرض هو ما ((يتجازى به الناس بينهم ويتقاضونه وجمعه قروض وهو ما أسلفه من إحسان ومن إساءة))(١).

بعد أن نشأ الشنفرى أسير فداء في بني سلامان بن مفرج توعدهم أن يقتل مائة رجل ونفذ وعده، وقتل منهم تسعة وتسعينَ رجلًا من بينهم حرام بن جابر قاتل أبيه(٢) فقال الشنفرى في هجائه لهم:

جَزَيْنَا سَلامَانَ مِن ابنِ مَفْرَجٍ قَرْضَهَا   بِـمَا قَدّمَـتْ أيدِيْـهِمْ وأزَلَّـتِ(٣)

أراد أنه جزى سلامان بن مفرج تعاملها معه ومنهم قاتل أبيه وجزاء له بالمثل ما فعلوا معه وأزلت بمعنى ما قدمت أيديهم(٤).

واستشهد الطبري ببيت الشنفرى بتبيان معنى لفظة القرض ((وهي ما تعطيه غيرك ليقضيكه وأصله القطع فهو قطعة عن مالكه بإذنه على ضمان رد مثله وتقول تقول: لي عندك قرض صدق وقرض سوء إذا فعل به خيراً أو شراً))(٥) وذكر الله القرض فقال تعالى: ((مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً))(٦) والقرض لله قرضاً حسناً يضاعفه الله بالإنفاق في سبيله(٧).

القمل:

من المعتاد في شعر الهجاء أن يبحث الشاعر عن ابشع العيوب وأرذلها في المهجو

---

(١) لسان العرب: م٧: ٣١٤، مادة (قرصطن).
(٢) ينظر المفضليات: ١٠٨.
(٣) المصدر نفسه: ١١٢؛ تفسير الطبري، م١٣، ج٢٧: ٢٧٤، والبيت من الطويل.
(٤) ينظر: المفضليات: ١١٢.
(٥) مجمع البيان: ٤٣٥/٩.
(٦) الحديد: ١١.
(٧) ينظر تفسير الطبري، م١٣، ج٢٧: ٢٧٤.

ليعيره بها، وفي هجاء الأعشى لبني إياد وهي قبيلة عدها الشاعر من النبط ((الاعاجم)) وليست من العرب؛ لأنها سكنت البطائح وكان أبناؤها مع الفرس في واقعة ذي قار[١] ومن أبياته :

قَوماً يُعالِجُ قُمَّلاً أبناؤُهم   وَسَلاسلاً أُجُداً وَباباً مُوصَداً [٢]

يقصد الشاعر إلى أن القمل منتشر في أبدانهم وبالقيود التي كانت توثقهم وأوصاد الابواب أي في إغلاق الابواب عليهم، ومن العقوبات الربانية التي جعلها الله لقوم فرعون معصيتهم وتكذيبهم موسى(عليه السلام) أرسل عليهم الماء الغالب وكــــذلك الحشـرات ومنها القمل فقال تعالى: ((فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ))[٣] ، وذكر البعض من اهل العلم من اهل البصــــرة إن القمل نوع من القردان يسمى الحمنان فوق القمقامة وهي دابة تأكلها الإبل تشبه القمل، وذهب بعض المفسرين إلى ان القمل الدبي صغار الجراد، وذهب بعض قال إنها اولاد الجراد وآخرون قالوا أنها بنات الجراد[٤].

النفي:

يقال ((نفي الرجل عن الأرض ونفيته عنها: طردته))[٥]. النفي يعني الطرد والأصل فيه هلاك المنفي بالإبعاد، والنَّفي ما تطاير من الماء عن الدلو[٦]، وجعل الله النفي جزاء من يحارب الله ورسوله (صلى الله عليه وسلم) ويسعى في الأرض فسادًا فقـــال:

---

(١) ينظر ديوان الأعشى: ٧٣.
(٢) المصدر نفسه:٧٣؛ تفسير الطبري : م٦،ج٩: ٤٣. والبيت من الكامل.
(٣) الاعراف: ١٣٣.
(٤) ينظر تفسير الطبري:م٦،ج٤٢:٩-٤٣. والبيت من الطويل.
(٥) لسان العرب: م٨: ٦٦١، مادة (نفى).
(٦) ينظر: مجمع البيان: ٣٧٧/٣.

((إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الأَرْضِ)) [١]، وأثبت أوس بن حجر ((النفي)) في أبيات من هجائه لبني لبينى فقال:

يُنْفَوْنَ مِنْ طُرقِ الكِرَامِ كَمَا   تَنْفِى المَطَارِقُ مَا يَلِي القَرَدُ [٢]

وأراد بهذا أنهم مبعدون من ساحة الكرام لانهم ليسوا أهلاً لهذه الصفة ولا يمتلكونها وعني بالمطارق ((جمع مطرقة: وهي عصا النجاد التي يضرب بها الصوف والقطن، والقرد ما تمعط من الوبر والصوف وتلبد)) [٣]. وفي النفي في الآية آراء منها ما ذهب الشافعي والإمامية إلى أن ينفى من بلد إلى بلد آخر حتى يتوب ويرجع، بينما رأي أبي حنيفة هو الحبس والسجن [٤]

---

(١) المائدة: جزء من الآية ٣٣.
(٢) ديوانه: ٢٢؛ تفسير الطبري، م٤، ج٦: ٢٨٥. والبيت من الكامل.
(٣) المصدر نفسه: ٢٢.
(٤) ينظر تفسير الطبري،:٤، ج٦:٢٨٤-٢٨٥؛ والوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ١٤٨؛ ومجمع البيان: ٣٨٠/٣.

٧. ملمح التعالق في غرض الرثاء:

الاعتذار:

في أبيات من الرثاء يرثي بها لبيد بن ربيعة نفسه ـ وهو يحتضر ـ ويوصي ابنته فيقول:

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبكِ حولا كاملا فقد اعتذر[(١)]

ولبيد يوصي ابنته أن تبكيه حولا كاملا والحول يطلق على السنة، فإذا بكته عاما كان ذلك كافيا، والعرب تصرف في كلامها الاعتذار إلى الأعذار، لذا تكون ((أعذر بمعنى أعتذر اعتذارا يعذر به، وصار ذا عذر منه)) [(٢)]، وبهذا المعنى استشهد الطبري بالبيت في تفسير قوله تعالى : ((وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ))[(٣)]، وجاء عند العرب : اعتذر فلان يعني أعذر[(٤)]، والمعذرون في قوله تعالى : ((هم أهل العذر، كالذي لا يجد نفقة ولا سلاحا))[(٥)]، وقد قُرأت المعذرون ((بالتثقيل هم الذين لا عذر لهم، ولكن يتكلفون عذرا، وقرئ (المعذرون) بالتخفيف وهم الذين لهم عذر))[(٦)].

الريب:

يراد به ((الشك والظنة والتهمة))[(٧)]. قال ساعدة بن جوية الهذلي في وصف قوم قد قتلوا رجلاً فذهب صاحباه إلى أمه وهما يبكيانه ويرثيانه بعد أن رأى كلاهما صاحبهما قد قتل بعد أن حاصره القوم[(٨)]:

---

(١) شرح ديوان لبيد: ٢١٤؛ وتفسير الطبري: م٦، ج١٠: ٢٦١..والبيت من الطويل.
(٢) لسان العرب: م٦: ١٤٣، مادة (عذر).
(٣) التوبة: من الآية ٩.
(٤) ينظر: تفسير الطبري:م٦، ج١٠: ٢٦١.
(٥) مختصر الميزان:٢٤٤.
(٦) لسان العرب: : م٦: ١٤٣، مادة (عذر).
(٧) المصدر نفسه:م٤: ٣١٤، مادة (روى).
(٨) ينظر: منتهى الطلب في أشعار العرب: ١٧٦/٩.

فقالوا: تركْنا الحيَّ قدْ حَصِرُوا بِهِ　　　　فلا رَيبَ أنْ قَد كَان ثمّ لَحيمُ[١]

وحصروا به بمعنى ضاقوا به، واللحيم هو المقتول والمستلحم هو الذي يقع في موضع ثم لا يستطيع الخروج منه[٢]، وأشار صاحبهما المقتول بقولهم لا ريب: أي لا شك أن صاحبهم قد قتل. والطبري أراد هذا المعنى في تفسير قوله تعالى: ((ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ))[٣]، وتفسير ((لا ريب فيه)) بمعنى لا شك فيه، وجاء ببيت ساعدة دليلا على رأيه[٤]، وأن الريب في الآية مصدر رابني إذا حصل فيك فيك الريبة، وحقيقة الريبة قلق النفس واضطرابها))[٥].

الصعق:

يقال للإنسان صعق إذا ((غُشيَ عليه وذهب عقله من صوت سمعهُ كالهدّة الشديدة))[٦]. يرثي لبيد بن ربيعة بحزن ولوعة يرثي أخاه أربد الذي قيل إنّ النبي محمدًا (ﷺ) دعا عليه بعد أن أراد أربد أن يغدر به فاستجاب الله دعوة نبيه فأرسل عليه صاعقة فأحرقته[٧]، فقال فيه لبيد:

أخشَى على أربَدَ الحُتوفَ　　　　ولا أرهبُ نَوءَ السِّماكِ والأُسدِ

فَجَّعَنِي البَرقُ والصّواعقُ　　　　بالفارس يَومَ الكريهةِ النجْـدِ[٨]

الحتوف جمع حتف وهو الأجل والموت، أما السماك والأسد فهما برجان في السماء، ولا أرهب النوء أي النجم وسقوطه، اما الفجيع فهو العظيم أي فجعني الأمر العظيــم

(١) منتهى الطلب في أشعار العرب:١٧٧/٩، ؛ تفسير الطبري: م١، ج١: ١٢٨. والبيت من الطويل.
(٢) ينظر: منتهى الطلب في أشعار العرب: ١٧٧/٩
(٣) البقرة:٢.
(٤) ينظر: تفسير الطبري: م١، ج١: ١٢٨.
(٥) ينظر: تفسير الكشاف: ٣٧.
(٦) لسان العرب: م٥: ٣٣٨، مادة (صعق).
(٧) ينظر: مجمع البيان: ٤٠٦/١٠.
(٨) شرح ديوانه:١٥٨؛ تفسير الطبري: م٨، ج١٣: ١٥٤. والبيتان من المنسرح.

بالفارس وهو أربد، والنجد الشديد، ويطلق النجد على البطل ذي النجدة ، والبيت تجسيد لشجاعة أربد[١]، ومن أنواع عذاب الله أن يرسل الصواعق لعقاب من يشاء، والطبري ذكر الصاعقة التي أصابت أربد لتكون مصداقا لقوله تعالى : ((وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ)) [٢]، ومن معاني الصواعق أنها ((أصوات الرعد، ويقال لها الصواقع أيضًا))[٣].

توقفت عن الكتابة متأملا رحمة الله بنا، وسألته أن يرحمنا بفضله ولا يعذبنا.

الغم:

ومنها غمة الأمر ((وتعني ((كُربهُ، يقال: غَمٌّ وغُمّة أي كرب وكربة))[٤]. تجد بعض النساء في إخوتهن وأولادهن جميع الخصال والصفات الحميدة ومن هذه النسوة الخنساء، التي ترى في أخيها (صخرًا) ما لم تره عند الرجال الآخرين وهي تغدق أوصافا كثيرة للمرثي منها:

وَذِي كَرِبة أرخَى ابنُ عَمرٍو خِناقَهُ وَغُمَّتُهُ عَن وَجهِهِ فَتَجلَّتِ[٥]

والمعنى يا ابن عمرو (صخر) كم فرجت عن خناق إنسان مخنوق فانكشف وجهه بعد اربداده أي بعد غمته، ونوح (عليه السلام) دعا قومه لعبادة الله فعصوه فطلب منهم أن يحكموا أمرهم ويطلبوا شركائهم ((ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً))[٦]، أي طلب

(١) ينظر: شرح ديوان لبيد: ١٥٨؛ وينظر: مجمع البيان: ٢٤/٦.
(٢) الرعد: من الاية ١٣.
(٣) ينظر: لسان العرب: م٥: ٣٣٨، مادة (صعق).
(٤) مفردات ألفاظ القرآن: ٤١٤.
(٥) الديوان:٢٨؛ وورد في الديوان لفظة (مختنق)) بدل من ((ذي كربة)، تفسير الطبري: م٧، ج١١: ١٧٧. والبيت من الطويل.
(٦) يونس: من الآية٧١.

منهم أن لا يكون أمرهم ملتبسا ومشكلا، والغمة هي إخفاء الشيء والقيام بتغطيته، ويقال للحزين مغموم لأن الغم يغطي قلبه، ويغم الهلال إذا حالت الغيوم دون أن يراه الناس، والأمر الغم الذي أشكل على صاحبه، وبيت الخنساء مصداقا على هذا المعنى الذي اختاره الطبري في بيان مراد الآية[١].

الكبد:

وتعني ((الكَبَد بالفتح وهي الشدة والضيق)) [٢]. وكما أسلفتُ سابقًا ، فلقد ترك رحيل أربد أثرًا في نفس الشاعر لبيد[٣] ونجده يرثيه بهذا البيت فيقول:

عينُ هلا بكيت أربد إذ　　　قمنا وقام الخصمُ في كبد[٤]

وتعددت آراء المفسرين في قوله تعالى: ((لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي كَبَدٍ))[٥]، بين الطبري أن

أن معنى الكبد في الآية هو الشدة وجعله أولى الآراء بالصواب بوصفه معروفا بهذا المعنى عند العرب، وقول لبيد شاهد على هذا المعنى[٦]، والدكتور احسان عباس أيضا استصوب في شرحه للبيت أن ((القيام على الأمر الشديد هو الكبد))[٧]، وذكر المفسرون آراء آخر لمعنى الكبد منها أن الإنسان خلق في السماء ومنها أنه خلق قائما ومعتدلا في القامة ومنها أنه خلق منتصب[٨].

---

(١) ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٢٥١/٦؛ وتفسير الطبري: م٧/ ج١١: ١٧٧.
(٢) لسان العرب: م٧: ٥٧٦، مادة (كبد).
(٣) ينظر: ٧١-٧٢، ١٦٢ من الرسالة.
(٤) شرح ديوانه: ١٦٠؛ تفسير الطبري: م١٥، ج٣٠: ٢٤٨. والبيت من المنسرح.
(٥) البلد: ٤.
(٦) ينظر: تفسير الطبري: م١٥، ج٣٠: ٢٤٨.
(٧) شرح ديوان لبيد: ١٦٠.
(٨) ينظر: تفسير الطبري: م١٥، ج٣٠: ٢٤٧-٢٤٨.

المبسل:

المبسِلُ ويُراد به ((الذي يقع في مكروه ولا مخلص له منه فيستسلم موقنا للهلكة))[١]. أسر بنو سلامان الشنفرى صغيرا وحاول النجاة منهم حتى هرب ثم انتقم منهم، وذكر المحققون في حياته رأيا آخر قالوا فيه أنه وُلد في بني سلامان وعاش صغيرا بينهم وهو لا يعلم أنه ليس منهم، إلى أن قال ذات يومٍ لابنة مولاه: ((إغسلي رأسي يا أخيّة))، فغضبت أن دعاها بأخته فلطمته، وعندما سأل عن سبب ذلك أخبروه بالحقيقة فكتم الشر لبني سلامان وحلف أن ينتقم منهم ويقتل مائة رجل، وفعل ذلك. فأراد بنو سلامـــان قتله وقالوا له أين نقبرك؟ فأجاب راثيا نفسه وهو في القبر[٢]:

هُناك لا أرجو حياةً تسُرّني سميرُ اللّيالي مبسَلًا بالجرائرِ[٣]

وسمير الليالي طولها، أما المبسل فهو المُسْلَم والجرائر الذنوب[٤]، الطبري ساق البيت في بيان معنى المبسل في قوله تعالى: ((وَذَكِّرْ بِهِ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ))[٥]، والمبسل والمبسل بجريرته هو من ارتهن بها، وسمي المبسل أنه محرم من كل شيء الا أنه مرهون بعمله وأسلم به، والله سبحانه أراد تذكير الذين يخوضون في آياته ومن سلك نهجهم من المشركين كي لا تبسل نفوسهم بذنوبها وكفرها ربها[٦].

الهمد:

تعصف الأمراض والعلل بالإنسان وترتسم على جسمه آثارها، والأعشى ساق هذا المعنى راثيا نفسه:

---

(١) لسان العرب: م١: ٤٢٢، مادة (بسل).
(٢) ينظر: ديوان الشنفرى: ١٠، ٤٨.
(٣) المصدر نفسه: ٤٨، تفسير الطبري: م٥، ج٧: ٢٩١، والبيت من الطويل.
(٤) ينظر : ديوانه: ٤٩.
(٥) الأنعام: جزء من الآية: ٧٠.
(٦) ينظر: تفسير الطبري: م٥، ج٧: ٢٩١.

قالت قتيلةُ ما لِجسمِكَ شَاحِبًا وأرى ثيابَك بَالِياتٍ هُمّدَا[١]

وهو في البيت يشير إلى أن حاله لا يسر الناظر، وأن ثيابه همد، ويقال للثوب ((يهمد همودا وهمدًا تقطع وبلى، وهو من طول الطي تنظر إليه فتحسبه صحيحا فإذا مسسته تناثر من البلى)) [٢]، واستشهد الطبري بالبيت في بيان مدلول الأرض الهامدة في قوله تعالى : ((**وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ**)) [٣]، وبين الطبري أن ((أصل الهمود الدروس والدثور، ويقال منه : همدت الأرض تهمد همودا)) [٤]، وفي لسان العرب أشار إلى أن الأرض الهامدة هي أرض ((جافة ذات تراب وأرض هامدة مقشعرة لا نبات فيها إلا اليابس المتحطم وقد أهمدها القحط))[٥].

(١) ديوانه:٧١، ووردت لفظة (سائبا) بدل (شاحبا)؛ تفسير الطبري: م١٠، ج١٧: ١٥٣. والبيت من الكامل.
(٢) لسان العرب: م٩: ١٣١، مادة (همج).
(٣) الحج: من الآية ٥.
(٤) تفسير الطبري: م١٠، ج١٧: ١٥٣.
(٥) لسان العرب: م٩: ١٣١، مادة (همج).

مدخل:

أولى العرب الشعر جل الأولوية، بل جعلوه صنعة لهم ((حتى لو أن قائلاً قال: إن العرب لم يكن لهم صناعة أو فن غير هذا الشعر لم يبعد عن الحقيقة والواقع كثيراً))[١].

ومع ما بلغنا من النتاج الشعري الجاهلي حاول البعض ان ينقص ويدني من أهميته بل منهم غالوا وذهبوا إلى أنّ جميع الشعر الجاهلي منحولٌ فيرى وليام مرسيه ((إنّ كل شيء في الأدب الجاهلي غير موثوق به فالتاريخ اعتباطي ونسبة الآثار إلى أصحابها مترجرجة وموضوعة بصورة تحكمية وصحة العدد الكبير من الأبيات بل القصائد يفتقر إلى الادلة))[٢].

ووجدنا لقول مرسيه تأييدا عند بعض الدارسين العرب من أمثال د. طه حسين الذي يرى أن الكثير من الأدب الجاهلي ليس جاهلياً ووجود أدب جاهلي قليل لا يمثل أو يدل على شيء[٣].

إن الكثير من النقاد المحدثين قد وقعوا ((في خطأ النظر إلى الأدب العربي من زاوية غريبة عنه، فكذلك عجز عن نقده القدامى، وقصرت بهم خطاهم عن الحكم الصائب والتقويم السليم لا اعتمادهم على قيم فنية ، ومعايير أدبية انحدرت إليهم من أممهم الأجنبية ، إن كانوا من الموالي، أو من بيئة المدينة المستقرة التي كانوا يضطربون فيها ويخضعون في ظلالها إلى تقاليد وانماط من العيش تختلف عما يضطرب فيه أبناء الصحراء اختلافا كثيراً))[٤].

(١) دراسات في نقد الأدب العربي من الجاهلية إلى نهاية القرن الثالث، د. بدوي طبانة، دار الطبع والنشر مكتبة الانجلو المصرية ، ط٤، ١٩٦٥م: ٤٣.
(٢) تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي . تاليف د. ريجيس بلاشير، تعريب ابراهيم كيلاني، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت: ١٨٢-١٨٣.
(٣) ينظر تاريخ الأدب العربي االعصر الجاهلي : شوقي ضيف: ١٧٠
(٤) مواقف الأدب والنقد : د. عبد الجبار المطلبي، دار الحرية للطباعة، بغداد ،١٤٠١هـ-١٩٨٠م: ٣١.

وبمقابل هذا التشكيك في الشعر الجاهلي انبرى الكثير من الدارسين للدفاع عن ذلك الشعر وقدموا أدلة وبراهين قاطعة تؤيد أصالته وعمقه منها عند دراسة المعلقات ((نجد فيها من الشخصية الفردية ما يكفينا للاستدلال على أن القصائد في معظمها من نظم الشعراء المنسوبة إليهم ، فالمعلقات السبعة مثلاً كلها قصائد ذات شخصية وخصائص واضحة وتعرض سبع شخصيات متميز بعضها من بعض التميز كله ونجد الأمر نفسه في القصائد الثلاثة المتبقية للأعشى والنابغة وعبيد التي عدها بعض النقاد من المعلقات، فلقد تركت شخصية امرئ القيس وزهير ولبيد والنابغة والأعشى طابعاً على شعرهم ومن جموح الخيال أن نظن أن معظم القصائد المنسوبة إليهم مصنوعة من عصر متأخر))[١]، فضلاً عن ((إن شعر القرن الأول الهجري يتضمن وجود هذا الشعر الجاهلي ويفترض سبقه عليه فقد استمر شعراء القرن الأول المشهورين : الفرزدق وجرير والأخطل وذو الرمة يتبعون تقليد الشعراء الجاهليين من غير أن تكون بينهم فجوة فضلاً عن أنهم ذكروهم في شعرهم))[٢].

فضلًا عن أن ما وصل إلينا من الشعر القديم ((مليء بألفاظ كانت غريبة على العلماء الذين كانوا أول من عرض هذا الشعر على محك النقد فقد كانت تنتمي إلى مرحلة لغوية أقدم من عصرهم))[٣]، وعلى الرغم من ما أثير من شكوك حول الشعر الجاهلي نجد أن القصيدة الجاهلية احتفظت بمكانتها وأن ((النظام الذي سارت عليه القصيدة العربية في العصر الجاهلي وما تلاه من قصور تعصب له كثير من النقاد وعلماء الأدب وعدوه الصورة المثلى التي ينبغي أن تأتي عليها القصائد العربية ومدحوا من التزم به وذموا من خرج عليه من الشعراء فالالتزام بهذا النهج سبب من اسباب التفوق بالشعر وسببا

---

(١) الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه: ٥٠.
(٢) المصدر نفسه: ٥٠.
(٣) المصدر نفسه: ٥١.

من أسباب الوصف بالأصالة بل عدوا هذا النهج الأساس الأول لمقياس الأصالة))[1].

وهذا كان مدعاة وسببًا مبرراً إلى سير بعض النقاد كالآمدي (ت ٣٧٠هـ) بنهج يرى أن شعر الأوائل هو النموذج الذي يجب السير على منواله، والاحتذاء به، وأخضع قيمة الشعر لميزان المطبوعين الذين ((يزنون به الشعر، فالشعر الجيد عندهم ما كان شبيهًا بشعر الأوائل وعلى طريقتهم ومنهجهم من حيث الإلمام بالمعاني من دون الاستقصاء مع جودة السبك وقرب المأتى واستوى طريقة الشاعر، وتقديم الشاعر وتفضيله يأتي بعد وضع شعره في هذا الميزان ويتم وزنه من خلال مقاييس عمود الشعر فكلما كان شعره قريباً من شعر الأوائل كلما رجحت كفته في الميزان وصار أولى بالتقديم والتفضيل من غيره))[٢] .

والذي وردنا من الشعر الجاهلي يدل بضرس قاطع ان هذا الشعر بلغ مستوى من النمو والرقي ولو نظرنا إلى المعلقات بوصفها أنموذجا من ذلك الشعر ((نستطيع أن نقرر انها كانت في نظر الشعراء والنقاد الصورة الكامنة للفن الشعري وأن أصحابها هم الأئمة المقتدى بهم في صناعة الشعر، وقد وصلت إلينا في شكلها الكامل على هذا النحو من انسياق النغم ، ووحدة القافية الذي أصبح أنموذجاً للشعر العربي يُهتدى به، ويُنسج على منواله شعراء العربية على اختلاف أزمانهم وأوطانهم))[٣].

ومما يدل على رقي ((تلك القصائد انها متنوعة الموضوعات متعددة الأغراض في القصيدة الواحدة وانها تعبر عن حياتهم، وعقليتهم، وتصور بيئتهم، وعواطفهم الفردية أو القبلية وكانت العرب تنظر إلى الشعر إذا اجتمعت له تلك الأوصاف نظرة الإعجاب به وبقائله))[٤].

(١) دراسات في أدب ونصوص الشعر الجاهلي:٢٦٦.

(٢) الموازنة بين ابي تمام والبحتري : تحليل ودراسة د. قاسم مومني، طباعة ونشر دار الشؤون الثقافية العامة (افاق عربية)، بغداد:٦٩.

(٣) دراسات في نقد الأدب العربي:٦٢.

(٤) دراسات في نقد الأدب العربي:٦٢-٦٣.

ومما تتقدم، يتبين أن الشعر الجاهلي يعد ((نموذجاً فنياً عالياً ومثالياً لجميع الأنماط الشعرية العربية المتطورة والأنواع العروضية الأخرى المبتكرة وما نظام البيت الشعري المستقل الا ابتكارٌ فنيٌ كنا قد تلقيناه عن الشعر القديم قبل الإسلام، وكذلك نظام المقطوعة ونظام القصيدة وظاهرة الوزن والقافية والمطلع والتصريع هذا بالنسبة لخصائصه الشكلية أو المظهر الخارجي للشعر العربي، واما الخصائص الشعر وأساليبه المتنوعة في افتتاحيات القصائد والأغراض أو الموضوعات والخاتمة وبعبارة أشمل وأدق النظام العام للقصيدة العربية))(١).

ولذا فالقصيدة الجاهلية تمثّل أسمى حالات الرقي، والمهد الأول للشعر، فلقد حوت القيم والجوانب الفنية كلها، والتي سار عليها الشعراء فيما بعد، وهذا الفصل يسلط الضوء كاشفًا عن بعض تلك القيم والجوانب، وبعضًا من الموروث الشعري الجاهلي، الذي ضمّنه الطبري في تفسيره.

(١) تاريخ الأدب العربي قبل الاسلام: ١٢٩.

أ. اللغة:

وظّف شاعر العرب اللغة الشعرية بعناية بالغة، وان هو لم ينتق أو يختر كلماته بشكل عفوي ولم يكن لينظمها بشكل اعتباطي وإنما كان يتعامل مع هذه المفردات بتمكن الحاذق الفهم فيما ينشده في شعره ويمنح تلك اللغة الشائعة في عصره طاقة ويغذيها بثروة هائلة من مشاعره وما توحيه تلك المشاعر من دلالات ورموز، وإن الشاعر الجاهلي كان يعتني بشعره منقحاً ومهذباً إياه بلغ به الحال ان تكون هذه المرحلة من العناية والتهذيب حولاً كاملاً ومثال ذلك شاعرنا زهير بن ابي سلمى. ولهذا أطلق على هؤلاء الشعراء بعبيد الشعر ويبدو أن الشعراء كانوا على دراية بأهمية اللفظ، وكما يراه ابن رشيق القيرواني (ت٤٥٦هـ) بأن عيبه يترك نقصاً في منظومة الشعر فقال عنه ((فإذا سلم المعنى واختل بعض اللفظ كان نقصاً للشعر وهجنة عليه كما يعرض لبعض الاجسام من العرج والشلل والعور وما أشبه ذلك، من غير أن تذهب الروح))[(١)].

ومثلما نظر ابن رشيق القيروانيّ إلى أنَّ الخلل في اللفظ يؤدي إلى أنْ يكون الشعر كالجسد الذي أصابته الأمراض وهذا المعنى جاء به عبد القاهر الجرجانيّ (ت٤٧١هـ) وهو ينص على أنَّ ذلك مرضًا أيضاً فقال: ((واعلم أنَّ الداء الدَّوِىَّ، والذي أعني أمرُه في هذا الباب، تخلَطُ من قدَّم الشعر بمعناه وأقلَّ الاحتفال باللفظ وجعل لا يُعْطيه من المزّية أنْ هو أعطى إلاَّما فَضَل عن المعنى))[(٢)]، وإنَّ الدارس للشعر الجاهلي يلتمس بوضوح عناية الشعراء الجاهليين في اختيار ألفاظهم وأن الشاعر في ذلك العصر بلغ ((رُقيّا لغوياً، وهو رقي لم يحدث عفواً فقد سبقته تجارب طويلة في غضون العصور الماضية قبل هذا العصر، وما زالت هذه التجارب تنمو وتتكامل حتى أخذت الصياغة الشعرية عندهم هذه الصورة الجاهلية التامة ، فالألفاظ توضع في مكانها والعبـــارات

(١) العمدة: ١٣١/١.
(٢) دلائل الاعجاز: ٢٥١-٢٥٢.

تؤدي معانيها بدون اضطراب)) [1].

ومن خلال الشعر الجاهلي استقرأنا شخصية الشاعر في ذلك وأنَّ اللغة في شعره ((شخصية كاملة تتأثر وتؤثر وهي تنقل الأثر من المبدع إلى المتلقي نقلاً أميناً وليست المسألة مجرد نقل أمين فحسب ولكنهُ النقل الأمين عن المبدع عندما يفكر أوّلاً وقبل كل شيء بوصفه فرداً، لذلك كانت لغة الشعر ممتلئة بالمحتوى))[2].

وما دام الشاعر ينقل ما يدور في عقله من آراء ومفاهيم لذلك ((لم يكن من الممكن وضع حد فاصل بين التعبير اللغوي والحالة العقلية وكان التلازم بين الاثنين ضرورياً، كان هذا القول كفيلاً بأنْ يضمن للغة ذلك الكائن الحي التجدد المستمر فالمشاعر الجديدة دائماً تحدث تغيرات مستمرة))[3].

ومن ذلك يتبين أن الألفاظ متغيرة على وفق أنماط السلوك الشخصي للإنسان وتصاغ الألفاظ من المعنى الراسخ في النفس ويتضح ((أنَّ الألفاظ إذا كانت أوعية للمعاني فإنها لا محالة تتبع المعاني في مواقعها فإذا وجب لمعنى أن يكون أولاً للنفس وجب للفظ الدال عليه أنّ يكون مثلهُ أولاً في النطق)) [4]وهذا المفهوم أورده الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) إذ قال: ((المرء مخبوء تحت لسانه))[5] .

وامتاز الشعر بأنه مثّل في ألفاظه الطبيعة النفسية للشاعر ونجد ((أنّ الألفاظ القوية الحماسية تنسجم مع طبيعة التركيب النفسي للشاعر فيصفونه بغلظة الطبع، أما طبيعة الألفاظ السلسة الرقيقة واللينة، فدليل طبعه ورقته))[6].

---

(١) تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي): ٢٢٦.
(٢) الاسس الجمالية في النقد العربي عرض وتفسير ومقارنة: د. عز الدين إسماعيل، ، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م: ٢٩٤.
(٣) الاسس الجمالية في النقد العربي: ٢٨٠. .
(٤) دلائل الاعجاز: ٥٢.
(٥) نهج البلاغة: ٤/٤٦٧.
(٦) الشعر الجاهلي دراسة في وتأويلاته النفسية والفنية: ٩٦.

واختلفت الألفاظ الشعرية في الشعر الذي ساقهُ الطبري في تفسيره ففي المديح جاء الشعراء بألفاظ (أولى الندى، المقدم في الحرب، وجاشم غزوة، وأنَّه الرب) وهم يضفون على ممدوحهم سمة الكبرياء والشجاعة والوقار، والطبري أولى للغة في الشعر الجاهلي أهمية في تفسيره وكان ((ذلك انسجاماً مع حقيقة أنَّ القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين ولا يصحّ فهمه إلا وفق كلام العرب ولغتهم والقاعدة التي يؤكد عليها أنَّ القرآن الكريم إنما ينبغي أنْ يفسر على الأغلب من كلام العرب))[١]، والطبري وظف قول الأعشى وهو يمدح هوذة بن علي الحنفي:

وَفِي كُلِّ عَامٍ أنْتَ جَاشِمُ غَزْوَةٍ تَشُدُّ لأقْصَاهَا عَزِيمَ عَزَائِكَا
مُورِثَةً مَالًا وَفِي الذّكرِ رِفْعَة لِمَا ضَاعَ فِيْهَا مِنْ قُرُوءِ نِسَائِكَا[٢]

ويبدو أن الطبري تأمّل البيتين أعلاه وتمعن في المفردات ليستخرج المفردة التي تناسب مراده في تفسير قوله تعالى: ((وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ))[٣]، وفسر من قول الأعشى أنَّ القرء هو الطهر[٤]، ومن أبرز ما يلاحظ في ((مدائح الأعشى أنَّها مثل أحاديث كتب الأدب التي الفت في العصر العباسي فيها التنقل من موضوع إلى موضوع بحثاً عن الفرح وطردًا للسأم))[٥]. والطبري انساق وراء لفظة (الدين) في قول الأعشى الأعشى وهو يمدح الأسود بن المنذر اللخمي فيقول:

هُوَ دَانِ الرَّبَابِ إذْ كَرِهُوا الْـ دِينِ دراكًا بِغَزْوَةٍ وَصِيَالِ[٦]

---

(١) منهج الامام ابن جرير الطبري في الترجيح بين اقوال المفسرين، تمام كامل موسى الشاعر، رسالة اجازتها جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، نابلس، فلسطين، بإشراف د. محسن سميح الخالدي، ٢٠٠٤م: ١٤٩.
(٢) ديوانه: ١٦١، تفسير الطبري، م٢، ج٢: ٥٩٠. والبيتان من الطويل.
(٣) البقرة: ٢٢٨.
(٤) نظر: تفسير الطبري، م٢، ج٢: ٥٩٠.
(٥) الاعشى الكبير ميمون بن قيس : قبل (٧٣ق.هـ – ٧هـ)، د. مصطفى الجوزو، دار الطليعة للطباعة والنشر، والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٧٧م: ٩٢.
(٦) ديوانه: ١٩٨، تفسير الطبري، م٣،ج٣: ٢٧٤. والبيت من الخفيف.

وأن معنى (الدين) الطاعة التي رفضتها قبيلة الرباب للأسود بن المنذر فأخضعها جبراً بغزوة من غزواته، والطبري أبان الدين من هذا المدلول في قول الأعشى ونجده ((اتبع هذا التأصيل بالتطبيق العملي فهو مساق وراء المعنى ولا يعترض بالنحو إلا من أجل إيضاح المعنى))[١].

والطبري استدل على أن (دان) في البيت ذل، وأنّ (الدين) هو الطاعة وان مفهوم الطاعة في الإسلام هو العبودية والخضوع لله سبحانه وتعالى ومنها ((إقرار الاعين والقلوب له بالعبودية والذلة وانقيادها له بالطاعة فيما أمر ونهى))[٢].

والطبري استمد من لفظة الدين عند الأعشى مصداقًا واضحًا في تفسير قوله تعالى: ((إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ))[٣].

وفي دراستي شواهد الشعر الجاهلي في تفسير الطبري وجدتُ أن ألفاظ الأعشى جاءت فخمةً في مدائحه، وجزلة تناسب الممدوح وهو يضفي على ممدوحه صفات((الكرم والشجاعة والوفاء وعون الضعفاء في القبيلة وكثيراً ما يعرض لجيوش ممدوحه إذا كان أميراً أو شيخاً لقبيلته مصوراً ما تنزلهُ على الاعداء من التقتيل والتنكيل وقد يطيل في وصف ما تشنه من غارات على الأعداء، وفي تضاعيف ذلك يورد على ممدوحه ثناءً مفرطاً))[٤].

أما النابغة الذبياني فنجده وظف لفظة (الربّ) في مدح النعمان بن المنذر، وهي لفظة قد لا نسامح عليها في هذا العصر، ولكن هذا لا ينفي إنّ للفظة مدلولًا وغاية، وأن للشاعر رؤية خاصة في اختيار اللفظة، إذ قال:

---

(١) منهج الامام ابن جرير الطبري في الترجيح، د. حسين علي الحربي، دار الجنادرية للنشر والتوزيع، عمان، الاردن، ط١ ،١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م:١٥٩.
(٢) تفسير الطبري، م٣، ج٣: ٢٧٤.
(٣) آل عمران: ١٩.
(٤) تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي):٣٤٨.

تَخُبُّ إلى النُّعْمَانِ حَتَّى تنَالَهُ   فِدَى لَكَ مِنْ رَبِّ طَرِيفِي وَتَالِدِي[١]

والنابغة يصف سيدهُ بالرب وينبغي ونحن في هذا العصر أن لا نطلق أحكاماً ظالمة بحق الشعراء الجاهليين أو نجري محاولات لتفنيد قصائدهم ونحن نعرف ((أن اللغة كائن حي ينمو ويكبر ويتطور وتخضع لكل ما يخضع له الكائن الحي من تطورات، وكذلك الذوق اللغوي فهو يتغير من بيئة إلى بيئة ومن زمان إلى زمان فليس حكم المحدثين على شاعر قديم حكماً مقبولاً إذا حاول المحدث أن يخضع القديم لأحكامه، لأن في ذلك تعسفاً بيناً، وإجحافاً يغمط القدامى حقوقهم))[٢].

والطبري كان منصفاً في تعامله مع ألفاظ الشعر الجاهلي فهو يرى أن لفظة ((الرب في كلام العرب منصرف على معان، فالسيد المطاع فيها يدعى ربّاً))[٣].

وأشار إلى هذا المعنى في تفسير قوله تعالى: ((ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ))[٤]، وقد ذكر الطبري آراء العديد من المفسرين على أن لفظة (الرب) في قوله تعالى: ((أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا))[٥]، هو المالك[٦]، وهذا يدل على أنّ الطبري كان على دراية دراية وحذق في اختيار الأبيات الشعرية في تفسيره وإدراك القيم الفنية في ذلك الشعر وهو يرى ((الواجب أن تكون معاني الكتاب المنزل على نبينا محمد (ﷺ) لمعاني كلام العرب موافقةً وظاهرهُ لظاهر كلامها ملائِمًا))[٧]، واستدل الطبري على معنى لفظة

(١) ديوانه: ٥٣، تفسير الطبري: م١،ج١: ٧٩. والبيت من الطويل.
(٢) دراسات في الشعر الجاهلي، د. نوري حمودي القيسي، ساعدت جامعة بغداد على نشره: ١٧.
(٣) تفسير الطبري: م١، ج١: ٧٩.
(٤) الفاتحة:٢.
(٥) يوسف: من الآية ٤١.
(٦) ينظر تفسير الطبري: م٧،ج١٢: ٢٧٧.
(٧) المصدر نفسه: م١، ج١: ١٠ .

((الجواب)) في قوله تعالى: ﴿يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب﴾[(١)] من قول الأعشى:

تَرُوحُ عَلَى نَادِي المُحَلِّقِ جِفْنُهُ كَجَابِيَةِ الشَّيْخِ العِراقيّ تَفْهَقُ[(٢)]

والجواب هي حوض الماء، وفي هذا البيت الذي ذكره الطبري وأبيات أخر نجد أنه ساد في معظم مدائح الأعشى ألفاظه الدالة على المبالغة في الممدوح وسهولة تلك الألفاظ[(٣)].

ومن قول النابغة الذبياني الذي اختار لفظة (السورة) ليضفيها على النعمان بن المنذر فقال:

أَلَمْ تَرَ أنَّ اللهَ أَعْطَاكَ سَوْرَةً تَرَى كُلَّ مَلِكٍ دُوْنَها يَتَذَبْذَبُ[(٤)]

استدل الطبري على معنى السورة المنزلة وأراد الشاعر ((أن الله أعطاه منزلة من منازل الشرف التي قصرت عنها منازل الملوك))[(٥)].

وفي استقصاء ألفاظ المدح عند النابغة الذبياني تراه ((يبالغ في مديحه واعتذاره ولكنها لا تنتهي إلى ذلة النفس، بل هي المبالغة التي تأتي من أنّه يتحدث إلى أمراء كان لهم سلطان كبير على القبائل العربية))[(٦)]، ولو تأملنا في الأبيات التي صاغها الطبري في تفسيره لوجدنا الاختلاف الكبير بين ألفاظ الأغراض الشعرية المختلفة في تفسيره وفي طبيعة الحال وكما يقول ابو هلال العسكري (ت٣٩٥هـ) وهو يبين كيفية صنع الكلام وكيف يكون ترتيب الألفاظ في خطابه لمن يريد أن ينظم كلاماً بأن يختار ((لكلّ طبقة كلاماً، ولكلِّ حالٍ مقام، حتى تقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات،

(١) سبأ : من الآية ١٣.
(٢) ديوانه: ١٤٨، تفسير الطبري: م١٢،ج٢٢: ٨٨. والبيت من الطويل.
(٣) ينظر: الاعشى الكبير:٩٣.
(٤) ديوانه:٢٥، تفسير الطبري: م١، ج١: ٥٨. والبيت من الطويل.
(٥) تفسير الطبري: م١، ج١: ٥٨.
(٦) تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي):٢٨١.

وأقدار المستمعين على أقدار الحالات واعلم أن المنفعة مع موافقة الحال وما يجب لكلّ مقام من المقال))[١]. ولذلك اختلفت الألفاظ عند الشعراء.

وفي تفسير الطبري بدا الاختلاف واضحاً في ألفاظ شعر الغزل عن غيره من الأغراض الأخرى واختاروا ألفاظًا تكون مصدراً لأثارةِ الأحاسيس والمشاعر حتى يتخيل للسامع ((أن روح الشاعر منهم توشك أن تسقط من جنبيه جزعاً وصبابة، وخاصة بما وصفوا به لحظات الوداع أو حالات الفراق وانعدام الوصال))[٢].

واستعمل الشاعر الجاهلي ألفاظاً لوصف المرأة تجد أن لبيئة الشاعر تأثيرًا كبيرًا في اختيارها، ومن تلك الألفاظ ((العروب، ريا الروداف، لعوب، لون العاج، كند))[٣]، والطبري ادرك القيم الفنية في هذه الألفاظ لتكون مصدراً في تفسيره واستنبط من قول لبيد:

وَفِي الْحُدُوجِ عَرُوْبٌ غَيرُ فَاحِشةٍ رَيَّا الرَّوَادِفِ يَغْشَى دُونَـهَا البَصَرُ[٤]

إن العروب في قوله تعالى:((فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا عُرُبًا أَتْرَابًا))[٥]، هي المرأة التي تكون متحببة متحببة لزوجها وحسنة التبعل[٦]، أما لفظة ريا الروادف فهي المرأة ضخمة العجيزة[٧]، العجيزة[٧]، ومما يلاحظ أنه قد ورد في أبيات هذا الغرض التي ذكرها الطبري في تفسيره أسماء النساء مثل ((سعاد، سلمى، ام جندب))[٨]، قال النابغة الذبياني:

نَأتْ بِسُعَادَ عَنْكَ نَوَى شُطُونُ فَبَانَتْ وَالفُؤَادُ بِهَا رَهِيْنُ[٩]

---

(١) الصناعتين: ١٤١.
(٢) احلى اشعار الغزل العربية:١٤.
(٣) ينظر تفسير الطبري: م١٣،ج٢٢٩:٢٧، م٨،ج٣١٨:١٣، م١٥،ج١٨٢:٣٠، م١٥،ج٣٥:٣٠.
(٤) شرح ديوان لبيد:٦١، تفسير الطبري: م ١٣، ج٢٧: ٢٢٩. والبيت من البسيط.
(٥) الواقعة: ٣٦-٣٧.
(٦) ينظر تفسير الطبري: م١٣،ج٢٢٩:٢٧.
(٧) ينظر شرح ديوان لبيد:٦١.
(٨) ينظر تفسير الطبري: م١،ج١: ٦٢، م١٢، ج١٣: ١٤٩، م١٣،ج٢٦: ٢٠٢.
(٩) ديوانه: ١٣٠؛ تفسير الطبري: م١، ج١: ٦٢. والبيت من الوافر.

وأرتكز الطبري في دلالة لفظة (شطون) على أنها بمعنى البعد عن أمور الخير، وإن النوى هو ((الوجه الذي نوتْه والشطون البعيد))[١]، وتتميز هذه اللفظة بأنها من ((الألفاظ التي تخرج من حوزة معانيها المعجمية العرفية إلى دلالات رمزية شبه اصطلاحية وهذه الدلالات الرمزية خاصية لغوية كامنة في بعض الألفاظ دون الأخرى فليست جميع ألفاظ اللغة قادرة على ان ترمز، أو ليست صالحة لأن يرمز بها))[٢]، وأن وأن لفظة شط من الألفاظ ذات دلالة رمزية وهي نمطية كثيرة الاستعمال وكثيرًا ما تحتوي القصيدة الجاهلية عليها وتشير إلى معنى البعد[٣]، واختار لنا لفظاً آخر يمتاز بهذه الخصوصية وهو لفظة (الريح) في قول عبيد بن الأبرص وهو يفتخر ببني أسد فيقول:

كَمَا حَمَيْنَاكَ يَوْمَ النَعفِ مِنْ شَطَبٍ وَالفَضْلُ لِلْقَوْمِ مِنْ رِيْحٍ وَمِنْ عَدَدِ[٤]

والنعف من أيام بني أسد وتطلق لفظة الشطب على الجبل أما النعف فهو المنحدر من الجبل[٥]، أما لفظة (الريح) فهي ذات دلالة رمزية، إذ ترمز إلى القوة والبأس[٦]،وأفاد الطبري من هذه الدلالة في تفسير قوله تعالى: ((**وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ**))[٧] ، وبيّن أنّ دلالة لفظ الريح ((يراد به في هذا الموضع: وتذهب قوتكم وبأسكم وبأسكم ويدخلكم الوهن والخلل))[٨].

---

(١) ينظر تفسير الطبري : م١،ج١ :٦٢.
(٢) ابداع الدلالة في الشعر الجاهلي مدخل لغوي اسلوبي، د. محمد العبد، استاذ العلوم اللغوية، كلية الالسن، جامعة عين شمس، الناشر مكتبة الآداب، القاهرة ة،ط٢، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م:٥٣.
(٣) المصدر نفسه : الصفحة نفسها.
(٤) ديوانه: ٣٣، تفسير الطبري، م٦،ج١٠: ٢٢. والبيت من البسيط.
(٥) ينظر ديوان عبيد بن الابرص:٣٣، وابداع الدلالة في الشعر الجاهلي:٥٤.
(٦) ينظر ابداع الدلالة في الشعر الجاهلي:٥٤-٥٥.
(٧) الانفال: ٤٦.
(٨) تفسير الطبري: م٦،ج٢٢:١٠.

ومن بين الشواهد الشعرية التي ذكرها الطبري وحفلت بدلالة أغنت المفسر في تفسير الآيات الكريمة قول الأعشى:

بانَتْ وَقَدْ أسْأرتْ في النّفسِ حَاجَتها   بَعدَ ائتلاف وخَيرِ الوَدّ ما نفعا[١]

أبان الطبري معنى لفظة (السورة) من خلال لفظة (أسأرت) وإنهاء القطعة التي بقيت من القرآن وفضلت من سواها وإن محبوبة الأعشى قد أبقت بقية من حبها في نفسه[٢] .

وفي كلمة (أسأرت) استطاع الشاعر ((نقل اللفظ عن موضعه الذي يشغلهُ في الاستعمال عادة إلى موضع جديد وهو انعكاس لاجتهاد الشاعر في الخروج عن العرف اللغوي وإقامة علاقة جديدة بين المنقول والمنقول اليه))[٣]. وبدت في البيت مقدرة الشاعر على ((اختيار كلمة ذات دلالة حسية شارحة للمعنى وإنما هي تعكس درجة أعلى مما يمكن ان نسميه الحساسية اللغوية التي يتمتع بها الشاعر إزاء الألفاظ وقد أحس بقيمة هذا النقل في الإيحاء بالمعنى))[٤] .

وإنّ اختيار الشاعر الألفاظ إنما كان تبعًا لما وجده في نفسه من القيمة الجمالية لتلك الألفاظ لأنها ((من الأمور المحسوسة التي شاهدها من نفسها لأنّ الألفاظ داخلة في حيِّز الاصواتِ فالذي يستلذّهُ السمع منها ويميل إليه هو الحسنُ))[٥].

ووردت في التفسير ألفاظ ((الفلاح، الكريم، المصادق، والنحرير))[٦]، في أبيات الحكمة لكون هذه الألفاظ تناسب المضامين التي ابتغاها الشاعر وانتزعها من الحياة في تجاربها اليومية وإنها تمثل عند الشاعر الجاهلي ((صدى لصفاء الفطرة

---

(١) ديوانه : ١٢٩؛ تفسير الطبري ،م١،ج١: ٥٨. والبيت من البسيط.
(٢) ينظر تفسير الطبري: م١، ج١: ٥٨ .
(٣) ابداع الدلالة في الشعر الجاهلي:٨٠.
(٤) المصدر نفسه: الصفحة نفسها.
(٥) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر:٩١.
(٦) ينظر تفسير الطبري: م١، ج١: ١٤١؛ م٣،ج٣: ٣٦٠؛ م١٢، ج٢٣: ٨٩.

ودقة الاحساس وكثرة التجارب والقدرة على استخلاص العبرة مما يمر بقائلها من احداث وهي تشف عن عقل راجح يتمتع بقدرة فائقة على الموازنة والاستنتاج)) (١).

وانتقى الطبري مفهوم الفلاح بعناية في قوله تعالى ((وأولئك هم المفلحون))(٢) من بيتين في الحكمة من شعر لبيد بن ربيعة إن مدلول لفظة الفلاح يشير إلى ((إدراك الطلب والظفر بالحاجة))(٣)، واستدل بقول لبيد:

اِعْقِلِي إنْ كُنْتِ لَمّا تَعْقِلِي   ولَقَدْ أفْلَحَ مَنْ كانَ عَقَلْ(٤)

والشاعر في البيت مخاطباً نفسهُ ناصحاً لها بالتعقل لكي تظفر بالحاجة(٥)، وأشار الطبري إلى مدلول آخر في لفظة الفلاح وهو البقاء(٦)، في قول لبيد:

نَحِلُّ بِلَادًا كُلُّهَا حِلٌّ قَبْلَنَا   وَنَرْجُوا الفَلَاحَ بَعْدَ عَادٍ وَحِمِيَرِ(٧)

وفي ضوء هذه الأبيات يتبين لمن ((ينعم النظر والتأمل يظهر له إن بناء الأسلوب القرآني من الألفاظ نفسها التي كانت معهودة للعرب ودائرة في أساليبهم يجعله أدخل في الاعجاز حيث فوجئ العرب بالألفاظ التي كانوا يتكلمون بها في تركيب جديد لم يألفوه وفي نظم بديع يخرج عن المعهود لهم من كل الأساليب بحيث لم يتمكنوا من الاتيان بمثله مما جعل دهشتهم بالغة وحيرتهم زائدة))(٨).

(١) دراسات في أدب ونصوص العصر الجاهلي: ٢٤٨.
(٢) البقرة: من الآية٥.
(٣) تفسير الطبري: م١، ج١: ١٤١.
(٤) شرح ديوان لبيد: ١٧٧؛ تفسير الطبري: م١، ج١: ١٤١. والبيت من الرمل.
(٥) ينظر شرح ديوان لبيد: ١٧٧.
(٦) ينظر تفسير الطبري: م١، ج١: ١٤١.
(٧) شرح ديوانه: ١٧٧؛ تفسير الطبري: م١،ج١: ١٤١. والبيت من الطويل.
(٨) فنون البلاغة بين القرآن وكلام العرب ، د. فتحي عبد القادر فريد ، منشورات دار اللواء للنشر والتوزيع ، الرياض، ط١، ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م: ١٥.

ب. الأسلوب :

في دراسة تحليل القصيدة العربية نجد أنَّ الألفاظ وحدها لا تعطي الشعر ميزة خاصة يمتاز بها لكون أن هذه الألفاظ ((لا يمكن أنّ تحيا مستقلة ولكن يرجع الفضل في نظامها اللغوي الظاهر إلى نظام آخر معنوي انتظم وائتلف في نفس الكاتب أو المتكلم فكان بذلك أسلوباً معنوياً))(١).

ويتبين أن لفظة الأسلوب تشير إلى معنى النظم والتفنن في الكلام وهذا المعنى نجده عند ابن منظور في قوله ((الأسلوب بالضم الفن، يقال أخذ فلان في أساليب في القول أي أفانيين منه))(٢).

وبذلك يتضح إنّ ((الأسلوب ينصب بداهة على هذا العنصر اللفظي فهو الصورة اللفظية يعبر بها عن المعاني أو نظم الكلام وتأليفه لأداء الأفكار وعرض الخيال أو هو العبارات اللفظية المنسقة لأداء المعاني))(٣).

ولذا تبرز في الأسلوب أهمية تنسيق ورصف الألفاظ وتنظيمها في تركيب أو عدة تراكيب على أن تكون تلك الألفاظ على تلاحم وانسجام فيما بينها ، واختيار صورة ملائمة لتلك الألفاظ وبذلك تتحقق الجودة للشعر كما يقول الجاحظ (ت٢٥٥هـ)، ((أجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء سهل المخارج فتعلم بذلك إنه أفرغ إفراغاً واحداً وسبك سبكاً واحداً فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان))(٤).

---

(١) الأسلوب: دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، تأليف أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية لأصحابها حسن محمد وأولاده، ٩ شارع عدلي باشا، القاهرة، ط٦، ١٩٦٦م: ٤٠.

(٢) لسان العرب: م٤: ٦٣٧،مادة (سلب).

(٣) الاسلوب: ٤٦.

(٤) البيان والتبيين: ابو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ: تح وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي ، القاهرة، ط٧، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م: الكتاب ٢، ج١ :٦٧.

وبهذا لا ينحصر جيد الشعر في ألفاظه ومعانيه وأوزانه والصورة والأخيلة فيه بل يجب رصف وتنسيق هذه الأركان في صناعة خاصة سماها قدامة بن جعفر (ت٣٣٧هـ) صناعة الشعر مبتغياً بها من الشاعر في شعره أن ((يحاك ويؤلف منه إلى غاية التجويد، فكان العاجز عن هذه الغاية من الشعراء إنما هو من ضعفت صناعته))(١).

وأباح قدامة بن جعفر (ت٣٢٧هـ) للشاعر بأن يمدح شيئاً ويذمه، وعدّ ذلك تمكن في صنعته إذ يقول ((إنّ مناقضة الشاعر نفسه في قصيدتين أو كلمتين، بأن يصف شيئاً وصفاً حسناً ثم يذمه بعد ذلك ذمّا حسناً أيضًا غير منكر عليه ولا معيب من فعله، إذا أحسن المدح والذم بل ذلك عندي دليل على قوة الشاعر في صناعته واقتداره عليها))(٢).

وسار أبو هلال العسكري (ت٣٩٥هـ) على نهج قدامة بن جعفر فقد أولى للأسلوب ورصف الألفاظ والعبارات أهمية كبيرة في الشعر حيث يرى أنّ ((حُسنُ التأليف يزيد المعنى وضوحاً وشرحاً ومع سوء التأليف ورداءة الرصف شعبة من التعمية فإذا كان المعنى سبيا ورصف الكلام ردياً لم يوجد له قبول ولم تظهر عليه طلاوة وإذا كان المعنى وسطاً ورصف الكلام جيد كان احسن موقعاً وأطيب مستمعاً فهو بمنزلة العقد إذا جعل كل خرزة منه إلى ما يليق كان رائقاً في المرْأى))(٣).

ومما تقدم يتضح إن الأسلوب هو((طريقة التعبير عن التفكير باختيار الألفاظ ورصفها في عبارات جميلة))(٤).

ويتأثر الأسلوب الشعري بالمواقف الانفعالية داخل النفس الإنسانية لكون((أنّ الأسلوب في الأصل صور ذهنية تتملّى بها النفس))(٥).

---

(١) نقد الشعر: ١٨
(٢) المصدر نفسه: ٢٠.
(٣) كتاب الصناعتين: ١٦٧.
(٤) في الاسلوب الأدبي: ٧٥.
(٥) الاسلوب: ٤٣.

ولهذه الصورة الذهنية أثرها في قول الشاعر، ويبدو ((إن الأسلوب منذ القدم كان يلحظ في معناه ناحية تشكيلية خاصة هي طريقة الأداء أو طريقة التعبير التي يسلكها الأديب لتصوير ما في نفسه أو لنقله إلى سواه بهذه العبارات اللغوية))(١).

وفي الشعر الذي أورده الطبري في تفسيره نجد إن أساليب الشعراء تختلف من شاعر إلى آخر بحكم انهم ((يتباينون فيما بينهم في الخُلق والخَلق والملكات العقلية والعاطفية والخيالية كان من الطبيعي أن تختلف أساليبهم))(٢).

واختلفت أساليب الشعراء الجاهليين في شعرهم في تفسير الطبري تبعا للغرض الشعري الذي ينشده الشاعر في شعره وبطبيعة الحال إن أسلوب المدح يختلف عن أسلوب الهجاء وقد تتقارب بعض الأغراض الشعرية فيرى ابن رشيق القيرواني إنه ((ليس بين الرثاء والمدح فرق إلا أن يخلط بالرثاء شيء يدل على إن المقصود به ميت مثل كان))(٣).

واختلف كذلك الأساليب البلاغية التي نهجها الشعراء في أشعارهم وزهير بن ابي سلمى اتخذ أسلوباً في تقديم الجار والمجرور للاهتمام بالمتقدم، وهو البقر الوحشي، والغزلان والعناية بهما فقال:

بِهَا الْعِينُ والآرَامُ يَمْشِينَ خَلفَهُ وَأَطْلَاؤُها يَنهَضْنَ مِنْ كُلِّ مَجْثَمِ (٤)

والعين هي البقر الوحشي، أما الآرام فهي الغزلان ويسمى ابنها باسم الطلاء وأنَّ هذه الحيوانات بين مقبلة ومدبرة بمعنى أنَّها يخلف بعضها بعضاً في أرضٍ تسمى الرقمتين(٥)، وأدرك الطبري بعناية الألفاظ في قول الشاعر ليستنبط من البيت معنى

---

(١) الاسلوب: ٤٤.
(٢) في الأسلوب الأدبي: ٥٥.
(٣) العمدة: ٩٦/٢.
(٤) شرح ديوان زهير: ٢٠؛ تفسير الطبري: م٢، ج٢: ٨٥. والبيت من الطويل.
(٥) ينظر شرح ديوان زهير: ٢٠؛ وروائع الأدب العربي: ٧٥.

الاختلاف في الليل والنهار والمراد أنَّ يخلف كل منهما مكان الآخر[١] في قوله تعالى: ((وَٱخۡتِلَٰفُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ))[٢]، ويتضح من قول الشاعر أنَّ الشعراء الجاهليين كانوا ((يختارون لكل حيوان ما يناسبه من الألفاظ ولم يكن هذا الاختيار اعتباطياً كما يظن البعض وإنما هو تقليد سار عليه الشعراء وطريق اتبعوه ونهج مرسوم سلكوه))[٣]، بينما سلك الأعشى أسلوباً قدم فيه الخبر على المبتدأ (أسوة) للعناية والاهتمام بالمتقدم وهو يبتغي أنْ يكون أهل سبأ في اليمن عبرة للآخرين فقال:

فَفِي ذَلِكَ لِلْمُؤتسّي أُسْوَة وَمَآرِبُ عَفَى عَلَيْهَا العَرِمُ[٤]

وتمعن الطبري في ألفاظ البيت مبيناً أنَّ لفظة العرم هي ما تحبس به المياه[٥]، وهو يفسر قوله تعالى: ((فَأَعۡرَضُواْ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ سَيۡلَ ٱلۡعَرِمِ))[٦].

ومما التمسهُ في الشعر الجاهلي في تفسير الطبري أنَّ بعض الشعراء عمدوا إلى استعمل أسلوب الاستفهام في مطلع أبياتهم وعنترة العبسي افتتح معلقته في الاستفهام بـ (هل) فقال:

هَلْ غَادَرَ الشُّعَراءُ مِنْ مُتَرَدَّمِ أَمْ هلْ عرفتَ الدَّار بْعد توهّمِ[٧]

والشاعر قصد بأسلوبه هذا ((معنى الانكار أي لم يترك الشعراء شيئاً يصاغ فيه شعر إلا وقد صاغوه فيه))[٨]، استمد الطبري من لفظة المتردم معنى الردم في قوله

---

(١) ينظر تفسير الطبري: م٢، ج٢: ٨٥.
(٢) البقرة: من الآية ١٦٤.
(٣) دراسات في الشعر الجاهلي: ١٥.
(٤) ديوانه: ٢٢٦: تفسير الطبري: م١٢، ج٢٢: ٩٧.والبيت من المتقارب.
(٥) ينظر: تفسير الطبري: م١٢، ج٢٢: ٩٧.
(٦) سبأ: من الآية ١٦.
(٧) ديوانه: ٨٠؛ تفسير الطبري: م٩، ج١٨: ٤٨. والبيت من الكامل.
(٨) شرح المعلقات السبع: ١١٦.

تعالى: ((قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا))(١)، وليبين أنَّه بمعنى الحائط أو السد(٢)، ويقال ((ردم فلان موضع كذا يردمه ردماً))(٣)، ولذا رجع الطبري في تفسيره الآية إلى لغة العرب فهو يرى أنَّ ((كلام الله لا يوجه إلى الأغلب الأشهر من معانيه عند العرب إلا أن تقوم حجة على شيء منه بخلاف ذلك فيسلم لها))(٤).

وساق امرؤ القيس أسلوب الاستفهام لمعنى التعجب ومزج ذلك بصورة المبالغة بالشغف وهو الحب الشديد فقال موظفا الهمزة لذلك المعنى اللطيف:

أيَقْتُلُنِي وَقَدْ شَغَفْتُ فُؤَادَهَا   كَمَا شَغَفَ المَهْنُوءَةَ الرَجُلُ الطَّالُي(٥)

ومن شغف محبوبة الشاعر وظف الطبري قول الشاعر دليلاً على قراءة بعض القراء ((شغف)) بالعين في قوله تعالى: ((قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا))(٦)، أنَّ الشعف هو الذعر عند العرب، وإنها ((استعارت الكلمة فوضعتها في غير موضعها))(٧)، وأنَّ المرأة شغفت في الحب كما شغفت الناقة المطلية بالقطران(٨)، وبين الطبري رأيه في أنَّ الصواب في في قراءة من قرأ (((قد شغفها) بالغين لإجماع الحجة من القراءة عليه))(٩).

واستعمل الشاعر الجاهلي أسلوبي الأمر والنهي في غرض الحكمة إذ كان من خلالهما يعبر عن رأيه وينصح الآخرين ويكشفُ لهم عما بينتهُ ورفدتهُ به الأيام من التجارب وأعطتهُ من الدروس وذكر الطبري قول دريد بن الصمة وهو يخاطب زوجته

---

(١) الكهف: ٩٥.
(٢) ينظر: تفسير الطبري: م٩،ج١٦: ٣٧.
(٣) المصدر نفسه: م٩، ج١٦: ٣٧-٣٨.
(٤) المصدر نفسه: م٧، ج١٢: ٥٢.
(٥) ديوانه : ٣٣؛ تفسير الطبري: م٧،ج١٢: ٢٥٠. والبيت من الطويل.
(٦) يوسف: من الآية ٣٠
(٧) تفسير الطبري: م٧، ج١٢: ٢٥٠.
(٨) ينظر: المصدر نفسه: م٧، ج١٢ ٢٥٠؛ ديوان امرئ القيس: ٣٣-٣٤.
(٩) تفسير الطبري: م٧، ج١٢: ٢٥٠.

مبيناً لها أنَّه لم ير كريماً مات من الجوع والفقر، ولا بخيلاً أبقاه شحهُ وبخلهُ في الحياة[١] إذ يقول:

ذَرِنْيِ أُطَوِّفُ فِي البِلَادِ لأنَنِي   أرَىَ ما ترين أو بَخْيلاً مُخَلَّدَا[٢]

والطبري ((مكّنه علمه باللغة وأساليب استعمالها أنْ يفضل معنى للكلمة على معنى آخر تحتمله))[٣]. فبين أنَّ المراد من قول الشاعر (لأنني) بمعنى لعلني وفي قوله تعالى: تعالى: ((إِنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ))[٤]، بمعنى لعلها إذا جاءت في قراءة من قرأ (أنَّها) بفتح الألف[٥].

وورد في أسلوب الطلب المتمثل بصيغة الأمر عند الأعشى في أحد أبياته حينما عزم على الإسلام ودعا إلى عبادة الله (سبحانه وتعالى) وترك عبادة الشيطان فقال:

وَصَلِّ عَلَى حِيْنِ العَشَيَّاتِ وَالضُّحَى   وَلَا تَعبُدِ الشَّيْطَانَ وَاللهَ فَاعْبُدِا[٦]

فالطبري بمعرفته باللغة بين أنَّ الأصل في قول الأعشى فاعبدن؛ ولكن عند العرب يكون الوقف على الالف وساق ذلك دليلاً على قوله تعالى: ((وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ))[٧]، وفي قوله ((وَلَيَكُونًا)) فقد كان ((الوقف عليه بالألف لأنَّها النون الخفيفة))[٨].

وفي شعرنا الجاهلي نجدُ العديدَ من الشعراء عمدوا في أساليبهم إلى ذكر الله (ﷻ)

---

(١) ينظر مجمع البيان: ٤١٧/١.
(٢) ديوانه : ١٨٨؛ تفسير الطبري: م٥،ج٧: ٣٨٩. والبيت من الطويل.
(٣) الطبري: ١٣١.
(٤) الانعام: ١٠٩.
(٥) ينظر تفسير الطبري: م٥، ج٧: ٣٨٩.
(٦) ديوانه: ٦١، وردت لفظة (فاحمدا) بدل (فاعبدا)؛ تفسير الطبري: م٧، ج١٢: ٢٦٢. والبيت من الطويل.
(٧) يوسف: من الآية ٣٢.
(٨) تفسير الطبري: م٧، ج١٢: ٢٦٢.

والألفاظ الدينية وهذا يشير إلى أنَّ المشركين كانوا يعتقدون بوجود الله، قـــــال تعالى:((قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ))(١) ولكن هؤلاء اتخذوا في عبادتهم أنداداً لله فقال تعالى:((وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ))(٢).

والطبري ذكر شواهد عديدة للشعراء الجاهليين وهم يوردون لفظ الجلالة والتعابير الإسلامية. والنابغة الذبياني في مدحه وهجائه نهج هذا الأسلوب فقال وهو يمدح النعمان بن المنذر :

أَلَمْ تَرَ اَنَّ اللهَ أَعْطَاكَ سَوْرَةً   تَرَى كُلَّ مَلِكٍ دُوْنَـهَا يَتَذَبْذَبُ(٣) .

وكذلك في هجاء ابن سهم ومالك وهما حيان من غطفان فقال:

عُكُوْفَاً لَدَى أبياتهِمْ يُثمِدُونَـهَا   رَمَى اَللّهُ تِلْكَ الأُنُوفِ الكَوَانعِ(٤)

وفي البيت الثاني نجد تعبيراً دينياً متعارفًا عليه كما في قوله (رمى الله)، والطبري جاء بالبيت الأول في بيان معنى (السورة)، بينما جاء بالبيت الثاني في معنى (العكوف)، وساق الطبري أراء منها المصلون والعاكفون في المسجد الحرام بغير طواف ولا صلاة وقيل المجاورون للبيت(٥)، وقيل إنهم اهل البلد في تفسير قوله تعالى: تعالى: ((وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ))(٦).

اما أمية بن ابي الصلت فقد وردت الكثير من هذه الألفاظ والتعابير الدينية فـــــي شعره وإنه ويمكن القول ((أنه انفرد بتلك المعاني دون الشعراء الآخرين فلم يتأثر بمـن

---

(١) المؤمنون: ٨٤- ٨٥.
(٢) إبراهيم: ٣٠.
(٣) ديوانه:٢٥؛ تفسير الطبري م١ ج١ : ٥٨. والبيت من الطويل.
(٤) ديوانه: ٩٠؛ تفسير الطبري م١،ج١ :٧٠٨. والبيت من الطويل.
(٥) ينظر تفسير الطبري م١ ج١: ٧٠٨-٧٠٩.
(٦) البقرة: من الآية ١٢٥.

سبقه منهم ولم يقل من جاء بعده مثل قوله))[١] فقال:

دَارٌ دَحَاهَا ثُمَّ أعْمَرَنَا بِهَا   وَأَقَامَ بِالأخرى الّتِي هِيَ أمجدُ[٢]

والطبري من خلال قول أمية بن ابي الصلت ذكر أنَّ الدحو هو البسط[٣] في قوله تعالى: ((وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا))[٤]، وقال واصفاً جهنم:

إِذَا شَبَتْ جَهَنَّمُ ثُمَّ دَارَتْ   وَاَعرَضَ عَنْ قَوَابِسِهَا الجَحِيْمُ[٥]

فالطبري ساق البيت في معرض حديثه عن الجحيم في قوله تعالى: ((وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ))[٦]. وقد تبين أنَّ أميّة جاء بهذه التعابير الإسلامية من اطلاعه

اطلاعه ومعرفـــــته بالأديان السابقة ((وقد كان قد قرأ الكتب المتقدمة من كتب الله عز وجل السابقة للقرآن الكريم ورغب عن عبادة الأوثان، وكان يخبر بأنَّ نبياً يبعث قد أظلَّ زمانه ويؤمِّل أنْ يكون ذلك النبي فلما بلغه خروج رسول الله (ﷺ) وقصته كفر حسداً له))[٧]، ولذلك ولذلك اتخذ أسلوباً في توظيف معارفه الدينية فقد ((كان يحكي في شعره قصص الانبياء ويأتي بألفاظ كثيرة لا تعرفها العرب))[٨]، واتبع نهجاً مغايرًا لأساليب الشعراء الآخرين الآخرين فقد ((كان يذكر في شعره خلق السموات والأرض ويذكر الملائكة في ذلك ما لم يذكره أحد من الشعراء))[٩].

---

(١) أمية بن الصلت حياته وشعره: ١٣٨.
(٢) المصدر نفسه:١٩٧؛ تفسير الطبري: م١٥، ج٣٠: ٦٠. والبيت من الكامل.
(٣) ينظر تفسير الطبري: م١٥، ج٣٠: ٦٠.
(٤) النازعات: ٣٠.
(٥) أمية بن ابي الصلت: ٢٧٠؛ تفسير الطبري: م١، ج١: ٦٧٨. والبيت من الوافر.
(٦) البقرة: ١١٩.
(٧) الشعر والشعراء: ٤٥٠/١.
(٨) المصدر نفسه: الصفحة نفسها.
(٩) أمية بن ابي الصلت حياته وشعره: ١٣٧.

٢. الصورة الشعرية:

أغنى الطبري تفسيره بصور كثيرة ومختلفة من الشعر الجاهلي كانت منسجمة مع ذائقة اختارها لنفسه في الكشف عن المشكل والغامض في تفسيره ولطبيعة الصورة الشعرية في إبلاغ مدلولات الآية القرآنية وفي الغوص في طيات الشعر الجاهلي الذي انتقاه الطبري يجعلك تشعر أن للمفسر بعداً في ذلك وهو بيان حال الموجودات التي وردت في القرآن الكريم ونقلها إلى ذهن القارئ حتى كأنَّه يراها وإنّ ((أبلغ الوصف ما قلب السمع بصراً))[(١)].

وقبل أن نشرع في بيان الصورة الشعرية التي وظفها الطبري في تفسيره لا بد من وقفة تأملية عند الجذور الأولى لمادة التصوير التي بدت بواكيرها عند الجاحظ (ت٢٥٥هـ) عندما أوردها وكشف عن معانيها فقال: ((فإنما الشعر صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير))[(٢)]، والجاحظ يضعنا امام مبادئ أساسية للشعر أنَّ له ((أسلوباً خاصاً في صياغة الأفكار أو المعاني وهو أسلوب يقوم على إثارة الانفعال واستمالة المتلقي إلى موقف من المواقف))[(٣)].

وتلعب الصورة دوراً فعالاً في نقل السامع إلى عالم من التأمل والتخيل ثم التأثير فيه مما يجعله راغباً في المتابعة ولقد قيل إنّ أشعر الناس ((مَنْ أَنت في شعره حتَّى تَفْرغُ منه))[(٤)]، ولذا تكون اللغة أداة للشعراء في رسم صور مختلفة بالكلمات ومن ثم نشوء الإدراك الحسي الذي منه يتولد التصور ((وهو استحضار صور المدركات الحسية عند غيبتها عن الحواس))[(٥)].

---

(١) العمدة: ٢٣٢٠/٢.
(٢) الحيوان: ٤٠٨.
(٣) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، د. جابر عصفور: ٢٥٧.
(٤) العمدة: ٨٢.
(٥) في النقد الأدبي: د. عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩١هـ ١٩٧٢م: ٦٩.

وتُعدُ العاطفة والخيال من العناصر المهمة في بناء الصورة الشعرية وتبدو أهمية العاطفة بوصفها عنصرًا هامًا ((من العناصر التي يتكون منها الأدب وأهميتها تأتي من جهة أنَّها الروح التي تبث في المادة التي تُحلّ بها كل مقومات الحياة))[١]، وبطبيعة الحال فإنَّ في ((الشعر تغلب صفة التأثير بفضل العاطفة التي تتدفق فيه ولعل اسم الشعر من شعر أي أحس))[٢].

وقد عرف النقاد العرب اثر العاطفة في النفس الإنسانية ولكنها لم تكن تعرف عندهم بهذا الاسم التي عرفت به في الأدب العربي الحديث[٣] ونلتمس ملامح هذه الفكرة عن العاطفة عند ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) في قوله ((وللشعر بواعث تحث البطيء وتبعث المتكلف منها الطمع ومنها الشوق ومنها الشراب ومنها الطرب ومنها الغضب))[٤]، أمَّا الخيال فهو العنصر المهم الآخر الذي لا يقل أهمية عن العاطفة في تكوين الصورة الشعرية، فهو الذي يخلقها ويوجدها وهو المدخل الأساس المنطقي في دراستها وهو يعني في الاستخدام اللغوي المعاصر ((القدرة على تكوين صورة ذهنية لأشياء غابت عن متناول الحس ولا تنحسر فعالية هذه القدرة في مجرد الاستعادة الآلية لمدركات حسية ترتبط بزمان أو مكان بعينه بل تمتد فعاليتها إلى ما هو أبعد وأرحب من ذلك فتعيد تشكيل المدركات وتبني فيها عالماً متميزاً في جدته وتركيبه وتجمع بين الاشياء المتنافرة والعناصر المتباعدة في علاقات فريدة تذيب التنافر والتباعد وتخلق الانسجام والوحدة))[٥].

والخيال بذاته استجابة للعاطفة الإنسانية فهو يجسد مظاهر تلك العاطفة ويجسم لنا ألوانها وأنواعها وبذلك يتبين أنّ ((للشاعر صفة الرسام والمصور فمن واجبه أن يجسم

---

(١) في النقد الأدبي: د. عبد العزيز عتيق: ١٠٢.
(٢) في الاسلوب الأدبي: ٦٦.
(٣) ينظر: في النقد الأدبي: ١٠٢.
(٤) كتاب الصناعتين: ٧٩.
(٥) الصورة الفنية في التراث النقدي البلاغي: ١٣.

المجردات ويشخص الجمادات ويبث الحياة في كل شيء))[١]. ويرتبط وجود الخيال منذ القدم بالعواطف والرغبات المكونة في النفس الإنسانية وقد ((وجدنا أنَّ الإنسان يلجأ إليه، أما للاستعانة به على فهم مظاهر الكون وتعابير الحياة وأما لإظهار ما في نفسه من معنى لا يفصح عنه الكلام المألوف وأوّل هذين الأمرين هو أقدمها نشوءً في النفس الإنسانية))[٢]، وبذلك يمكن أن يعد عنصر الخيال مقياساً أو محكاً لمقدرة وإمكانية الشاعر في رسم صورة ونستطيع أنْ ((نصف الشاعر على أساس قدرته الخيالية المتميزة وعادة ما نذهب إلى القول بأنَّ خيال الشاعر هو الذي يمكنه من خلق قصائد ينسج صورها من معطيات الواقع ولكنهُ يتجاوز حرفية هذه المعطيات ويعيد تشكيلها سعياً وراء تقديم رؤية جديدة متميزة للواقع نفسه))[٣].

وبما أنَّ الخيال يوجد الصورة المناسبة للأفكار والعواطف الراسخة في النفس، وبما أن طبيعة العواطف والأفكار تختلف من شاعر إلى آخر ولكون الصورة الشعرية تمثل المواقف النفسية عند الشعراء وهي مرآة للتجربة الشعورية في نفس كل شاعر؛ لذا تعددت طرق التعبير عنها وجاء الشعر الجاهلي بصورة مختلفة تمثلت في صور التشبيه تارة وفي الاستعارة تارة أخرى، بينما وظّف بعض الشعراء الكناية في رسم الصورة التي يبتغونها، وارتأيت فيما يلي الكشف عن هذه الصور في تفسير الطبري.

أ. التشبيه:

عند تتبع البحث وجدت أنَّ التشبيه هو الصيغة الواضحة والمميزة للأبيات التي ذكرها الطبري في تفسيره، ويبدو أنَّ ذائقته قد أعجبت بهذه الصور بوصف ((التشبيه أكثر ظهوراً وجذباً للانتباه للوهلة الأولى من غيره إذ إن إرادته تجعله أوّل ما يلفت

(١) في الاسلوب الأدبي: ٦٧.
(٢) في النقد الأدبي: ١١٨.
(٣) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب: ١٤.

انتباه المتلقي للشعر فضلاً عن كثرته الملحوظة في الشعر الجاهلي))[١].

ويقصد الشاعر في التشبيه إقامة علاقة بين موصوفين اشتركا في أكثر من صفة لكون لأنَّ ((التشبيه إنما يقع بين شيئين بينهما اشتراك في معان تعُمهما ويوصفان بها وافتراق في أشياء ينفرد كل واحد منهما عن صاحبه بصفتها))[٢]، وأنَّ الشاعر يعمد إلى جعل ((أحد الموصوفين ينوب مناب الآخر))[٣]، وعلى أنْ يكون شيئًا أو الموصوف يشبه ويقارب الآخر ((من جهة واحدة أو من جهات كثيرة لا من جميع جهاته لأنَّه لو ناسبه مناسبة كلية لكان إياه))[٤]، وأن يثبت لاحد المتشابهين بعض الصفات من الآخر لأن الغاية من ((التشبيه أنْ يثبت لهذا معنى من معاني ذاك أو حكماً من أحكامه))[٥]، ووضع الطبري العديد من صور التشبيه عند الشعراء الجاهليين في خدمة تفسيره، ومن بين هذه الصور قول أوس بن حجر في الصورة التي أفاض عليها القيمة الخيالية المستمدة من بيئته إذ أنَّ ((الشاعر القديم كان يعتمد على الواقع المحسوس في انتزاع صورة))[٦]، واختار الطبري في قول الشاعر وهو يشبه المطر وهو يجرف ما على الأرض بصبي يحمل خشبة يبسط بها الأرض وهذه الصورة تشبيهية انتقاها الطبري موظفاً قول الشاعر في تفسيره الذي قال فيه:

يَنْفِي الحَصَى عَنْ جَدِيْدِ الأرض مُبْتَرْكٌ   كأنُّه فَـاحِصٌ أو لَاعِبٌ دَاحـــي[٧]

---

(١) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب: ١٠٤.
(٢) نقد الشعر: ١٠٩.
(٣) كتاب الصناعتين: ٢٤٥.
(٤) العمدة: ٢٨٩/١.
(٥) اسرار البلاغة للشيخ الامام عبد القاهر الجرجاني: تحقيق، ه. ريتز، مكتبة المثنى ، بغداد، لصاحبها قاسم محمد الرجب، طبعة ثانية منقحة، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م: ٧٨.
(٦) القيم الفنية المستحدثة في الشعر العباسي من بشار إلى أبن المعتز، د. توفيق الفيل، جامعة الكويت، مطبوعات الجامعة ذات السلاسل، ١٩٨٤م:٣٦.
(٧) ديوانه ١٦؛ تفسير الطبري: م١٥، ج٣٠: ٦٠. والبيت من البسيط.

وتمعن الطبري في صور البيت وكشف عن مدلول الداحي والذي يعني البسط(١)، وعند دراسة الشعر الجاهلي في تفسير الطبري نجد أنَّ الشاعر الجاهلي قد رسم لوحات كبيرة في شعره وجعلها تنبض وتشعرنا بالحركة وديمومة الحياة وهذه اللوحات هي الصورة الشعرية في الشعر الجاهلي.

ووجدتُ من خلال الدراسة في تفسير الطبري أنَّ الشاعر الجاهلي أكثر من التصور في شعره لا سيما في الوصف إذ كان من أكثر الأغراض في التفسير، وقد ألمّ بالصورة ودقق في أجزائها، وقد حصر أطرافها وتناولها من الجوانب كلها(٢)، وفي تفسير الطبري تتجلى عناية الطبري بسوق الأبيات ذات الصور الشعرية حيث رؤية المفسر وتحسسه بجماليتها ومن حيث الافادة في تفسير الآيات القرآنية، ومن بين الأبيات التي ساقها الطبري قول أمرئ القيس وهو يصف حمار الوحش ويضفي الشاعر عليه خياله في ليرسم له صورة تشبيهية وقد اختار للخطوط في ظهر الحمار صورة ماء الذهب وهو يسيل من جعبة من الجلد فقال:

كأن سُراتَهُ وجُدّة مُتنِه   كنائِنُ يَجْرِي بَيْنَهُنَ دَلِيصُ(٣)

والطبري أرفد تفسير بيت آخر من أبيات امرئ القيس الذي تترشح منه صورة شعرية عبر فيها الشاعر عن هواجسه وعواطفه(٤)، وأبان الشاعر من خلالها أنّ الصورة ((المقام الارفع، إذ التعبير الفني يسمو فوق وظيفة اللفظة المرادة ويتجاوز دلالة المعنى المعهودة وإذا كانت اللغة أصلاً وعاء يراد منه نقل المعاني والأفكار وإبلاغها للآخر فإنّ هذه اللغة تبقى قاصرة عن التعبير عن دخلية النفس الإنسانية ونقل أحاسيسها ومشاعرها وهمومها وهواجسها وما من وسيلة أو أداة قط غير الصـــــورة

(١) ينظر تفسير الطبري، م١٣، ج٣٠: ٦٠.
(٢) ينظر الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه: ٩٧.
(٣) ديوانه: ١٨١؛ تفسير الطبري: م١٢، ج٢٢: ٢٢. والبيت من الطويل.
(٤) ينظر تفسير الطبري: م٣،ج٤: ٢٤٨.

المجسدة للخيال قادرة عن الإعراب عن عاطفة الإنسان))[١].

ووقف الطبري عند هذه الصورة للشاعر التي يشبه بها اندثار ديار الحبيبة بالزبور وهو الكتابة في عسيب نخل يماني وقد انمحت اثاره سوى بعض الكتابة الخفية فقال امرؤ القيس:

لمن طلت أبْصَرتُهُ فَشَجاني كَخَط زَبُوْرٍ في عَسِيبٍ يَمانِ[٢]

الطبري بيّن من خلال هذه الصورة أنَّ الزبور كلمة تطلق على الكتابة، ونجد من بيت أمرئ القيس وغيره من الشعراء الجاهليين أنَّ للطبيعة وما ارتبط بها من مظاهر وما اتسمت به حياة الشاعر الجاهلي من البساطة الأثر الأكبر في رسم الصور في شعره وهي حافلة بالتشبيهات، والاستعارات، والكنايات، وقلما نجد شعراً جاهلياً خلا من صور الطبيعة بحال من الأحوال، والملاحظ في الشعر الجاهلي أنَّ صور التشبيه كان لها قصب السبق في صور ذلك الشعر ونجدها ((في مجموعها مادة حسية مشتقة من الصحراء، وما تنطوي عليه من مظاهر الطبيعة وعناصر الحياة، وقلما وجدنا لهم تشبيهات عقلية تحتاج إلى شيء من أعمال العقل أو معاناة الفكر، لأنَّها تشبيهات قريبة يسيرة يستمد الشاعر مما يراه في البيئة الطبيعية التي يعيش فيها، أو مما يسمعهُ من معلومات معروفة في هذه البيئة))[٣].

أورد الطبري في تفسيره صورة من صور التشبيه عند النابغة الذبياني وهو يشبهُ الثور مثل وحش في وجره وهو ضامر البطن، وذو لون أبيض مثل سيف لا شبيه له ولا نظير وهو وحيد فريد في وجره فقال:

من وَحْش وجَرةَ مَوْشي اكارعُهُ طَاوِي المَصِيْرِ كَسيفِ الصَقِيلِ الفَرْدِ[٤]

---

(١) المدخل لدراسة الأدب واللغة، جامعة قطر ، كلية الانسانيات ، قسم اللغة العربية، دار قطري بن الفجاءة للنشر والتوزيع، الدوحة، قطر، ط٣، ١٤٠٥هـ-١٩٩٤م: ٢٥.
(٢) ديوانه: ٨٥، تفسير الطبري: م٣، ج٤: ٢٤٨. والبيت من الطويل.
(٣) دراسات في أدب ونصوص العصر الجاهلي: ٢٤٨.
(٤) ديوان النابغة الذبياني: ٣٨، تفسير الطبري: م٥، ج٧: ٣٤٥. والبيت من البسيط.

ويتبين في البيت ((أسلوب الشاعر في التصوير وهذا من غير شك دليل على أهمية الموقف عند الشاعر ورغبته في الوقوف وإظهار الصورة في أدق جزيئاتها))[١]، والطبري استمد من البيت أنّ مدلول الفرد هو مفرد الفرادى كما في قوله تعالى: ((ولقد جئتمونا فرادى))[٢]، وهم الوحدان الذي ((لا مال معهم ولا اناث ولا رفيق ولا شيء مما كان الله خولهم في الدنيا))[٣]، وفي ذات السياق نجد أنّ ((من جيد التشبيه بأدوات الحرب تشبيه عمرو بن كلثوم لقرى اليمامة التي ظهرت أمامه إذ شبهها بأسياف بأيدي مصلتين))[٤] فقال:

فَأعْرَضَتِ اليَمَامَةُ واشْمَخَرَّتْ   كَأسْيَافٍ بِأيدي مُصْلِتِيْنَا[٥]

والعرض هو الظهور والبروز[٦]، ومن هذه الصورة التي رسمها لقرى اليمامة الطبري أبان عن مفهوم العرض في قوله تعالى: **((وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا))**[٧].

وان عرضها ظهورها للكافرين بالله[٨]، وتتجلى مقدرة الشاعر على بناء هذه الصورة على الرغم من ((البعد الذي بين المشبّه والمشبّه به في هذا التشبيه الأمر الذي جعل الشاعر غير مسبوق إليه))[٩].

وعدّ ابن رشيق هذا التشبيه أنّه من ((حسن التشبيه بين البعيدين حتى تصير بينهما مناسبة))[١٠]، وساق الطبري العديد من الأبيات الشعرية التي حفلت بصورة التشبيه

---

(١) النابغة الذبياني :مع دراسة للقصيدة العربية في الجاهلية، د. محمد زكي العشماوي، طبعة دار الشروق الاولى، القاهرة، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م: ٢٠٧.
(٢)الانعام: من الآية٩٤.
(٣) تفسير الطبري: م٥ ،ج٧: ٣٤٥.
(٤) اثر الحروب في تشكيل الصورة الأدبية، د. حمد النيل محمد الحسن ابراهيم، كلية المعلمين بالاحساء، مجلة جامعة ام القرى لعلوم الشريعة واللغة الأدبية وآدابها، ج١٩: ٣١٤، رمضان ١٤٢٥هـ: ٦٤١.
(٥) ديوانه : ٦٦، تفسير الطبري: م٩، ج١٦: ٤٦. والبيت من الوافر.
(٦) ينظر لسان العرب: م٦: ١٨٠، مادة (عرض).
(٧) الكهف: ١٠٠.
(٨) ينظر تفسير الطبري: م٩، ج١٦: ٤٦.
(٩) اثر الحروب في تشكيل الصورة الأدبية:٦٤١.
(١٠) العمدة: ٢٩٢/١.

لكونه ((وسيلة مباشرة من وسائل البيان يعمد اليه الشعراء في رسم صورهم، سهولة متناولة، وإنما تتفاضل الصور بدقة التشبيهات وانسجامها وبما تثير من تخيل واسترجاع للمقارنة بين المتشابهين))(١)، والطبري وظف صورة التشبيه عند طرفة بن بن العبد إذ يشبه الموت وقربه من الإنسان كالحبل الذي يطوّل للدابة لترعى فيه(٢)، فقال:

لَعَمْرُكَ إنَّ المَوتَ مَا أَنْسَأ الفَتَى   لَكَالطُّولِ المُرْخَى وَثَنَاياهُ بِاليَدِ(٣)

وأبان الطبري من خلال البيت عن مدلول (انسا) وإنها بمعنى التأخير(٤) وطرفة بن العبد رسم صورة من الموازنة بين الشيئين لذلك عدّ ابن رشيق القيرواني (ت٤٥٦هـ)، أنّ من التشبيه المجاز لكون ((المتشابهين في أكثر الأشياء إنما يتشابهان بالمقاربة وعلى المسامحة والاصطلاح لا على الحقيقة))(٥)، ومن بين الشعراء الذين برزوا وكانت لهم القدرة على رسم صور التشبيه امرؤ القيس وهذا الأمر الذي حدى بابن سلام (ت٢٣١هـ)، ويقول ((إنّهُ أحسن اهل طبقته تشبيهاً))(٦)، ومن صور التشبيه التي رصدها الطبري من تشبيهات امرئ القيس قوله:

فَآتَتْ أَعَالِيْهِ وَادَتْ أُصُولَهُ   وَمَالَ بِقِنْوَانٍ مِن البُسرِ أحْمَرا(٧)

والشاعر في هذه الصورة يشبه النساء في المتكأ المرتفع في الهودج بجمالهن وما يحملن من ألوان الصوف المختلفة كالنخيل القنوان المرتفع(٨)، والطبري

(١) الشعر في تاريخ الطبري:٢٨١.
(٢) ينظر ديوان طرفة:٢٦، تفسير الطبري: م١، ج١ :٦٢٧.
(٣) ديوانه: ٤٨؛ تفسير الطبري: م١، ج١: ٦٢٧. والبيت من الطويل.
(٤) ينظر تفسير الطبري:م١، ج١: ٦٢٧.
(٥) العمدة: ٢٧٠/١.
(٦) طبقات فحول الشعراء ، م١: ٥٥.
(٧) ديوانه :٥٧؛ تفسير الطبري ، م٥،ج ٧: ٣٦٤. والبيت من الطويل.
(٨) ينظر ديوانه : ٥٧.

كشف من خلال هذه الصورة أنّ القنوان في قوله تعالى: ((مِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ))(١)، هو الغصن الذي له شعب(٢)، واستعار امرؤ القيس للنساء صورة الشجر المثمر وأنّ هذه((الصورة الدقيقة من نسج الخيال تنمّ عن قدرة في التأليف بين الواقع وبين الذاكرة التي تملي على الشاعر المدركات الحسية والذهنية المتصورة))(٣)، ونجد الصورة في شعر امرئ القيس ((تعتمد على التشبيه، والاستعارة، والكناية، وكلها تحقق معنى واحداً أيّ أنّ الشاعر في هذه الفترة كان يحقق الصورة الواحدة بأكثر من تشبيه أو استعارة وذلك ما يعرف بفن تراكم الصور))(٤).

ولذا نرى أنّ الشعراء الجاهليين عمدوا إلى توظيف الصورة الشعرية في أشعارهم لتكون من أكبر الوسائل المجسدة لعواطفهم، وانفعالاتهم، وكان لخيالهم المقدرة والتمكن على تصوير أسمى معانيه ومشاعره في تلك الصورة وعلى نحو أثار في نفس القارئ أو المتلقي الاحساس الشديد بها ومن خلال التشبيهات التي أسلفت في عرضها يتبين أثر الطبيعة والبيئة في الشعر الجاهلي وأنّ ((المظاهر الطبيعية والاجتماعية التي تأثر بها ،فقد ظهرت واضحة في الأفكار التي عرضها الشعراء والصور التي رسموها والأخيلة التي تخيلوها))(٥)

وكان لصور الحروب في الشعر الجاهلي حضور في تفسير الطبري الذي أدرك القيمة الفنية لتلك الصور مما حدا به أنّ يستشهد بها ومن بينها صورة يشبه بها أوس بن حجر القتلى من قبيلة غي كجذوع النخل إذ يقول:

---

(١)الانعام:٩٩.
(٢) ينظر: تفسير الطبري: م١، ج٧: ٣٦٤.
(٣) الشعر في تاريخ الطبري: ٢٨٥.
(٤) القيم الفنية المستحدثة في الشعر العباسي من بشار إلى أبن المعتز:٤٣.
(٥) المرأة في الشعر الجاهلي ، د. علي الهاشمي، مطبعة المعارف ، بغداد، ١٩٦٠م: ٤١-٤٢.

وَقَتْلَى كِرَامٌ كَمِثْلِ الجُذُوعِ تَغْشَاهُمُ سَبَلٌ فَهَمَرْ(١)

ثم اسبغ الشاعر على القتلى صورة أخرى تتمثل في إن المطر أغشى تلك الأجساد، وفي دراستي لشعر الجاهلي وجدت صورة المطر جاءت في أغلب أشعار الجاهليين وبأشكال مختلفة تارة يرسم لبيد بن ربيعة أثر المطر على بقرة فقدت ولدها في الصحراء وبقيت تلك الليلة والمطر غطى ظهرها من ذنبها إلى عنقها، أما علقمة بن عبده فإنه يصور ما تركه المطر من أذى وذعر وقتل على طيور أصابها، أما أوس بن حجر فيختار صورة المطر على القتلى ليبين ما حل بهم(٢)، ولذلك يرى البعض أن الشعراء في ذكرهم المطر كانوا يحذون خطى امرئ القيس ونهجه وهو يصف مطرًا لم يترك جذع نخلة ولا حصن ولا بيت إلا خربه وهدمه ولم يسلم من هذا المطر إلا البناء الذي بني بالشيد والجندل(٣) ويقول امرؤ القيس في هذه الصورة:

وَتَيْماءُ لَمْ يَتْرُك بِهَا جِذْعَ نَخْلَةٍ وَلا أطْمًا إلّا مَشيْداً بِجَنْدَلِ(٤)

وبعد امرئ القيس بدأ ((الشعراء من بعده يقيمون للمطر بناءًا كبيراً، كل شاعر يضيف إليه جانباً من عمله وكل شاعر يرى أنه يجب عليه أن يتم النهج الذي بدأه امرؤ القيس))(٥).

وشاعت تلك الصورة التي حفلت بالمطر وآثاره في الطبيعة وإنَّ ((كل شاعر نذر للمجتمع أن يعطي له من شعره شيئاً لكي تبقى صورة مطر امرئ القيس حية على الدوام))(٦).

---

(١) ديوانه: ٣٠، ووردت لفظة ((مسبل) بدل (سَبَل)؛ تفسير الطبري ، م٨، ج١٣: ٢٠٤. والبيت من المتقارب.
(٢) ينظر: تفسير الطبري، م١، ج١: ١٤٤، م١، ج١: ١٩٣، م٨، ج١٣: ٢٠٤.
(٣) ينظر: ديوان أمرؤ القيس: ٢٥.
(٤) المصدر نفسه: ٢٥، تفسير الطبري: م١٠، ج١٧: ٢٣١. والبيت من الطويل.
(٥) قراءة ثانية لشعرنا المعاصر: ٢٥.
(٦) المصدر نفسه: ٢٥.

والطبري تأمل في الصورة الشعرية عند أوس بن حجر في تشبيه القتلى بجذوع النخل التي أصابها المطر واستمد منها تأويل قوله تعالى: ((لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ))(١) بمعنى ((ليس كشيء وليس مثله شيء))(٢).

وقف الطبري عند صورة من التشبيه يسمى (التشبيه التمثيلي)، إذ يرى ابن رشيق القيرواني أنَّ ((التمثيل والاستعارة من التشبيه))(٣)، وهذه الصورة التشبيهية رسمها المثقب العبدي لراحلته وهي تتأوه عند بضع رحله عليها فقال:

إذَا مَا قُمْتُ أرْحِّلُها بِلَيلٍ   تأوَّهَ آهَةَ الرَّجُلِ الحَزِيْنِ(٤)

والشاعر أوغل في الوصف ليبين أن الناقة في آلامها وحزنها كالرجل الأواه الذي يتأوه بمرض أو نكبة، والطبري أدرك أن نبي الله إبراهيم (عليه السلام) كان يتأوه بالدعاء والتضرع لله بإشفاق ويقال أنَّ ذلك لرقته وحبه لأبيه ومن الرحمة له وللناس(٥)، والطبري ساق قول المثقب في بيان قوله تعالى: ((إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ))(٦)، وهو مدركٌ أنَّ المثقب العبدي يهدف في قولهِ ((إشارة إلى معنى فيضع كلاماً يدل على معنى آخر وذلك المعنى الآخر والكلام منبئان عما اراد أنْ يشير إليه))(٧).

وقدم ابو ذؤيب الهذلي (كأنَّ) في أحد أبياته لتقوية التشبيه في صورة مشبهاً الحمار وهو يدفع بأنثاه كصاحب المسير وهو يجمع أقداحهُ تحت خرقة تسمى الربابة فيقول:

وَكَأنَّهُنَّ رَبَابَةٌ وَكَأنَّهُ   يَسَرٌ يَفِيْضُ إلىٰ القِدَاحِ وَيَصْدَعُ(٨)

---

(١) الشورى: من الآية ١١.
(٢) تفسير الطبري: م٨، ج١٣: ٢٠٤.
(٣) العمدة: ٢٨٢/١.
(٤) شعره: ٤٩؛ تفسير الطبري، م٧، ج١١: ٦٩. والبيت من الوافر.
(٥) ينظر تفسير الطبري: م٧، ج١١٦٩، ٧٠.
(٦)التوبة: من الآية ١٤.
(٧) نقد الشعر: ١٥٨.
(٨) ديوان الهذليين: ٦؛ تفسير الطبري، م٨، ج١٤: ٨٦. والبيت من الكامل.

واستمد الطبري من الصورة في إشارة إلى الصدع الذي يقوم به صاحب المسير وهو تفريغ الاقداح وبيان الحكم وبين أنَّ معنى ((يصدع يقرع بالقداح))[١]، وساق المعنى في تفسيره قوله تعالى:((فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ))[٢].

ورسم عنترة صورة من التشبيه لسيفه وهو يشبه (عقيقه) أي مثل لمعة البرق:

سَيْفِي كَالعَقِيْقَةِ فَهوَ كَمْعِي   سِلَاحِي لَا أفْلَّ وَلَا فُطَارُ[٣]

والشاعر يضفي على سيفه صورة البرق ولمعانه وأنَّه سيف قوي لا يضاهيه سيف ومن شدته فهو كمع أي ذات ضجيج[٤]، وأنَّه لا شق فيه ولا إفطار، والطبري لم يغفل عن الصورة والتعليق عليها مبيناً أنَّه يراد من القول ((سيف فطار إذا كثر فيه التشقق وهو عيب فيه))[٥]، وأنَّ الله (سبحانه وتعالى) خلق السماء بغير تشقق وصدوع وهو القائل ((هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ))[٦]، وفي قول عنترة يتبين وجه من أوجه التشبيه لمعنى يجمعهما))[٧]، ومن التشبيه ((تشبيه الشيء بالشيء لوناً وحسناً))[٨]، ومن ذلك قول علقمة بن عبدة في البيت الذي أورده الطبري، وقد اختار الشاعر الوان الكميت وهو لون بين الأسود والأحمر واللون الأرجواني[٩] ولجمالها ينشرها على فرسه فيقول:

كُمَيْتٌ كَلَوَنَ الأُرْجُوَانِ نشْرَتُهُ   بِنَبْعِ الرَعي فِي الصُّوانِ المُكَعَّبِ[١٠]

---

(١) تفسير الطبري: م٨، ج١٤: ٨٦.
(٢)الحجر: من الآية ٩٤.
(٣) ديوانه : ٣٨؛ تفسير الطبري: م٥، ج٧: ٢٠٣. والبيت من الوافر.
(٤) ينظر: اسماء السيوف وصفاتها: ٧٧.
(٥) تفسير الطبري: م٥، ج٧: ٢٠٣.
(٦) الملك: من الآية ٣.
(٧) كتاب الصناعتين: ٢٤٦.
(٨) معجم البلاغة العربية: صنفه الدكتور بدوي طبانة، دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة، دار ابن حزم، بيروت، بيروت، لبنان، ط٤ (مزيدة ومنقحة)، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م: ٣٠٤.
(٩) ينظر: ديوان علقمة بن عبدة: ١٤.
(١٠) المصدر نفسه: ١٤؛ تفسير الطبري: م٩، ج١٦: ١٥٢. والبيت من الطويل.

ولم يكتفِ الشاعر بنشر الألوان، بل اختار لها صورة تظهر دافع الشغف والحفاظ عليها فهي كالصوان وهي قطعة القماش وتسمى (البقجة) وأنَّها كثياب محفوظة تصان لتباع(١).

وقول علقمة كشف بوضوح علاقته وارتباطه بذلك الحيوان وأنَّ معاملته كشفت عن أنّ ((الفرس أعطى كثيراً من المزايا التي حرم منها الفقراء وغير الموسرين وظهرت آثار الجمال والعناية على وجهه وجسمه))(٢).

وأراد الشاعر أنْ يكون فرسهُ في أجمل وأحسن رئي والذي يقصد به المنظر لذا وصفه بهذا التشبيه في هذه الصورة التي استنبط منها الطبري أنَّ الرئي هو المنظر(٣) في قوله تعالى: ((أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِئْيًا))(٤). ومن صور التشبيه ((تشبيه شيئين مختلفين لمعنى يجمعهما))(٥) والطبري ذكر في تفسيره قول النابغة الذبياني شاهداً على هذا التشبيه والذي شبه عيينة بن حصن بجمال بني اقيش إذ يقول:

كَأَنَّكَ مِنْ جَمالِ بَنِي اقِيشٍ   يُقَعْقِعُ خَلْفَ رِجْلَيْهِ اَشِنُّ(٦)

وافتتح الشاعر صدر البيت بالأداة (كأنَّ) وهي من أدوات التشبيه إذ أن ((أصل التشبيه مع دخول الكاف أو مثل أو كأنَّ وما شاكلها))(٧).

والشاعر يهجو عيينة بن حصن مشبهاً إياه بأنَّه من تلك الجمال بوصفه سريع الغضب وينفر مما لا ينبغي النفور منه، ولكون أنَّ تلك الجمال ((ضعافاً غير عتاق، تنفر من كل شيء وقد شبه المهجو في خفة الرأي وقلة التبصر بخفة تلك الجمال كما

---

(١) ينظر: ديوانه: ١٤.
(٢) قراءة ثانية لشعرنا القديم: ٨٢.
(٣) ينظر تفسير الطبري: م٩، ج١٦: ١٥٢.
(٤) مريم: من الآية ٧٤.
(٥) معجم البلاغة العربية: ٣٠٣.
(٦) ديوانه: ١٢٩، ووردت لفظة (يشن) بدل (أشن)؛ تفسير الطبري، م١، ج١: ٩٨. والبحر من الوافر.
(٧) العمدة: ٢٩٣/١.

استعمل لفظة يقعقع محدثاً صوتاً، لأنَّها من الألفاظ التي تحاكي معناها، فالقعقعة صوت يحصل عند تحريك أو قرع شيء يابس))[١]، أمّا الشن فهي ((قربة بالية يابسة إذا ما قرعت صوتت ومن هذا الصوت تنفر تلك الجمال))[٢].

ومن خلال هذه الصورة التشبيهية وغيرها من الصور الشعرية الأخرى يتضح أنَّ الشاعر الجاهلي كان يجد في ((الناقة رمزاً لكل هم أو اهتمامًا أساسيًا ولذلك لا ينافسها في خلق الأفكار شيء))[٣]، الطبري تأمل وأدرك أنَّ الشاعر أراد ((كأنَّك من جمال بني بني اقيش جمل يقعقع خلف رجليه بشن))[٤]، وجعل قول الشاعر دليلاً على أنَّ الصراط الصراط المستقيم هو صراط الذين أنعم الله عليهم وهي بيان عن معنى الصراط وتجاور العبارتين يغني عن التكرار في قوله تعالى: ((اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ))[٥].

عَلَيْهِمْ))[٥].

وجاءت أكثر التشبيهات في غرض الوصف بوصفه يمثل عند الشعراء القدرة على تصوير الأشياء في هيأة تشبيهات دقيقة قادرة على تقديمها للمتلقي، وتفاضل الشعراء فيما بينهم في صورهم الشعرية ودقة وصفهم ((فمنهم من يجيد وصف شيءٍ ولا يجيد وصف آخر ومنهم من يجيد الاوصاف كلها وإن غلبت عليه إلا جاد في بعضها كامرئ القيس قديماً))[٦]، ولذا يرى ((ابو عمرو بن العلاء: أنَّ الشعر فتح

---

(١) الصورة السمعية في الشعر العربي قبل الاسلام -دراسة- د. صاحب خليل إبراهيم، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، مكتبة الاسد، دمشق: ٢٠٠٠م: ٢٢.
(٢) المصدر نفسه: ٢٢-٢٣
(٣) قراءة ثانية لشعرنا القديم: ١١٥.
(٤) تفسير الطبري: م١، ج١: ٩٨.
(٥) الفاتحة: ٦-٧.
(٦) العمدة: ٢٣١/٢.

بامريءِ القيس وختم بذي الرُّمَّة))[١]، ونجد أنَّ ((كلا الشاعرين قدّ فضل بالقدرة على التشبيه))[٢].

وأشار ابن سلّام إلى هذا المعنى في طبقاته فهو يرى أنَّ امرأَ القيس أحسن الشعراء الجاهليين تشبيهاً وذا الرمة أحسن أهل الإسلام تشبيهاً[٣]، ومن تشبيهات امرئ القيس قوله:

أرَى الْمَرْءَ ذَا الأذْوادِ يُصْبِحُ مُحْرِضًا　　كَإحرَاضِ بَكْرٍ فِي الدِّيَارِ مَرِيْضِ[٤]

والشاعر رسم صورة للإنسان في كبره وما تجتاحه من أمراض وقد ((شبه ذلك بالبكر المريض، وإنما خص البكر وهو الفتى من الإبل، لأنّه أقل احتمالاً وأسرع تغيراً لفناء سنه ونقصان قوته))[٥]، ومن هذه الصور الشعرية أدرك الطبري ما ابتغاه الشاعر الشاعر في اختيار حالة الإحراض وأنَّ ((أصل الحرض هو الفساد في الجسم والعقل من الحزن أو العشق))[٦]، وهذا المفهوم اختاره الطبري ليفسر قوله تعالى :((حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضاً))[٧]، وإذا كان امرؤ القيس قد شبه الإنسان في كبره بالصغير من الإبل نجد صورة أخرى عند زهير بن ابي سلمى وهو يشبه الحرب بأنها ((ناقة مشؤومة لا تلد إلا شؤماً وخرابًا وويلات وهي في ذلك تلتقي مع المرأة من حيث الخصوبة والولادة فالمرأة هي الناقة))[٨]، وزهير نص على ذلك في قوله:

---

(١) البيان والتبين: ٨٤.
(٢) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب: ١٠٥.
(٣) ينظر: طبقات فحول الشعراء: ٥٥/١.
(٤) ديوانه: ٧٧؛ تفسير الطبري: م٨، ج١٣: ٥٥. والبيت من الطويل.
(٥) ديوانه: ٧٧.
(٦) تفسير الطبري: م٨، ج١٣: ٥٥.
(٧)يوسف: من الآية٨٥.
(٨) صور الحرب وابعاده الاسطورية في الشعر الجاهلي ، اعداد ابتسام نايف صالح ابو الرب، رسالة ماجستير اجازتها جامعة النجاح كلية الدراسات العليا قسم اللغة العربية وآدابها، نابلس ، فلسطين، اشراف د. إحسان الديك،٢٠٠٦م: ٨٩.

فَتُنْتِجُ لَكُم غِلْمَانَ أَشْامَ كُلُهُم   كَأحمَرِ عَادٍ ثُمّ تُرضِعْ فَتَفْطِمِ[(١)]

والشاعر جعل ((الناقة في هذه الأبيات هي الرمز والانموذج الأعلى لفكرة الموت والهلاك والشر والدمار تحمل الحمل الكريه وتدر الدم الأحمر وتنتج غلمان الشؤم فهذه صورة خيالية مركبة حسية يصور زهير فيها الحرب بانها حرب معلومة نتائجها ومعاناتها فقد جربت قبل ذلك والحديث عنها غير قابل للظن أو الشك))[(٢)] .

وتوقف قلم الباحث عن الكتابة قليلاً متأملاً في صور التشبيه في نتائج الحروب متمنياً لو يفكر الطغاة كلهم بنتائجها قبل الزج بالناس في حروب قد لا تجدي أي منفعة ، والشاعر شبه غلمان الشؤم مثل عاقر ناقة صالح وأنّ صفة الشؤم صفة تطلق على الذكر والأنثى والطبري استنبط على إن الضراء اسم يقع للمذكر والمؤنث[(٣)] في قوله تعالى: ((وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ))[(٤)]، كما إن الشؤم في قول الشاعر صفة وصورة تطلق على المذكر أو المؤنث، أما الأعشى فبالرغم من اهتمامه ((بصورة المرأة وما تبعثه من شعور بالدفء والبرودة واللذة ونظر إلى حليها وثيابها فكان دقيقاً ومرهفاً فانه قد راقب كذلك حركاتها وبالأخص مشيتها)) [(٥)] فقال:

كَأنّ مِشْيَتِها مِنْ بَيْتِ جَارَتِهَا   مَوْرَ السَّحَابَةِ لا رَيْثٌ وَلا عَجَلِ[(٦)]

والشاعر اختار السحابة ليشبه بها مشية حبيبته حيث إنها متمهلة بين البطء والسرعة[(٧)]، والأعشى يعبر عن صورة أخرى في مشيتها وهي ((إن جسد المرأة يرتج

(١) شرح ديوانه : ٢٦؛وتفسير الطبري: م٢، ج٢: ١٣٢. والبيت من الطويل.
(٢) صور الحرب وابعادها الاسطورية في الشعر الجاهلي: ٨٩.
(٣) تفسير الطبري:م٢، ج٢: ١٣١-١٣٢.
(٤) البقرة: من الآية ١٧٧.
(٥) الاعشى الكبير: ٦٤.
(٦) ديوانه : ١٧٤؛ تفسير الطبري: م١٣، ج٢٧: ٢٧. والبيت من البسيط.
(٧) ينظر ديوان الاعشى: ١٧٤.

يرتج في مشيتها وهذا طبيعي في مجتمع نساؤه المحبوبات بدينات ينأون بحمل أجسامهن عند القيام ويتهادين كمن انقطعت أنفاسه من شدة العدو))[١].

دقق الطبري في هذه الصورة عند الأعشى ليبين إنما أراد الشاعر في مور السحابة ((التكفؤ والترهل في المشية))[٢]، وساق قول الشاعر في تفسير قوله تعالى: ((يَوۡمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوۡرٗا))[٣]، ومن خلال البيت ذكروا آراءً عدة في المور وما ستؤول اليه السماء في نهاية الحياة[٤].

ب. الاستعارة:

في الأبيات التي ذكرها الطبري من شواهد الشعر الجاهلي لمست أنَّ العديد من الشعراء عمدوا في اشعارهم على استعمال أساليب الاستعارة وهذا المصطلح مأخوذ من ((طلب العارية واستعارة الشيء واستعاره منه: طلب منه أن يعيره إياه))[٥]، وقد أشار إليها العديد من العلماء منها الرازي (ت٦٠٦هـ) والسكاكي (ت٦٢٦هـ) والقزويني (ت٧٣٩هـ) إلا إنهم ((لم يعرفوا الاستعارة وإن ذكروها مصطلحاً ومثالاً ولعل الجاحظ أول من عرفها))[٦]، وأنَّه قد أبان بوضوح عن معناها في وصفه بأنَّها: ((تسمية الشيء باسم غيره إذا أقام مقامه))[٧].

مقامه))[٧].

---

(١) الاعشى الكبير: ٦٤.
(٢) تفسير الطبري : م١٣، ج٢٧ : ٢٧
(٣) الطور: ٩.
(٤) ينظر تفسير الطبري: م١٣، ج٢٧: ٢٧-٢٨.
(٥) لسان العرب: م٦: ٥١٧، مادة (عور).
(٦) معجم المصطلحات البلاغية وتطوها: احمد مطلوب، مكتبة لبنان ناشرون، طبع في لبنان، إعادة طبع ٢٠٠٧م: ٨٣.
(٧) البيان والتبيين: ١٥٣.

أمّا قدامة بن جعفر (ت٣٣٧هـ) فقد كانت له اشارات إليها عند كلامه عن المعاضلة وشناعة الاستعارة في أبيات بعض الشعراء[١]، بينما جاء بعده ابو هلال العسكري (ت٣٩٥هـ) ليعرفها بقوله ((الاستعارة: نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره لغرض))[٢]، وإنما عنى بذلك الغرض ((شرح المعنى وفضل الإبانة عنه، أو تأكيده والمبالغة فيه، أو الإشارة إليه بالقليل من اللفظ، أو تحسين المعرض الذي يبرز فيه))[٣]، ودرس عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧٤هـ) الاستعارة بشكل أوسع وأدق ليبين أنَّ ((الاستعارة أن تريد تشبيه الشيء بالشيء فتدع أنْ تفصح بالتشبيه وتظهره وتجيء إلى اسم المشبه به فتعيرهُ المشبَّه وتجرهُ عليه))[٤]. وهو بذلك يحيل الاستعارة إلى أنَّها من ضروب التشبيه بوصفها من أنماط التمثيل[٥] بل عدها ((شبيها بالفرع له وصورة مقتضبة من صوره))[٦]، وعنى ((النقاد والبلاغيون العرب القدماء بدراسة الاستعارة اهتماماً كبيراً ولا نكاد نجد كتاباً عربياً متخصصاً في البلاغة أو النقد أهمل التعرّض لهذا الموضوع الذي اتخذ البحث فيه طابعاً إبداعياً أيضاً))[٧]، والطبري حذا هذا الحذو وأولى اهتمامه بالاستعارة وكان له السبق بذلك بوصفه أول المفسرين للقرآن الكريم وقد وظف الصورة الاستعارية في تفسيره وأفاد منها ومن بين تلك الصور التي استحسنتها ذائقته قول النابغة الذبياني وهو يرثي النعمان بن المنذر قبيل موته وهو يرسم صورة استعارية جعل فيها النعمان بمثابة فصل الربيع وهو يعمُ الأرض والنماء

---

(١) ينظر: نقد الشعر: ١٧٧.
(٢) كتاب الصناعتين: ٢٧٤.
(٣) ينظر: كتاب الصناعتين: ٢٧٤.
(٤) دلائل الاعجاز : ٦٧.
(٥) ينظر: اسرار البلاغة: ٢٠.
(٦) المصدر نفسه: ٢٨.
(٧) شعرية المغايرة دراسة لنمطية الاستبدال الاستعاري في شعر السياب: د. إياد عبد الودود الحمداني، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط١، ٢٠٠٩م: ١٠.

وأنَّ موته سيجعل الناس في شطب العيش مثل البعير الذي هزل وذهب سنامه[١] ولذا ذكر الطبري البيتين وهما مفعمان بهذه الصورة في قول الشاعر:

فَإنْ يَهْلِكْ أبُو قَابُوسٍ يَهْلِك رَبِيْعُ النَّاسِ وَالشَّهْرِ الحَرَامِ
وَنُمْسِكُ بَعْدَهُ بِذِنَابِ عَيْشٍ أجبَّ الظَّهْرِ لَيْسَ لَهُ سَنَامُ[٢]

أمّا أوس بن حجر فيستعير للمرثي صورة الجبل الشامخ الذي بموته يشعر أنَّ يوم القيامة قد حدث وتغيرت معالم الكون فانكسفت الشمس، والقمر، والكواكب لهذا الجبل، والطبري لم يغفل عن هذه الصورة في قول الشاعر:

ألَمْ تَكْسِفِ الشَّمْسُ وَالبَدْرُ وَالـ كَواكِبُ للجَبْلِ الوَاجِبِ[٣]

كانت للطبري وقفة امام لفظة (الواجب) في هذه الصورة وليبين أنَّ المراد من اللفظة الغياب ويقال ((قد وجبت الشمس إذا غابت))[٤] وليستدل على معنى الوجوب الوجوب

في قوله تعالى: ((**فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا**))[٥]، وقد بدت في قول أوس بن حجر أهمية

الاستعارة بوصفها ((تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ حتى تخرج من الصَدَفة الواحدة عِدّةً من الدرر وتجنى من الفص الواحد أنواعاً من الثمر))[٦]، وتعددت وتعددت دراسات الاستعارة وشخص الدارسون أنواعًا مختلفة لها ومن هذه الأنواع: الاستعارة التي هدفها ((هو الرغبة في التأثير في المستمعين ونرى هذه الاستعارة في الخطب الدينية والخطب السياسية ولغة الشعارات))[٧]، ومن أمثلة هذا النوع من

---

(١) ينظر: ديوان النابغة الذبياني: ١١٨.
(٢) المصدر نفسه: الصفحة نفسها؛ تفسير الطبري: م١٣، ج٢٥: ٤٥. والبيتان من الوافر.
(٣) ديوانه : ١٠؛ وتفسير الطبري: م١٠، ج١٧: ٢١٠. والبيت من المتقارب.
(٤) تفسير الطبري: م١٠، ج١٧: ٢١٠.
(٥)الحج: من الآية ٣٦.
(٦) اسرار البلاغة: ٤١.
(٧) ابداع الدلالة في الشعر الجاهلي: ١٣٢.

الاستعارة البلاغية في الشعر الجاهلي ((الاستعارة في (الأيام الغر) أي المشهورة كالخيل))[١]، عند عمرو بن كلثوم التغلبي في قوله:

وَايـَّــــامٍ لَنَــــــا غُرٍّ طِوَالٍ عَصَيْنَا المَلِكَ فَيْهَا أَنْ نَدِيْنَا[٢]

الطبري وظف البيت في بيان مدلول الأيام التي تعني النعم وأنَّ الشاعر أراد من خلال هذه الصورة الإشارة إلى أنَّ أيامهم كانت ((غرّاً طوالاً لإنعامهم على الناس فيها))[٣]، وهو المعنى المراد في قوله تعالى: ((وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ))[٤].

إنَّ المقصود بـ (أيام الله) نعم الله[٥]، ورسم علقمة بن عبدة لوحة فنية تدل على المبالغة والأسى لفراق محبوبته وكثرة دموعه التي استعار لها صورة ساقية الماء التي سقت الأشجار وتفتحت أوراقها وتمايلت ثمارها من كثرة سقيها بالماء[٦] فقال:

تَسْقِي مُذَانِبَ قَدْ مَالَتْ عَصيفُتها حَدُورُها مِن أيّ المَاءِ مَطْعُونُ[٧]

الطبري قد كانت له وقفة أمام لفظة (عصيفها) في البيت ليبين أنَّ العصف هو النبت[٨] في قوله تعالى: ((وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ))[٩].

وهنا عمد الشاعر على المبالغة وهي من أغراض الاستعارة التي تضاف إلى الأغراض الأخرى كالاختصار والإيجاز[١٠].

---

(١) المصدر نفسه: ١٣٣.
(٢) ديوانه: ٦٨؛ وتفسير الطبري: م٨، ج١٣: ٢٢٩. والبيت من الوافر.
(٣) تفسير الطبري: م٨، ج١٣: ٢٢٩.
(٤)إبراهيم: من الآية ٥.
(٥) ينظر تفسير الطبري: م٨، ج١٣: ٢٢٩.
(٦) ينظر: ديوان علقمة بن عبدة: ٥٠.
(٧) المصدر نفسه: الصفحة نفسها؛ تفسير الطبري: م١٣، ج٢٧: ١٤٩. والبيت من البسيط.
(٨) ينظر تفسير الطبري: م١٣، ج٢٧: ١٤٩.
(٩)الرحمن: ١٢.
(١٠) ينظر اسرار البلاغة: ٢٢١.

ج. الكناية:

من جوانب الصورة الشعرية التي حفلت بها شواهد الشعر الجاهلي في تفسير الطبري الكناية التي لمسنا عند قدامة بن جعفر(ت٢٣٧هـ)، السبق في دراستها عند بيانه الائتلاف بين اللفظ والمعنى التي أطلق عليها اسم الأرداف التي تعني عنده ((أن يريد الشاعر دلالة على معنى من المعاني فلا يأتي باللفظ الدال على ذلك المعنى، بل بلفظ يدل على معنى هو ردفه وتابع له، فإذا دل على التابع أبان عن المتبوع))[١].

إما عند ابي هلال العسكري (ت٣٩٥هـ)، فقد جاءت بمفهوم الستر والخفاء فيقول عنها ((وهو أن تكني عن الشيء وتعرض به ولا تصرح على حساب ما عملوا في اللحن والتورية عن الشيء، كما فعل العنبري إذ بعث إلى قومه بصرة شوك وصرة رمل وحنظلة: يريد جاءتكم بنو حنظلة في عدد كثير ككثرة الرمل والشوك))[٢].

وجاءت دراسة ابن رشيق القيرواني (ت٤٥٦هـ)، ليدرج الكناية في باب الإشارة ويعد ((من أنواع الإشارات الكناية والتمثيل))[٣]، ويرى إن التورية التي هي قسم من أقسام باب الإشارة من الكناية فيقول عنها((وأما التورية في أشعار العرب فإنما هي كناية بشجرة أو بشاةٍ أو بيضةٍ أو ناقةٍ أو مهرةٍ أو ما شاكل ذلك))[٤].

وفي دراسة التورية عند ابن رشيق القيرواني(ت٤٥٦هـ)، يتبين ((إن معظم الأساليب التي درسها في التورية هي من أسلوب الكناية ، ولعل السبب في ذلك هو المفهوم اللغوي إذ إن معنى التورية اللغوي هو الستر والخفاء وهو لا يختلف عن معنى

---

(١) نقد الشعر : ١٥٥-١٥٦.
(٢) كتاب الصناعتين: ٣٨١.
(٣) العمدة: ٣٠٨/١
(٤) المصدر نفسه : ١٣٣/١.

الكناية اللغوية كثيراً))[١]، والطبري ذكر عجز بيت من أبيات امرئ القيس الذي كنى به الشاعر عن مضاجعته مع عشيقته في أجود الاختيار للألفاظ فقال:

فَصِرْنَا إلى الحُسْنَى وَرَقَّ كَلامُنَا   وَرَضَتْ فَذَلَّتْ صَعْبَةٌ أيَّ إذْلَالِ[٢]

والطبري تحسس بهذه الصورة عند امرئ القيس وإن شاعرنا أراد في قوله ((رضت بمعنى أذللت))[٣]، وعند العرب يرضى بالبعير بالسير إلى أن يذل[٤].

وساق الطبري قول الأعشى في مدح هوذة بن علي الحنفي:

فِيْ كُلِّ عَامٍ انْتَ جَاشِمُ غَزْوَة   تُشَدُّ لِأقْصَاهَا عَزِيمُ عَزَائِكَا

مُورِثَةً مَالاً وَفِي الذِكرِ رِفْعَتُهُ   لَمَا ضَاعَ فِيْهَا مِنْ قُروءِ نِسَائِكا[٥]

والقرء في البيت كناية عن الطهر وذكر الطبري أنه سمى البعض ((من العرب وقت مجيء الطهر قرءً))[٦]، والثعالبي (ت٤٢٩هـ) يؤيد هذا الرأي فيقول ((القروء ههنا الأطهار لأن الممدوح لما كان كثير الغزو، لم يغش نساءه للغيبة عنهن في مغازيه أضاع أطهارهن))[٧]، ومن البيت يتبين أنّ الأعشى في شعره ((كانت جراءته واضحة المعالم في صدق مقالته حين يمدح أو يفتخر أو يهجو وهكذا اكتسب شعره سيرورة ونزل من القلوب منزلة رفيعة فكان أقدر الشعراء على وضع الرفيع ورفع الوضيع))[٨].

---

(١) الكناية اساليبها ومواقعها في الشعر الجاهلي ، محمد حسين علي الأمين أحمد، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة ، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م: ٣٠.
(٢) ديوانه :٣٢؛ تفسير الطبري، م٤،ج٦: ١٩٩. والبيت من الطويل.
(٣) تفسير الطبري، م٤،ج٦: ١٩٩.
(٤) ينظر: ديوان امرئ القيس:٣٢.
(٥) ديوانه: ١٦١؛ تفسير الطبري،م٢،ج٢: ٥٩٠. والبيتان من الطويل.
(٦) تفسير الطبري،م٢،ج٢: ٥٩٠.
(٧) الكناية والتعريض: أبو منصور عبد الملك بن محمد اسماعيل الثعالبي النايسبوري (ت٤٢٩هـ)، دراسة وشرح وتحقيق د. عائشة حسين فريد ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع شركة مساهمة مصرية،٣٠:١٩٩٨.
(٨) ديوان الاعشى: ١٣.

واختار امرؤ القيس بياض الثغر والنعومة والرقة وجعلها تعابير كنائية عن صفة الجمال لمحبوبته الشابة الجميلة[١]، فقال:

وَمِثْلُكِ بيضاءُ العَوَارِضِ طَفلةً　　لَعوبٌ تُنسِينِي اذَا قُمْتُ سِرْبَالِي[٢]

الطبري استنبط من هذه الصورة رؤيته في تفسير قوله تعالى: ((سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ))[٣]، مبيناً ان الشاعر اراد بسربال القميص وهو المراد في الآية[٤]، أما قول لبيد بن ربيعة:

وَفِي الحُدُوجِ عَرُوبٌ غَيرُ فَاحِشَةٍ　　رّيا الرّوَادفِ يَغْشَى دُونَهَا البَصَرُ[٥]

فقد جمع فيه صورتين من الكناية عن المرأة حيث كنى في صدر البيت عن أخلاقها وانها عروب أشار إلى حسن تبعلها والمحبة لزوجها وبأنها لا تفحش في الكلام، بينما كنى في الصورة الثانية عن جمال المرأة واختار العجيزة لتكون كناية عن أحد محاسن جمالها[٦]، ويبدو هذا النوع من التغزل بهذه الأعضاء عند المرأة كان متداولاً في ((الشعر الجاهلي فقد وصف الشعراء عجيزة المرأة بالامتلاء وخصرها بالدقة والضيق ، وبلغوا في وصف الدقة إلى حد قالوا فيه إنه لضيقه يكاد ينقصف، ولا يناسب الخصر الضيق هذه العجيزة العريضة الواسعة))[٧].

ولم يغفل الطبري عن قول لبيد ليبين إن ما اختاره الشاعر في وصف النساء بأنه عروب، هذه الصفة أرادها الله سبحانه تعالى لتكون من صفات ومميزات نساء الجنة فقال تعالى: ((اِنّا أَنْشَأْنَاهُنّ إِنْشَاءً فَجَعَلْنَاهُنّ أَبْكَاراً عُرُباً أَتْرَاَبًا))[٨]، إشارة إلى حسن تبعلهن

(١) ينظر ديوان أمرؤ القيس: ٣٠.
(٢) المصدر نفسه: ٣٠؛ تفسير الطبري: م٨، ج١٣: ٣١٨. والبيت من الطويل.
(٣)ابراهيم : من الآية ٥٠.
(٤) ينظر تفسير الطبري: م٨، ج١٣: ٣١٨.
(٥) شرح ديوانه :٦١. تفسير الطبري: م١٣، ج٢٧: ٢٢٩. والبيت من البسيط.
(٦) ينظر شرح ديوان لبيد: ٦١.
(٧) المرأة في الشعر الجاهلي: د. علي الهاشمي، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٦٠: ٩٣-٩٤.
(٨) الواقعة: ٣٥-٣٧.

وتحببهن إلى ألازواجهن[١]، وقد تعددت أساليب الكناية عند الشعراء بكنايات مختلفة بين شاعر وآخر وفي كناية عن الكرم جعلت زهير بن أبي سلمى المحتاجين قاطنين حول بيوت هرم بن سنان والحارث بن عوف لينالوا من خيراتهم فقال:

رَأيْتُ ذَوِي الحَاجَاتِ حَوْلَ بُيُوتِهِم قَطِيْنَاً لَهُمْ اذَا انْبَتَ البَقْلُ[٢]

وهذه الصورة تدل على أن الموصوف كثير النعمة وقت العطاء وليبين ((ان الناس ليرحلوا إليهم ويقطنون حول خيامهم وكلما سألوهم شيئاً وهبوه لهم))[٣].

أدرك الطبري من تعبير زهير أن للعرب لغتين هما نبت وأنبت وساق ذلك دليلاً في تفسير قوله تعالى: ((تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ))[٤].

---

(١) ينظر تفسير الطبري: م١٣، ج٢٧: ٢٢٩-٢٣٠.
(٢) شرح ديوان زهير بن ابي سلمى :٤٣٠؛ وتفسير الطبري: م١٠، ج١٨: ٢١. والبيت من الطويل.
(٣) تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي: ٣١٠.
(٤) المؤمنون: من الآية ٢٠.

٣. البنية الإيقاعية:

في تتبع دراسة الشعر الجاهلي في تفسير الطبري، تبين أن للبنية الإيقاعية الأثر الأكبر في الجمال والرونق على ذلك الشعر، ذلك لأنّها تحرك العاطفة والأحاسيس ولقربها من الغناء فقد ((ارتبط الشعر والغناء في النشأة الأولى ارتباطاً وثيقاً ولا غرابةً في ذلك لأنهما معاً يصدران عن العاطفة ويعبران عنها فبواعث الغناء هي بواعث الشعر، ثم ان الموسيقى أساس فيهما معا ففي الغناء موسيقى النغمات والألحان وفي الشعر موسيقى الألفاظ والأوزان))[(١)]، هذا الارتباط عرف عند الشعراء الجاهليين فالمهلهل يشرب الخمر ويغني بعض قصائده والأعشى غنى في شعره وتسمى ((بصناجة العرب وإنه يخيل إليك إذا انشدته أن آخر ينشد معك))[(٢)].

ويذهب كارل بروكلمان في دراسته الأدب العربي أنَّ للغناء والموسيقى الاثر الأكبر في نشأة الأوزان، فيقول: ((أمّا الأوزان العروضية فلا ريب أنَّ بنائها تم بتأثير فن غنائي وإن كان بدائياً))[(٣)].

---

(١) الحياة العربية في الشعر الجاهلي، د. احمد محمد الحوفي، ط٤، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها: ١٨٣.
(٢) الاعشى الكبير ميمون بن قيس، د. مصطفى الجوزو، دار الطليعة للطباعة والنشر. بيروت، ١٩٧٧م: ٤٢، وينظر الحياة العربية من الشعر الجاهلي: ١٨٣.
(٣) تاريخ الأدب العربي: كارل بروكلمان، نقله إلى العربية د.عبد الحليم النجار، جامعة الدول العربية، الادارة الثقافية، دار المعارف بمصر، ط٢، ج١: ٥١.

ومثل ما ساد الإيقاع في الغناء، فقد ساد في الشعر، وإن الإيقاع في الشعر يتكون من ((كلمات لغوية ذات مضمون فكري ينسجم بعضها مع بعض في إصدار إيقاع مرتب منظم مطرد، والشاعر ينقل من مضمون فكره وعاطفته عن طريق هذه الكلمات الموقعة بما تحمل من معان وبما لها من خصائص موسيقية))[١] وأرى أهمية البنية الإيقاعية في الشعر، بل أن الكثير من الشعر نال الاعجاب لا نشاده بأداء موسيقي والشعر يقترب من الموسيقى ونجد ((أن بين الموسيقى والأدب قدراً كبيراً من الاشتراك فكلاهما يستعمل مادة الاصوات الزمنية فالموسيقى تستعمل أصواتاً لا معنى لها بوصفها مادة أولية، والأدب يستعمل اصواتاً مليئة بالمعاني نسميها الألفاظ))[٢].

ومن موسيقى الحركات والسكنات تؤلف التفعيلة التي ينظمها الشعراء في الأوزان التي تسمى البحور الشعرية التي أوجدها واختار مسمياتها الخليل بن أحمد الفراهيديّ (ت١٧٥هـ) ويرى البعض أنَّه ((هو الذي اخترع علم الموسيقى وصنف أنغامها وحين تخمرت في رأسه هذه الأنغام حبس نفسه في بيته أياماً وليالي كان يستعرض فيها ما روي من أشعار العرب ثم خرج على نفسه بقواعد مضبوطة وأصول محكمة أسماها علم العروض))[٣].

وذهب بعض الدارسين إلى أنَّ سبب تسمية ((علماء العروض أوزان الشعر العربي بالبحور ذلك لأنَّ كلمة البحر توحي بالعمق والاتساع))[٤]. والخليل بن احمد الفراهيديّ استنبط هذه البحور ((وقد جردها من الشعر الجاهلي وقسمها على خمسة عشر وزناً أو بحراً ولم يضف إليها فيما بعد إلا واحد استحدثه الاخفش ويدعى البحر المتدارك أو الخبب))[٥].

(١) أدب العرب في عصر الجاهلية: ٢١٠.

(٢) في النقد الأدبي، د. عبد العزيز عتيق، استاذ بجامعة بيروت العربية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط٢، ١٣٩١هـ-١٩٧٢م: ٥٤.

(٣) المفصّل في العروض والقافية وفنون الشعر، تأليف عدنان حقي، مؤسسة الايمان، بيروت، لبنان، دار الرشيد، دمشق، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م: ٨.

(٤) الموسيقى الشافية للبحور الطافية: عبد الحكيم عبدون، شارع القصر العيني، القاهرة، ط١، ٢٠٠١م: ٣٢.

(٥) في الاسلوب الأدبي: ٦٧.

والبحر أو الوزن ركن أساسي في القصيدة وعدّه ابن رشيق القيروانيّ ((أعظم أركان حد الشعر وأولاها به خصوصية))[١]، وكونه يمثل ((ظاهرة موسيقية في الشعر يتمثل بتقسيم القصيدة على أبيات متساوية الوزن ينتهي كل منها بحرف واحد اسمه الروي يؤلف جزءاً من القافية وكل بيت ينشطر إلى صدر وعجز يتألفان من عدد متساو من التفعيلات))[٢]، وتمثل التفعيلة ((المقياس العروضي الذي تقاس به أبعاد أجزاء البيت وبتلاقي التفعيلات وتجمع أيضاً على تفاعيل يعرف نوع البحر وما ينشق منه من أوزان))[٣].

أمّا القافية فتكون ركناً أساسياً ثانياً من الأركان المهمة في نظم الشعر فهي ((شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر ولا يسمى شعراً حتى يكون له وزن وقافية))[٤]، وحد القافية في قول الخليل ((من آخر حرف في البيت إلى أوَّل ساكن يليه مع الحركة التي قبل الساكن))[٥].

وينتهي كل بيت من الشعر بقافية ويُعد الحرف الأخير فيها أهم الأحرف ويسمى حرف الروي[٦]، ويتكرر هذا الحرف في جميع قوافي أبيات القصيدة وتكتسب القافية قيمتها في الشعر العربي كونها ((تثبت الوزن وتميز الأبيات وتكون غنية أو فقيرة مذكرة أو مؤنثة))[٧]، والقافية وجدت في ((الشعر العربي منذ نشأته، بل إنَّ العرب عرفوا القافية قبل أنْ ينظموا الشعر الكمي الذي وصل إلينا. عرفوها في الأرجاز وفي

---

(١) العمدة: ١٤١/١.
(٢) في الاسلوب الأدبي: ٦٧.
(٣) العروض تهذيبه واعادة تدوينه، صنفه الشيخ جلال الحنفي، الجمهورية العراقية، وزارة الاوقاف والشؤون الدينية، أحياء التراث الاسلامي ، مطبعة الارشاد، بغداد، ط٢، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م: ٤٢-٤٣.
(٤) العمدة: ١٥٩/١.
(٥) لسان العرب: م٧: ٤٥٩، مادة (قفا).
(٦) ينظر: في الاسلوب الأدبي: ٦٩.
(٧) المصدر نفسه: ٦٩.

سجع الكهان وفي الشعر النبطي القديم الذي لم يصل إلينا إلا عن طريق النقوش))[١]. وبذلك يتضح أهمية الدور الذي يؤديه الوزن والقافية ولذلك ساير القصيدة العربية جنب بجنب وأنَّ أغلب انواع الشعر المستحدثة ((تنتمي في إطارها ومضامينها إلى الشعر الجاهلي إلا إذا فارقت الوزن والقافية فعندئذ تصبح ضرباً من فنون القول جديد لا يعد من الشعر في شيء))[٢]، ولكن هذا لا يعني أنَّ الشعر حقق موسيقيته بالعنصر الأيقاعي التي تحدده البحور العروضية بل لا بد من عناصر أخرى منها الإيقاع الخاص بالكلمة[٣]، وكذلك ((الجرس الخاص لكل حرف من الحروف الهجائية المستعملة في البيت وتوالي هذه الحروف في هذه الكلمات المستعملة))[٤]، ومما تتميز به هذه الكلمات الكلمات في ((نغمتها وصوتها وإيقاعها الذي يحصل نتيجة التلاؤم بين حروفها وائتلاف هذه الحرف وتوافق أصواتها وحلاوة جرسها))[٥]، وإنَّ هذا التلاؤم والانسجام في الكلمة ذاتها ومع الكلمات الأخرى ((هو ما يصح أن نسميه بالموسيقى الداخلية، وهي ذلك الانسجام الصوتي الداخلي الذي ينبع من هذا التوافق الموسيقي بين الكلمات ودلالاتها))[٦]، ومن ذلك يتجلى أنَّ موسيقى الشعر تدرس وفق دعامتين أو تصويرين.

(الموسيقى الخارجية) وهي تنهج دراسة الشعر في بحوره العروضية وقوافيه التي وجدتها متنوعة في الشواهد الشعرية الجاهلية التي انتقيتها من تفسير الطبري، وأنَّ هذا التنوع متعلق بطبيعة الأبيات التي اقتضت الضرورة للاستشهاد بها في التفسير وكذلك

---

(١) القافية والاصوات اللغوية، د. محمد عوني عبد الرؤوف، مطبعة الكيلاني، القاهرة، الناشر مكتبة الخانجي بمصر: ٧٩.
(٢) تاريخ الأدب العربي قبل الاسلام: ١٣٦.
(٣) ينظر أدب العرب في العصر الجاهلي: ٢١٠.
(٤) المصدر نفسه.
(٥) نظرية التصوير الفني عند سيد قطب: د. صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة، السعودية، ط٢، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م: ٣٨.
(٦) أدب العرب في عصر الجاهلية: ٣٨.

((تنوعت البحور وفق الموضوع وفق الحالة النفسية للقائل لأنَّ الموسيقى الشعرية المعبرة هي التي تساير موضوع القصيدة وتوائم التجربة الشعرية))[١].

وإنّ البحور اختلفت لتلائم العواطف المختلفة فإنّ العاطفة الهادئة يتلاءم معها البحر الطويل والبحر الخفيف يتلاءم مع العواطف المتزنة والكامل مع العاطفة القوية والخفيف يخف على الطبع وهو سهلٌ لقربهُ من النثر، والوافر يرق برقتنا ويشتد بشدتنا وأكثر ما يصاغ به الرثاء والفخر[٢].

وفي دراستي للشواهد التي انتقيتها من الشعر الجاهلي في التفسير تبين أن البحر الطويل هو الغالب على البحور الأخرى في الشعر الجاهلي فورد هذا البحر((كثيراً في الشعر العربي القديم ليناسب جزالة اللفظ وطول النفس والأغراض التي أهتم بها العرب من الحماسة والفخر والهجاء))[٣]، بوصفه يمثل ((أكثر من ثلث الشعر العربي قديمه ووسطه وحديثه)) [٤]، وان من بين عيون الشعر الجاهلي المعلقات، التي نظم ثلاث منها منها على وزن البحر الطويل وهي معلقة امرئ القيس وطرفة بن العبد وزهير بن ابي سلمى، والعديد من أبيات هذه المعلقات كان لها حضور تغلب على الأبيات من القصائد الأخرى في التفسير ومن معلقة امرئ القيس أورد الطبري:

وَاِنّ شِفَائِيَ عَبْـرةُ مِهراقَـــةٌ فهَلْ عِنْدَ رَسْمٍ دَارِسٍ مِنْ مُعوَلِ
كَدَأبِكِ مِنْ امِّ الحُوَيْرِثِ قبلها وَجَارَتِهَـا أُمّ الرَّبَــابِ بِمَأسَلِ[٥]

وقوله

فَلَمَّا أجْزنَـا سَاحَةَ الحَيِّ وانْتَحَى بِنَـا بَطْنَ خَبَتٍ ذِي قِفَاٍف عَقَنْقَلِ[٦]

---

(١) الحياة العبرية من الشعر الجاهلي: ١٩٦.
(٢) ينظر: أدب العرب في عصر الجاهلية: ٢١٦-٢١٧.
(٣) ميزان الشعر، د. بدير متولي حميد، دار المعرفة، ١٥ شارع صبري ابو علم بالقاهرة ، ط٢، ١٩٦٧م : ٣٣ .
(٤) فن التقطيع الشعري والقافية: ٤٣.
(٥) ديوانه : ٩؛ تفسير الطبري م٣ج٣: ٢٤٧.
(٦) المصدر نفسه: ١٥، ووردت لفظة (بطن نقف ذي ركام) بدل (خبت ذي قفاف)؛ تفسير الطبري م٧ج١٢: ١٩٩.

وكذلك قوله:

وَتَيْماءَ لَمْ يَتْرُكْ بِها جِذْعُ نَخلَةٍ وَلَا أطَماً الاّ مَشِيْداً بِجَندلِ[١]

ومن معلقة طرفة بن العبد ذكر الطبري أبياتًا عدة منها:

تُبَارِي عِتَاقاً نَاجِيَاتٍ وَاتْبَعَتْ وطَيْفاً وَظِيفاً فَوقَ مَوْرٍ مَعْبَدِ[٢]

وقوله:

كأنَ كنَاسِي ضَالَة يَكنفانِها وَأطْرَ قِسِي تَحْتَ طُلْبٍ مُؤَّيدِ[٣]

ومن المعلقة قوله أيضاً:

أَرَى المَوْتَ يَعْتَامُ النُّفوسَ وَيَصْطَفِي عَقِيْلَة مَالِ البَاخِلِ المُتَشَدِّدِ[٤]

واختار الطبري من معلقة زهير أبياتًا منها:

وَقَدْ قُلْتُمَا انْ نُدْرِكِ السِّلْمَ وَاسِعاً بِمَالٍ وَمَعروفٍ مِنَ الأمر نَسْلَمِ[٥]

وكذلك ساق قوله:

فَتُنْتِجُ لَكُمْ غِلْمَانَ أَشامَ كُلُهُم كَأحْمَرِ عَادٍ ثم تُرضِعُ فَتفطِمُ[٦]

وقوله:

سَئمْتُ تَكَالْيفَ الحَيَاةِ وَمَنْ يَعِشْ ثَمَانِينَ حَوْلَاً لا أبَا لكَ يَسْأَمِ[٧]

ثم جاء بحر الكامل بالمرتبة الثانية بعد الطويل وقد كثر نظم الشعر فيه بوصفه صالحًا ((لكل غرضٍ من أغراض الشعر ولهذا كثر وجوده في شعر القدامى والمحدثين))[١]، ومن شعر القدماء شعر لبيد بن ربيعة الذي استشهد الطبري في أبيات منها قوله:

---

(١) المصدر نفسه: ٢٥؛ تفسير الطبري م١٠ج١٧: ٢٣١.
(٢) ديوانه : ٢٠؛ تفسير الطبري م١ج١: ٨٨.
(٣) المصدر نفسه: ٢٢؛ تفسير الطبري م١٥ ج٣٠: ٩٨.
(٤) ديوانه : ٢٦؛ تفسير الطبري م١٥ ج٣٠: ٣٥٣.
(٥) شرح ديوان زهير بن ابي سلمى:٣٥؛ تفسير الطبري م٢ ج٢: ٤٣٠.
(٦) المصدر نفسه:٢٦؛ تفسير الطبري م٢ ج٢: ١٣٢.
(٧) المصدر نفسه:٣٥؛ تفسير الطبري م٣ ج٣: ١٦٩.

لَمعْفَر فَهدٌ تَنَازعُ شَلوَهُ غَبسَ كَواسِبٍ لَا يَمَنُّ طَعَامُهَا(٢)

وقوله:

مِنْ كُلِّ مَحفُوفٍ يَظلّ عُصيّةٍ زَوجٌ عَليهِ كُلة وَقَرامُهَا(٣)

ومن خصوصية الكامل أنَّه يميل ((إلى الشدة أقرب منه إلى الرقة))(٤) فقد جاءت أبيات عنترة التي أوردها الطبري كاشفة عن هذه الخصوصية وهو يسطّر فخره بشجاعته وأراه جديراً ويستحق أنْ يفخر بنفسه فيقول:

وَحَليلُ غَانِيةٍ تَركتُ مُجنْدَلاً تَمْكُو فَرِيصَتُهُ كَشِدقِ الأعْلَمِ(٥)

وقوله:

هلَاّ سَألتِ الخَيلَ يا ابنة مالك إنْ كُنتِ جَاهِلةً بِمَا لَمْ تَعْلَمِي(٦)

بينما جاء البحر البسيط ثالث البحور بعد الطويل والكامل في عدد أبياته وعينة الشواهد التي أخترتها من زبد الشعر الجاهلي في تفسير الطبري التي هي ملائمة لمحض الدراسة الأدبية التي من خلالها ومن الدراسات السابقة للشعر الجاهلي وتبين أنَّ ((أكثر أشعار العرب الطويل والبسيط والكامل كما يدل عليه الاستقراء))(٧).

وممن نظمت شعرها على وزن البسيط الخنساء إذ قالت:

أرْعَى النُّجُومَ وَمَا كُلِّفتُ رَعيَتَها وَتَارَة أتغشَّى فَضْلَ أطْمَارِي(٨)

وتتدنى بحر الوافر عن بحر البسيط ليكون بعده في عدد أبياته التي سبقت في تفسير الطبري من بين أبيات الشعر الجاهلي الأخرى.

---

(١) فن التقطيع الشعري والقافية: ٩٥.
(٢) شرح ديوان لبيد: ٣٠٨؛ تفسير الطبري: م١، ج١: ٥٠١.
(٣) المصدر نفسه: ٣٠٠؛ تفسير الطبري: م٥، ج٨: ٨٦..
(٤) فن التقطيع الشعري والقافية: ٩٥.
(٥) ديوانه: ٨٢؛ تفسير الطبري: م٦، ج٩: ٢٩٩.
(٦) ديوانه: ٨٨ ؛ تفسير الطبري: م١ ج١: ١٥٨.
(٧) البناء الفني للقصيدة العربية: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الطباعة المحمدية بالأزهر بالقاهرة: ٢٢٣.
(٨) ديوانها: ٨٥؛ تفسير الطبري: م٧، ج١١: ٢٣٠.

وكان لمعلقة عمرو بن كلثوم دور كبير وظفه الطبري من أبياتها في تفسيره واختار سبعة أبيات من المعلقة[١] وهي تحفل بالفخر الذي يتلائم النظم فيه بهذا البحر بوصفه ((أجود ما يكون في الفخر والرثاء)) [٢] ومن بينها هذا البيت وهو يفخر بطول أيام قومه قومه التي أنعموا فيها على الناس ولعلوهم على الملك[٣] فقال:

وَأيَّامٍ لَنَا غُرٍّ طِوَالٍ عَصَيْنَا المَلِكَ فِيْهَا أنْ نَدِيْنَا[٤]

بينما جاء المتقارب بعد الوافر في عدد أبياته التي تجاوزت العشرة أبيات ولم تبلغ بحور الرمل والسريع والخفيف هذه النسبة بل جاءت أقل من عدد أصابع اليد، أمّا مخلع البسيط ومجزوء الكامل والمديد فإنها دون الخمسة أبيات في عينة البحث للشعر الجاهلي في تفسير الطبري أما الركن الثاني من الايقاع الخارجي والمتمثل بالقافية التي تشكل ((ظاهرة شعرية تصور المقطع الذي تنتهي به أبيات القصيدة ويبقى وزنه مردداً آخر كل بيت ليحفظ لها وحدتها أو نغمتها الاخيرة))[٥] التي تعدد النظم فيها بحروف مختلفة ((وكما نظم شعرهم على جميع البحور، فقد كان هذا شأنهم في القوافي فلم يقيدوا قافية بباب من الأبواب بل تركوها مطلقة يتخير منها الشاعر ما شاء))[٦]، ومثلما تفاوت النظم في البحور وكان لبعض منها الكثرة على غيره من البحور وردت القوافي على هذا الغرار فحقق الراء أعلى نسبة في حروف القوافي وليحل بعده الدال واللام والميم، أمّا الباء والنون فقد جاءتا بعدها في أبيات لا تتجاوز العشرين بيتاً، بينما لم يزد حرفا القاف والهاء على العشرة أبيات في الشواهد التي كانت محور الدراسة الأدبية، أمّا القوافي التي كانت حروف الروي فيها الكاف، والفاء، والواو، والصاد، والحاء،

(١) ينظر تفسير الطبري: م١، ج١: ٥٢؛ م٩، ج١٦: ٤٦؛ م٨، ج١٣: ٣١٨؛ م١٣، ج٢٧: ٢٧٦؛ م١٤، ج٢٨: ٥٥.
(٢) فن التقطيع الشعري والقافية: ٨٤.
(٣) ينظر تفسير الطبري:م٨، ج١٣: ٢٩٩.
(٤) ديوانه: ٦٨؛ تفسير الطبري: م٨، ج١٣: ٢٩٩.
(٥) الاسلوب: ٦٦.
(٦) أدب العرب في عصر الجاهلية: ٢١٨.

والخاء، والضاد، والهمزة، والتاء فقد وردت بثلاثة أبيات فما دون، وغاب أحرف الثاء، والشين، والظاء، والغين عن الشعر الجاهلي في تفسير الطبري ولم يكن لها حضور، ومع التفاوت الملحوظ في إحصائية القوافي لشواهد الشعر الجاهلي إلا أنَّ ذلك لا يعني أولية قافية على أخرى؛ أو أن نظم الشاعر بقافية معينة معياراً بجودته على شاعر آخر ولم تكن ((براعة الشاعر متوقفة على النظم بجميع حروف المعجم، فامرؤ القيس مثلاً لم ينظم على الخاء والظاء ولا الشين ولا النابغة الذبياني على الصاد ولا على الضاد ولا الطاء))(١).

المحور الثاني: (الموسيقى الداخلية) ومن مظاهرها :

(الطباق) الذي أشار إليه ابو هلال العسكري والذي يؤتى به في الكلام ويراد به ((الجمع بين الشيء وضده في جزء من أجزاء الرسالة أو الخطبة أو بيت من بيوت القصيدة مثل الجمع بين السواد والبياض والليل والنهار والحر والبرد))(٢)، ومن انواعه طباق الإيجاب ويعني ((ما كان تقابل المعنيين فيه بالتضاد))(٣) ومنه قول سلامة بن جندل:

عَجِلْتُم عَلَيْنَا عجْلَتَنَا عَليْكُم ومَا يَشاءُ الرَّحمنُ يَعقدْ ويُطلقِ(٤)

وقول عنترة:

هَلّا سَألتِ الخَيْلَ يَا ابْنَةَ مَالِكِ إنْ كُنْتِ جَاهِلَةً بِمَا لَمْ تَعْلَمِي(١)

(١) فن التقطيع الشعري والقافية: ٢١٦.
(٢) كتاب الصناعتين: ٣١٦.
(٣) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: تأليف السيد المرحوم أحمد الهاشمي، مطبعة السعادة بمصر، ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م: ٣٦٧.
(٤) كتاب الاصمعيات:٩٦؛ تفسير الطبري: م١، ج١: ٧٣. والبيت من الطويل.

وكذلك قول أوس بن حجر:

وَلَيْسَ أَخُوكَ الدَّائِمُ العَهْدِ بالذِي يذمُّكَ إنْ وَلَّى وَيُرضِيكَ مُقْبِلاً(٢)

وقول لبيد:

فَبَاتَ وَاَسْرَى القَومُ آخِرَ لَيْلِهِم وَمَا كَانَ وَاقِفاً بِغَيْرِ مُعْصِرِ(٣)

وقوله:

إنَّ تَقْوَى رَبِّنَا خَيرُ نَفْلٍ وَبِإذْنِ اللهِ رَيْثِي وَعَجَلْ(٤)

وقول النابغة الذبياني:

وَلَا يَحْسَبُونَ الخَيْرَ لَا شَرَّ بَعْدَهُ وَلَا يَحْسَبُونَ الشَّرَّ ضَرْبَةَ لازِبِ(٥)

أمّا الطباق الثاني فيسمى طباق السلب ويقصد به ((الجمع بين فعلي مصدر واحد مثبت ومنفي أو أمر ونهي))(٦)، ومن الأبيات الذي ذكرها الطبري وهي تضمُ هذا النوع من الطباق قول لبيد:

اِعْقِلِي اِنْ كُنْتِ لَما تَعْقِلِي وَلَقَدْ اَفْلَحَ مَنْ كَانَ عَقَلْ(٧)

وقول عبيد بن الأبرص:

وَكُلُّ ذِي غَيْبَةٍ يَؤُوبُ وَغَائِبُ المَوْتِ لَا يَؤُوبُ(٨)

أما مظهر (**الجناس**) في الموسيقى الداخلية للشعر فيعني ((تشابه لفظين في النطق واختلافهما في المعنى))(٩).

---

(١) ديوانه:٨٢ ؛ تفسير الطبري: م١، ج١: ١٥٨. والبيت من الكامل.
(٢) ديوانه:٩٢؛ تفسير الطبري: م٢، ج٢: ٦٤٦. والبيت من الطويل.
(٣) شرح ديوان لبيد:٤٩؛ تفسير الطبري: م٧، ج١٢: ٢٩١.والبيت من الطويل.
(٤) شرح ديوان لبيد:١٤٧ ؛ تفسير الطبري: م٦، ج٩: ٢١٣. والبيت من الرمل.
(٥) ديوانه: ٢١ ؛ تفسير الطبري: م١٢، ج٢٣: ٥٥. والبيت من الطويل.
(٦) الايضاح: الشيخ جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني الدمشقي، (ت٧٢٦هـ) هذبه ورتبه وشرحه عز الدين التنوخي، مطبعة الجامعة السورية، ١٣٦٧هـ ١٩٤٨م، ج١: ٢٤.
(٧) شرح ديوان لبيد:١٧٧؛تفسير الطبري م١،ج١: ١٤١ والبيت من الرمل.
(٨) ديوانه: ١٣ ؛ تفسير الطبري: م٩، ج١٥: ٩٢. والبيت من مخلع البسيط.
(٩) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: أحمد الهاشمي ، مطبعة السعادة ،مصر ،١٣٧٩هـ -١٩٦٠م: ٣٩٦.

وللجناس أشد الأثر في انسيابية موسيقى الشعر واثر آخر يتمثل في الكلمات التي تشتق لفظها من البعض الآخر وما يضفيه ذلك من مسحة جمالية على البيت الشعري ومنه قول زهير بن ابي سلمى في معلقته ومن أبياته التي ذكرها الطبري في تفسيره:

وَقَدْ قُلْتُمَا: اِنْ نُدْرِكْ السِّلْمَ وَاسِعًا   بِمَالٍ وَمَعْرُوفٍ مِنْ القَوْلِ نَسْلَمِ[١]

وقول الأعشى في مدح قيس بن معد يكرب الكندي:

وَاِنْ يُستَضَافُوا إلى حِلْمِهِ   يُضَافُوا إلى رَاجِحٍ قَدْ عَدَنْ[٢]

وقول الخنساء :

وَمُخْتَنِقٌ ارْخَى اِبْنَ عَمْرٍو وَخَانَقَهُ   وَغَمَّتهُ عَنْ وَجْهِهِ فَتَجَّلتِ[٣]

ومنه قول امرئ القيس في معشوقاته:

صَرَفْتُ الهَوَى عَنْهُنَّ مِنْ خَشيَة الرَّدَى   وَلَسْتُ بِمَقلى الخِلالِ وَلا قَالِ[٤]

أما التوشيح فيراد به ((أن يكون أول البيت شاهداً متعلقًا بقافيته ومعناها متعلقاً به حتى أن الذي يعرف قافية القصيدة التي البيت منها إذا سمع أَول البيت عرف آخره))[٥]، ومنه قول زهير بن ابي سلمى الذي ذكره الطبري في تفسيره:

سَئِمْتُ تَكَالِيفَ الحَيَاةِ وَمَنْ يَعِشْ   ثَمَانِيْنَ حَوْلاً لاَ أَبَا لَكَ يَسأمِ[٦]

ومن مظاهر الموسيقى الداخلية (التفويف) ويعني ((أن يؤتى بالكلام بمعان متلائمة في جمل مستوية المقادير أو متقاربتها))[٧] ، كقول عنترة وهو يفتخر:

إنْ يَلْحَقُوا أكْرُرْ وَاِنْ يَسْتَلحموا   أشْدُدْ وَأنْ نَزَلُوا بِضَنْكٍ أَنْزِلِ[٨]

---

(١) ديوانه:٣٥؛ تفسير الطبري: م١، ج٢: ٣٤٠. والبيت من الطويل.
(٢) ديوانه: ٢٤٠ ؛ تفسير الطبري: م٨١، ج١٣: ٢٢٥. والبيت من المتدارك.
(٣) ديوانها: ٢٨؛ تفسير الطبري: م٧، ج١١: ١٧٧، واورد الطبري (ذو كربة) بدل (ومختنق). والبيت من الطويل.
(٤) ديوانه: ٣٥ ؛ تفسير الطبري: م٨، ج١٣: ٢٨١. والبيت من الطويل.
(٥) نقد الشعر: ١٦٨.
(٦) شرح ديوان زهير: ٣٥؛ تفسير الطبري م٣، ج٣: ١٦٩. والبيت من الطويل.
(٧) الإيضاح: ٤٧-٤٨.
(٨) ديوانه: ٦٧؛ تفسير الطبري: م٩، ج١٦: ٢٨١. والبيت من الكامل.

أما (**البيت المدور**) فيراد به ((هو البيت الذي اشترك شطراه في كلمة واحدة بأن يكون بعضها في الشطر الأول وبعضها الآخر في الشطر الثاني))[١]، كقول الأعشى:

هُوَ دَانِ الرَّبَابِ إذِ كَرِهُوا الدِّيـ ـنَ دِرَاكاً بِغَزوةٍ وَصِيَالِ[٢].

(١) ميزان الذهب في صناعة اشعار العرب: أحمد الهاشمي، قدم له وضبط نصه د. محمد التونجي، مؤسسة المعارف للطبع والنشر، بيروت، لبنان، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م: ٤١ .
(٢) ديوانه: ١٩٨؛ وتفسير الطبري م٣، ج٣: ٢٧٤ . والبيت من الخفيف.

الخاتمة

في رحلة صحبت بها القرآن الكريم، ودراسة في أحد تفاسيره، وهو تفسير الطبري، وعمدت في هذه الدراسة على بيان الشعر الجاهلي في تفسير الطبري، وما تضمنه هذا الشعر من قيم فنية، كانت المهد الأول لأصول الشعر العربي، في فنونه وصوره، وايجاد العلاقة بينهما والصلة التي قصدها الطبري بين المفردات في ذلك الشعر، وبين القرآن الكريم، وفي غضون دراستي المنتقاة لشواهد الشعر الجاهلي في تفسير الطبري توصل البحث الى نتائج عدة، كان من أبرزها:

تبين في الفصل الأول أن غرض الوصف كان من أبرز الأغراض شيوعًا في العصر الجاهلي، وقد دار في محاور: وصف الطبيعة، ووصف الحيوان، ووصف الحرب والخمر، وجاء بعد غرض الوصف غرض المديح في قسميه الفردي والجماعي، وكان المديح الفردي هو الصفة الغالبة لأكثر شواهد هذا الغرض، بينما حل غرض الغزل والحكمة بنسبة متقاربة من الأبيات، وطرق الشعراء الغزل بنوعيه الحسي والعذري، أما غرض الحكمة فقد تناول فيه الشعراء ضعف الانسان، وما سيؤول اليه عند الكبر، وحسن تصرف الانسان في أقواله وأفعاله، ولم يغفل الشعراء عن ذكر الموت. ثم تلا ذلك غرض الفخر بعد هذين الغرضين، ليحل بعده الهجاء بنوعيه الفردي والجماعي، وبنسبة حقق بها الأخير الحضور على الهجاء الفردي، وتدنى غرض الرثاء ليكون الأقل حضورًا في الشواهد الشعرية في تفسير الطبري.

أما الفصل الثاني فكان من أبرز نتائجه تحقق التعالق مع القرآن الكريم، نتيجة التلاقح المنتج بين اللغة الشعرية التي مثلتها بؤر ترتبط بمفردة، ومستوى ارتباطها بأساليب الأداء الفني، وبين الأداء القرآني المعجز.

وشيوع صور التشبيه من بين الصور الفنية التي تناولها الفصل الثالث، والتي عمد اليها الشعراء، كان من أبرز نتائج هذا الفصل وسادت على صور كالاستعارة، والكناية، وجاءت اكثر التشبيهات في غرض الوصف بوصفه يمثل عند الشعراء القدرة على تصوير الاشياء في هيئة تشبيهات دقيقة قادرة على تقديمها للمتلقي.

وفي دراسة الموسيقى الشعرية الخارجية، والتي تمثلت في البحر والقافية، تبين أن البحر الطويل هو الغالب على البحور الاخرى في شواهد الطبري من الشعر الجاهلي، ثم جاء بعده بحر الكامل، تلاه البسيط ثالثا، بعده الوافر، فالمتقارب بعشرة أبيات، اما بحر الرمل والسريع والخفيف فلم تزدد شواهدها على اصابع اليد، اما مخلع البسيط ومجزوء الكامل والمديد، فإنها وردت بثلاثة أبيات فما دون في عينة البحث البحث للشعر الجاهلي في تفسير الطبري، بينما تبين من خلال استقصاء القوافي واحصائها ان القافية التي كان فيها حرف الروي هو الراء كانت اعلى نسبة في حروف القوافي الأخرى، التي كان حرف الروي فيها دالًا او لامًا أو ميمًا، في أبيات تجاوزت الثلاثين بيتًا، بينما لم تتجاوز القوافي التي كان فيها حرف الروي فيها الباء والنون على العشرين بيتًا، ولم يزدد عدد القوافي التي كان فيها حرف الروي قافًا وهاءً على العشرة أبيات، ووردت في ثلاثة أبيات فما دون التي اختتمت بحرف الروي الكاف، والفاء، والواو، والصاد، والضاد، والحاء، والخاء، والهمزة، والتاء، وغابت ولم تشهد لها أي حضور القوافي المختومة بأحرف الروي الثاء والشين والظاء والغين عن الشعر الجاهلي في تفسير الطبري.

وفي الختام أَقِرُّ بأني بذلت كل ما بوسعي في انجاز هذه الرسالة، وتوخيت الحذر والأمانة والدقة في تدوين أي معلومة، الا بعد الاطمئنان من صحة نسبتها الى قائلها، ولم اذكر ذلك الا وانا اشير اليه سواءً في متن الرسالة أو هامشها، ومن باب الإنصاف أقول أني تعاملت باهتمام واحد من المؤلفات القديمة والحديثة، وكانت النظرة اليها من

زاوية واحدة، هي ما حفلت به تلك المؤلفات من معلومات ومادة تغني البحث، الذي ـ ومع ما بذلناه ـ لا يخلو من القصور، والكمال الذي عزّ عن البشر .

عَزَّ الكَمالُ فَما يَحْظَى بِهِ بَشَرُ لِكُلِّ خَلْقٍ وإنْ لَمْ يَدْرِ ذُو عَابِ[١]

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين، وأصحابه المخلصين، الغر المنتجبين.

(١) كتاب الصناعتين: ٤٨٥.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

❖ **ابداع الدلالة في الشعر الجاهلي مدخل لغوي اسلوبي**: د. محمد العبد، الناشر مكتبة الآداب، القاهرة،ط٢، ١٤٢٨هـ -٢٠٠٧م.

❖ **أحلى أشعار الغزل العربية**: نبيل عبد الرحمن حياوي، مكتبة النهضة، بغداد، ط٢، ١٩٨٧م.

❖ **ادب العرب في عصر الجاهلية**: د. حسن الحاج حسن، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط٣، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

❖ **الأدب العربي بين البادية والحضر**: د. ابراهيم عوضين، وكيل كلية اللغة العربية بالمنصورة، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

❖ **اروع ما قيل في الفخر**: د. يحيى الشامي ، دار الفكر العربي ، بيروت - لبنان.

❖ **اسرار البلاغة**: عبد القاهر الجرجاني، تحقيق، هـ.ريتز، مكتبة المثنى، بغداد، لصاحبها قاسم محمد الرجب، ط٢ (منقحة)، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

❖ **الاسس الجمالية في النقد العربي عرض وتفسير ومقارنة**: د. عز الدين إسماعيل، عميد كلية الآداب – جامعة عين شمس سابقاً، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

❖ **أسطورة الأدب الرفيع**: د.علي الوردي، دار كوفان للنشر والتوزيع، دار كنوز الأدبية، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٩٤م

❖ **الأسلوب** (دراسة بلاغية تحقيقية لأصول الأساليب الأدبية): أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية لأصحابها حسن محمد وأولاده، ٩ شارع عدلي باشا، القاهرة، ط٦، ١٩٦٦م.

❖ . **الأصمعيات:** أبو سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي (ت ٢١٦هـ)، شرح وتحقيق مجيد طراد، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٣م.

❖ **الاعشى الكبير ميمون بن قيس** (ت ٧هـ)، د. مصطفى الجوزو، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٧٧م.

❖ **ام البنين رسالة الى المرأة المسلمة:** عبد العظيم المهتدي البحراني، مؤسسة عاشوراء للطباعة والنشر، من اصدارات جمعية اهل البيت عليهم السلام، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

❖ **الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل:** ناصر مكارم الشيرازي، الأميرة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

❖ **أمية بن أبي الصلت (حياته وشعره):** دراسة وتحقيق بهجة عبد الغفور الحديثي، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٧٥م.

❖ **انباه الرواة على أنباء النحاة** ، جمال الدين الحسن علي بن يوسف القفطي (ت٦٢٤هـ) ، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ، طبع شركة أبناء شريف الإنصاري للطباعة والنشر، صيدا ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م

❖ **أيام العرب واثرها في الشعر الجاهلي:** منذر الجبوري ، دار الشؤون الثقافية العامة الاعظمية بغداد -العراق ط٢، ١٩٨٦م.

❖ **الايضاح:** جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني الدمشقي (ت٧٢٦هـ)، هذبه ورتبه وشرحه عز الدين التنوخي، مطبعة الجامعة السورية، ١٣٦٧هـ-١٩٤٨م.

❖ **البداية والنهاية**: أبو الفداء اسماعيل بن كثير (ت٧٧٤هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه ياسين محمد السواس، راجعه الشيخ عبد القادر الأرناؤوط، د. بشار عواد معروف، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت.

❖ **البناء الفني للقصيدة العربية**: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الطباعة المحمدية في الأزهر ـ القاهرة.

❖ **البيان والتبيين**: الجاحظ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخفاجي للطباعة والنشر، القاهرة، الكتاب الثاني، الجزء الاول، ٧، ١٤١٨هـ ١٩٩٨م.

❖ **تاريخ الادب العربي**: كارل بروكلمان، نقله إلى العربية الدكتور عبد الحليم النجار، جامعة الدول العربية، الادارة الثقافية، دار المعارف بمصر، ط٢، (د.ت).

❖ **تاريخ الادب العربي (العصر الجاهلي)**: د. ر. بجس بلاشير، تعريب ابراهيم كيلاني، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، (د.ت).

❖ **تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي)**: د. شوقي ضيف، توزيع منشورات ذوي القربى، قم، ايران، (د.ت).

❖ **تاريخ الأدب قبل الاسلام**: د. نوري حمودي القيسي ، د. عادل جاسم البياتي ، د. مصطفى عبداللطيف ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي جامعة بغداد ، كلية الآداب ، طبع على نفقة وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، ١٤١٠هـ ـ١٩٨٩م.

❖ **تاريخ بغداد أو مدينة السلام**، الامام الحافظ أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)، دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

❖ **تاريخ الطبري تاريخ الأمم والملوك**: أبو جعفر بن محمد الطبري ، راجعه وقدم له نواف الجراح ، دار صادر، بيروت .

❖ **تجريد الأغاني**: إبن واصل الحموي (ت ٦٩٧هـ) تحقيق د. طه حسن، وابراهيم الإبياري، مطبعة مصر، القاهرة، ١٣٧٦هـ ـ ١٩٥٧م.

❖ **التصوير الفني في القران:** سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الشرعية السادسة عشر، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.

❖ **تفسير القرآن الكريم**: عبد الله شبر، مراجعة د. حامد حقي داود، القاهرة، مؤسسة دار الهجرة، قم ، ايران.

❖ **تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل** : تأليف أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي(٥٣٨هـ)، اعتنى به وخرج أحاديثه وعلق عليه خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م.

❖ **التفسير والمفسرون**: محمد حسين الذهبي، الاستاذ في كلية الشريعة في الأزهر.

❖ **جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري):** تأليف الامام ابي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، طبعة مقابلة على الاجزاء المطبوعة، بتحقيق الاستاذ محمود شاكر، ومصححة ومرقمة الاحاديث والاثار وملحقة بفهرس للاحاديث واخر للأشعار والآيات كلها برسم المصحف العثماني، اعتنى بتصحيحه وفهرسته مكتب التحقيق والاعداد العلمي في دار الاعلان، عمان، الاردن، ، دار ابن حزم ، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٣هـ ـ٢٠٠٢م.

❖ **جامع السعادات:** الشيخ محمد مهدي النراقي، الاميرة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م.

- ❖ **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع**: أحمد الهاشمي ، مطبعة السعادة ،مصر ،١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م.
- ❖ **الحكمة في الشعر العربي** : سراج الدين محمد دار الراتب الجامعية ، بيروت، لبنان.
- ❖ **الحياة الأدبية في العصر الجاهلي**: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الطباعة المحمدية، درب الأتراك في الأزهر، القاهرة، ١٩٥٨م.
- ❖ **الحياة العربية في الشعر الجاهلي**: د. احمد محمد الحوفي، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، ط٤، (د.ت).
- ❖ **الحيوان**: ابو عثمان عمرو بن بحر محبوب الملقب بالجاحظ (ت٢٥٥هـ)، شرح وتحقيق الدكتور يحيى الشامي، منشورات دار الهلال، بيروت، لبنان، ٢٠٠٣م
- ❖ **دراسات في الأدب الجاهلي**: د. عبد العزيز نبوي ، الناشر لخدمات الطباعة ، مطبعة حسان، شارع الجيش، القاهرة، ط٢، ١٩٨٨م.
- ❖ **دراسات في ادب ونصوص العصر الجاهلي**: د. محمد عبد القادر احمد مكتبة النهضة المصرية لأصحابها حسن واولاده شارع عدلي باشا في القاهرة ط١ : ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م.
- ❖ **دراسات في نقد الادب العربي من الجاهلية إلى نهاية القرن الثالث**: د. بدوي طبانة، دار الطبع والنشر مكتبة الانجلو المصرية ، ط٤، ١٩٦٥م.
- ❖ **دلائل الإعجاز**: عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (ت ٤٧١هـ)، قرأهُ وعلق عليه محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ، السعودية ، مصر ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

- ❖ **ديوان الاعشى**: شرحه وضبط نصوصه وقدم له الدكتور عمر فاروق الطباع ، دار القلم ، بيروت، لبنان.
- ❖ **ديوان الامام علي (ﷺ):** اعتنى به عبد الرحمن المصطلاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- ❖ **ديوان امرئ القيس**: تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعارف بمصر، كورنيش النيل، القاهرة، (ج.م.ع)، ط٣، ١٩٦٩م.
- ❖ **ديوان أوس بن حجر:** تحقيق وشرح د . محمد يوسف نجم، الجامعة الامريكية ، بيروت ، دار صادر للطباعة والنشر ، دار بيروت للطباعة والنشر ، ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠م.
- ❖ **ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي**: عني بتحقيق د. عزة حسن، وزارة الثقافة والارشاد القومي في الاقليم السوري، مطبوعات مديرية احياء التراث القديم، دمشق، ١٩٦٠م.
- ❖ **ديوان حاتم الطائي**: شرحه وقدم له أحمد رشاد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- ❖ **ديوان الخنساء**: تحقيق د . درويش الجويدي المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت الطبعة الاولى ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م .
- ❖ **ديوان دريد بن الصمة**: تحقيق د. عمر عبد الرسول ، دار المعارف ، كورنيش النيل ، القاهرة : ج. م . ع .
- ❖ **ديوان ذي الأصبع العدواني**: حرثان بن محرث (ت ٢٢ او ٢٥ ق.هـ) ، جمعه وحققه عبد الوهاب محمد علي العدواني ومحمد نائف الدليمي، ساعدت وزارة الاعلام على نشره، مطبعة الجمهور، الموصل، ١٩٧٣م - ١٣٩٣هـ.

❖ **ديوان زهير بن ابي سلمى**: اعتنى به وشرحه حمدو طماس ، دار المعرفة، بيروت ، لبنان، ط٢، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

❖ **ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني**: تحقيق وشرح صلاح الدين الهادي، طبع دار المعارف، القاهرة، ج.م.ع.

❖ **ديوان الشنفرى:** جمعه وحققه وشرحه د. اميل بديع يعقوب ، الناشر دار الكتاب العربي بيروت، ط٢، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦ م.

❖ **ديوان طرفة بن العبد**: شرحه وقدم له مهدي محمد ناصر الدين ، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، ط٣، بيروت، لبنان، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

❖ **ديوان عبيد بن الأبرص**: شرحه وضبط نصوصه وقدم له د. عمر فاروق الطباع، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

❖ **ديوان عدي بن زيد**: حققه وجمعه محمد جبار المعبيد ، شركة دار الجمهورية للنشر والطبع، بغداد، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م.

❖ **ديوان علقمة بن عبدة**: شرحه وعلق عليه وقدم له سعيد نسيب مكارم ، دار صادر، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٦م.

❖ **ديوان عمرو بن كلثوم**: د. عمر فاروق الطباع، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

❖ **ديوان عمرو بن معد يكرب الزبيدي**: هاشم الطعان ، وزارة الثقافة والاعلام ، مطبعة الجمهورية، ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠م.

❖ **ديوان عنترة** : مجلس معارف ولاية بيروت ، بنفقة خليل الخوري ، مطبعة الادب ، ط٤ ، بيروت ، ١٨٩٣م.

❖ **ديوان مهلهل بن ربيعة**: اعداد وتقديم طلال حرب ، دار صادر بيروت، ط١، ١٩٩٦ م.
❖ **ديوان النابغة الذبياني**: د . عمر فاروق الطباع ، دار القلم ـ بيروت ـ لبنان.
❖ **ديوان الهذليين**: الجمهورية العربية تحقيق، الدار القومية للطباعة والنشر، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م.
❖ **الرحلة في القصيدة الجاهلية**: وهب رومية، تحقيق اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين، مطبعة المتوسط، ش.م.م. ط١، ١٩٧٥م.
❖ **سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب**: للشيخ ابي الفوز محمد امين البغدادي، الشهير بالسويدي، وضع حواشيه كامل مصطفى الهنداوي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٤، ٢٠٠٩.
❖ **سير أعلام النبلاء**: الامام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت٧٤٨هـ)، أشرف على تحقيق وخرج أحاديثه محمود شاكر، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.
❖ **شرح ديوان امرئ القيس** : للوزير أبي بكر عاصم بن أيوب، المطبعة الخيرية، مصر،ط١، ١٣٠٧هـ.
❖ **شرح ديوان زهير بن ابي سلمى**: شرح وتحقيق الدكتور احمد طلعت استاذ الدراسات العربية بجامعة كولون، المانيا، منشورات دار القاموس الحديث، دار الفكر العربي، بيروت ، ط١، ١٩٦٨م.
❖ **شرح ديوان لبيد:** حققه وقدم له د. احسان عباس، طبع بمطبعة حكومة الكويت، ١٩٦٢م.
❖ **شرح الشعر القديم واتجاهاته حتى نهاية القرن الخامس الهجري**: شيماء خيري، دار الرائي للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ط١، ٢٠١٠م.

❖ **شرح المعلقات السبع :** للامام أبي عبد الله الحسين بن احمد بن الحسين الزوزني، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م.

❖ **الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه**: د ٠ يحيى الجبوري ، دار التربية للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد.

❖ **الشعر الجاهلي (دراسة في تأويلاته النفسية والفنية)**: د. سعيد حسون العنبكي، منشورات دار دجلة ناشرون وموزعون، المملكة الأردنية الهاشمية، عمان، ط١، ٢٠٠٧م.

❖ **شعر تأبط شرا**: تحقيق سلمان داود القرغولي وجبار تعبان جاسم ، مطبعة الآداب في النجف، ط١، ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م.

❖ **شعر دعبل بن علي الخزاعي (١٤٨_٢٤٦هـ):** صنعه د. عبد الكريم الأشتر، مطبوعات المجمع العلمي العربي في دمشق.

❖ **شعر المثقب العبدي**: تحقيق محمد حسيب ال ياسين، دار المعارف للتأليف والشعر، مطبعة المعارف، بغداد، ١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٦م.

❖ **شعر النمر بن تولب** : حققه الدكتور نوري حمودي القيسي، مطبعة المعارف، بغداد.

❖ **شعراء العرب (العصر الجاهلي):** يوسف عطا الطريفي، الأهلية للنشر والتوزيع، المملكة الأردنية، عمان، ط١، ٢٠٠٦م.

❖ **شعرية المغايرة دراسة لنمطية الاستبدال الاستعاري في شعر السياب**: د. إياد عبد الودود الحمداني، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط١، ٢٠٠٩م.

❖ **صحيح البخاري**: محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن بردزبه البخاري(ت ٢٥٦هـ)، تحقيق طه عبد الرؤوف اسعد، مكتبة الايمان في المنصورة، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

❖ **صحيح مسلم:** مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٦١هـ) مطبوعات مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح واولاده بميدان الازهر في مصر.

❖ **كتاب الصناعتين**: ابو هلال الحسن بن عبد الله بن سهيل العسكري (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، الطبعة الثانية ، دار الفكر العربي.

❖ **الصورة السمعية في الشعر العربي قبل الاسلام**: دراسة- د. صاحب خليل إبراهيم، من منشورات تحقيق دار الكتاب العرب، مكتبة الاسد، دمشق: ٢٠٠٠م.

❖ **الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب**: د. جابر عصفور، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٨٣م.

❖ **الطبري**: أحمد محمد الحوفي ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.

❖ **الطبري النحوي من خلال تفسيره**: د. زكي فهمي أحمد شوقي الألوسي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، الأعظمية، ط١.

❖ **طبقات فحول الشعراء**: محمد بن سلام الجمحي (ت ٢٣١هـ) ، قرأه وشرحه أبو فهر محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ، المؤسسة السعودية في مصر ، شارع العباسية، القاهرة ، الناشر دار المدني بجدة، (د.ط).

❖ **العروض تهذيبه واعادة تدوينه**: صنفه الشيخ جلال الحنفي، الجمهورية العراقية، وزارة الاوقاف والشؤون الدينية، أحياء التراث الاسلامي، مطبعة الارشاد، بغداد، ط٢، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

❖ **علل الشرائع**: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (٣٨١هـ)، قدم له محمد طارق بحر العلوم ، مؤسسة العطار الثقافية ، النجف، العراق.

❖ **العمدة في محاسن الشعر وآدابه**: ابو علي الحسن بن رشيق القيرواني (ت ٤٥٦هـ)، تحقيق محمد عبد القادر احمد عطا، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

❖ **الفخر في الشعر العربي**: سراج الدين محمد ، دار الراتب الجامعية ، بيروت - لبنان.

❖ **فن التقطيع الشعري والقافية**: د. صفاء خلوصي، طبع على مطابع دار الكتب في بيروت، ط٤، ١٩٧٤م.

❖ **فنون البلاغة بين القرآن وكلام العرب**: د. فتحي عبد القادر فريد، نشورات دار اللواء للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م.

❖ في الأسلوب الأدبي: د. علي بو ملحم ، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

❖ **في البلاغة العربية (علم المعاني)**: د. محمد أحمد نحلة ، دار العلوم العربية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.

❖ **في النقد الادبي**: د. عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط٢، ١٣٩١هـ-١٩٧٢م.

❖ **القافية والاصوات اللغوية**: د. محمد عوني عبد الرؤوف، مطبعة الكيلاني، القاهرة، الناشر مكتبة الخانجي، مصر.

❖ **قراءة ثانية لشعرنا القديم**: د. مصطفى ناصف، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

❖ **القصيدة الجاهلية في النقد العربي القديم**: د. عبد الحسن حسن خلف، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠١١م.

❖ **القيم الفنية المستحدثة في الشعر العباسي من بشار إلى أبن المعتز**: توفيق علي الفيل (دكتوراه)، ج. عين شمس، القاهرة ١٩٧٧. مطبوعات ج. الكويت، الكويت ١٩٨٤م.

❖ **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**: مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة ، مطبعة البهية ، ١٩٤١م – ١٣٦٠هـ.

❖ **الكناية اساليبها ومواقعها في الشعر الجاهلي**: محمد حسين علي الأمين أحمد، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة ، ١٤٠٥هـ -١٩٨٥م.

❖ **الكناية والتعريض**: ابو منصور عبد الملك بن محمد اسماعيل الثعالبي النيسابوري (ت٤٢٩هـ)، دراسة وشرح وتحقيق د. عائشة حسين فريد ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع شركة مساهمة مصرية،١٩٩٨م.

❖ **لسان العرب**: للامام العلامة ابن منظور، طبعة مراجعة ومصححة بمعرفة نخبة من السادة والاساتذة المتخصصين، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

❖ **لسان الميزان** ، الإمام الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) ، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، شارك في تحقيق د. ابو الفتوح ابو سنّة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

❖ **المثل السائر في أدب الكتاب والشاعر**: ضياء الدين بن الاثير، ويليه كتاب الفلك الدائر على المثل السائر لابن ابي الحديد، قدمه وحققه وعلق عليه دكتور أحمد حوفي، د. بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة، القاهرة.

❖ **مجمع الامثال** : الامام ابو الفضل احمد بن محمد النيسابوري المعروف بالميداني (ت ٥١٨هـ)، يطلب من عبد الرحمن محمد ملتزم طبع المصحف الشريف بميدان الجامع الازهر بمصر، ١٣٥٣هـ :٨ /٢٦١.

❖ **مختصر الميزان في تفسير القرآن**: محمد حسين الطباطبائي، مكتبة دار المجتبى، النجف الأشرف، سوق الحويش، ط١، ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م.

❖ **المدخل لدراسة الادب واللغة**: جامعة قطر ، كلية الانسانيات ، قسم اللغة العربية، دار قطري بن الفجاءة للنشر والتوزيع، الدوحة، قطر، ط٣، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٩٤م.

❖ **المرأة في الشعر الجاهلي**: د. علي الهاشمي، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٦٠م.

❖ **مروج الذهب ومعادن الجوهر** : أبو الحسن بن علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت ٣٤٦هـ)، رفقها ووصفها الأستاذ يوسف أسعد داغر ، دار الأندلس للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٩٧٨م.

❖ **معجم البلاغة العربية**: صنفه د. بدوي طبانة، دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط٤ (مزيدة ومنقحة)، ١٤١٨هـ ١٩٩٧م.

❖ **معجم البلدان:** لشهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، دار بيروت للطباعة ، دار صادر للطباعة ، بيروت ، ١٣٧٦هـ ـ ١٩٥٧م.

❖ **معجم المصطلحات البلاغية وتطورها**: احمد مطلوب، مكتبة لبنان ناشرون، طبع في لبنان، إعادة طبع ٢٠٠٧م.

❖ **معجم المصطلحات العربية**: نواف نصار ، دار المقر ، عمان ، الاردن ، ط١، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

❖ **مفاتيح الجنان:** الشيخ عباس القمي، دار المتقين، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٣٢هـ -٢٠١١م.

❖ **المفصّل في العروض والقافية وفنون الشعر**: عدنان حقي، مؤسسة الايمان، بيروت، لبنان، دار الرشيد، دمشق، يروت، ط١، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

❖ **المفضليات** : المفضل بن محمد بن يعلى الضبي ، تحقيق وشرح احمد محمد شاكر ، عبد السلام هارون ، الطبعة السادسة دار المعارف كورنيش النيل، القاهرة ، ج . م . ع.

❖ **مكتبة الأدب الجاهلي** (بيلوغرافيا رسائل جامعية، كتب بحوث مقالات)، د.عفيف عبد الرحمن، دار صادر، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٨م.

❖ **منتهى الطلب من أشعار العرب**: جمع محمد بن المبارك بن محمد بن ميمون، تحقيق وشرح الدكتور محمد نبيل طريفي، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٩م.

❖ **منهج الامام ابن جرير الطبري في الترجيح**: د. حسين علي الحربي، دار الجنادرية للنشر والتوزيع، عمان، الاردن،ط١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

❖ **الموازنة بين ابي تمام والبحتري** : القاضي الجرجاني، تحقيق ودراسة د. قاسم مومني، طباعة ونشر دار الشؤون الثقافية العامة (افاق عربية).

❖ **مواقف الادب والنقد** : د. عبد الجبار المطلبي، دار الحرية للطباعة، بغداد ،١٤٠١مـ-١٩٨٠م.

❖ **الموسيقى الشافية للبحور الصافية**: عبد الحكيم عبدوي، شارع القصر العيني، القاهرة، ط١، ٢٠٠١م.
❖ **ميزان الذهب في صناعة اشعار العرب:** أحمد الهاشمي، قدم له وضبط نصه د. محمد التونجي، مؤسسة المعارف للطبع والنشر، بيروت، لبنان، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
❖ **ميزان الشعر**: د.بدير متولي حميد، دار المعرفة، ١٥ شارع صبري ابو علم بالقاهرة ، ط٢، ١٩٦٧م.
❖ **النابغة الذبياني (مع دراسة للقصيدة العربية في الجاهلية):** د. محمد زكي العشماوي، طبعة دار الشروق الاولى، القاهرة، ١٤١٥هـ -١٩٩٤م.
❖ **نظرية التصوير الفني عند سيد قطب**: د. صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة، السعودية، ط٢، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
❖ **نقد الشعر**: ابو الفرج قدامة بن جعفر، تحقيق كمال مصطفى، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
❖ **النور المبين في قصص الانبياء والمرسلين**: نعمة الله الجزائري، مؤسسة النبراس للطباعة والنشر والتوزيع، العراق، النجف ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
❖ **الهجاء في الشعر العربي**: اعداد سراج الدين محمد ، دار الراتب الجامعية ، بيروت، لبنان.
❖ **وظيفة الشعر في التراث البلاغي النقدي عند العرب**: د.وسن عبد المنعم ياسين الزبيدي ، مطبعة المجمع العلمي – بغداد ، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
❖ **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (ت٦٨١هـ)، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

ثانيا ـ الرسائل والاطاريح:

- ❖ **الرثاء في الاندلس (عصر ملوك الطوائف):** فدوى عبدالرحيم قاسم، رسالة ماجستير ، اجازتها جامعة النجاح الوطنية نابلس ، فلسطين، بإشراف د. وائل ابو صالح ١٣٢٣هـ ـ ٢٠٠٢ م.
- ❖ **الشعر في تاريخ الطبري (دراسة موضوعية فنية):** موفق اسعد العنبكي، رسالة دكتوراه اجازتها كلية الآداب، الجامعة المستنصرية بإشراف د. سنية احمد الجبوري ، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٧ م.
- ❖ **صور الحرب وابعادها الاسطورية في الشعر الجاهلي**: اعداد ابتسام نايف صالح ابو الرب، رسالة ماجستير اجازتها جامعة النجاح كلية الدراسات العليا قسم اللغة العربية وآدابها، نابلس ، فلسطين، اشراف د. إحسان الديك،٢٠٠٦م.
- ❖ **المبالغة والغلو عند شعراء المعلقات العشر**: (رسالة ماجستير): حمدية عباس جاسم، كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، بإشراف د. أحمد اسماعيل النعيمي، ٢٠٠٥م.
- ❖ **منهج الامام ابن جرير الطبري في الترجيح بين اقوال المفسرين**: تمام كامل موسى الشاعر، رسالة اجازتها جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، نابلس، فلسطين، بإشراف د. محسن سميح الخالدي، ٢٠٠٤م.

ثالثًا- الدوريات والمجلات:

- ❖ **اثر الحروب في تشكيل الصورة الادبية**: د. حمد النيل محمد الحسن ابراهيم، كلية المعلمين بالاحساء، مجلة جامعة ام القرى لعلوم الشريعة واللغة الادبية وآدابها، ج١٩ رمضان ١٤٢٥هـ.
- ❖ **أسماء السيوف وصفاتها:** مجلة المورد، الصادرة من وزارة الثقافة والاعلام، بغداد الجمهورية العراقية، م١٦، صيف ١٩٨٧م، ع ٢.
- ❖ **الحلم في الشعر الجاهلي**: د. عبدالرزاق خليفة محمود الدليمي، جامعة بغداد ، كلية الآداب، مجلة المورد الصادرة عن دار الشؤون الثقافية ، الاعظمية ،بغداد، العراق ٢٠٠٤م ـ ١٤٢٥هـ ، مج ٣١ ، ع٤٣.
- ❖ **مجلة الينابيع**: موضوع بقلم الشيخ محمد العزاوي، كلية الدراسات الانسانية، جامعة الكوفة، العراق، نشر مدرسة الحكمة، النجف الأشرف، العراق، العدد١٢، جمادى الأولى،، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.